التسجيل الدولي ISSN 2305-591X

عدد خاص

ينابيع Yanabee'a

مؤسسة الحكمة للثقافة الإسلامية

٦٦

مَجلّةٌ ثقافيّةٌ تُعنى بنَشرِ فِكرِ أهلِ البَيتِ عليهم السلام/ السّنة ١٣/ العَدد ٦٦ المحرم - صفر ١٤٣٧هـ/ تشرين١- تشرين٢ ٢٠١٥م

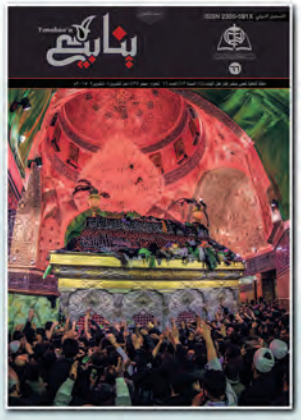

ينابيع ٦٦

مجلة ثقافية تعنى بنشر فكر أهل البيت عليهم السلام

تصدر كل شهرين عن

مؤسسة الحكمة للثقافة الإسلامية

1Z30959

المشرف العام

السيد عبد الحسين القاضي

رئيس التحرير

الحاج فلاح حسن علي العلي

مدير التحرير

حيدر الجد

سكرتير التحرير

حسين جودي الجبوري

التدقيق ومراجعة النصوص

سعد فخر الدين

التصميم والإخراج الفني

وسام مسلم المظفر

مسلم شاكر مالك

كرافيك

عباس رفيعي

التنضيد الإلكتروني

ميثم عبد علي الزاملي

العراق ـ النجف الاشرف ـ حي السعد

العنوان الإلكتروني: www.Yanabee.org

البريد الإلكتروني: Yanabee_Mag@Ymail.com

ص.ب (٥٥٠) موبايل: ٠٧٨٠٣١٧١٥٠٥

أسعار المجلة: العراق ١٠٠٠ دينار. الكويت ٣٥٠ فلساً. الأردن ٧٥٠ فلساً. المملكة العربية السعودية ٣ ر.س. سوريا ٧٥ ل.س. وباقي الدول ١,٥ دولار أو ما يعادله.

قيمة الاشتراك السنوي لستة أعداد: في العراق للمؤسسات ١٢٠٠٠ دينار وللأفراد ٨٠٠٠ دينار وخارج العراق ١٠ دولار أو ما يعادلها.

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد ٨٨٠ لسنة ٢٠٠٦

مسجلة في نقابة الصحفيين العراقيين برقم ١٣٩ في ١٦/ ١١/ ٢٠٠٥م

- المقالات تعبّر عن رأي أصحابها.
- يخضع ترتيب المقالات إلى ضوابط فنية.
- لا تعاد المقالات إلى أصحابها سواء انشرت ام لم تنشر.

قصيدة في الإمام الحسين عليه السلام

عَبَقُ العُلى

للشاعر: مسلم الناصري

قلبي على عبق العلى والسؤدد ... لازال يخفق فوق ذاك المرقد
وكأن روحي من حرارة وجدها ... لدم الشهادة مرجل في موقد
ولقد وقفت على أثيل عطاءه ... فأضاء روحي فرقد من فرقد
ماكنت احسب ان ارى بدر الهدى ... تحت السنابك بين جيش ملحد
يالهف قلبي للشهيد موسد ... في كربلاء ولوعة الكبد الصدي
لما أطل على المسامع ذكره ... خرجت اليه فرائدي بتودد
طفحت على سطح الفؤاد لواعجاً ... فرط الاسى من قلبي المتوقد
فاكتض صدر الدهر لما هاله ... ألمي، وحرقة مهجتي، وتنهدي

لـهـوات حـزن قـد أقضـت مضجعي ... بـل أضـرمـت فـي جانبي توجـدي
ثـأرًا ليـــومك يـاأبي الظيـم مـا ... شـرب الـورى مـن سلسبيل الـمـورد
قـف ياحسين على الـزمـان علامة ... للمهتـدى رغـم القضاء المكمـد
أي العواطف لم تـذب لك مهجـة ... بـل أي جفن لـم يكن بمسـهد
سيظل صوتك ياأبا الشـهداء في ... أعماقنا ماظل صـوت المسـجد
يسـتنهض الاحـرار والـثـوار إذا ... يعلو من الآذان كل تشـهد
ياثائـرا أحييـت دين محمـد ... وحفظت معتقدي ورمـز توحـدي
ياموردا للعـز يعـبق بالأبـا ... أكـرم بـه لبني العـلى مـن مـورد
تبا لمن قطعـوا بك الرحـم الذي ... هو آيـة القـربى بـآل محمـد
قـصـدوا إلـى قتل الكرامـة والندى ... في ذلـك اليوم الأثيـم الأنكـد
يـايـوم عاشـوراء قاتـلك الأسـى ... ندمـا لقطعـك رأس أعظـم سيد

ياسـيدي يابن البطين بعلمه ... وأبـن البتـول بكل طيب المولد
حـزنـا على عبق العلى فـوق الثرى ... غير النجيـع مـن الـردا لـم يرتـد
يانفحـة الطف الـذي لو لم تكـن ... فيه شـهيدا لم يكن بمخلد
كيف أنبـرى لك قـوم آل أميـه ... وترصـدوا مسـعاك كـل ترصد
قـوم ذئـاب لم تكـن معـروفـة ... بين الـورى الا بقبح المشـهد
أكـل الجفـاف العـاطفي قلوبهم ... وتأججـوا لهبا بحقد اسـود
وبما قضى الحسد المقيت عليهم ... رقـدوا وبغيهم بهـم لم يرقـد
واستحوذ الشيطان منهم بالجفا ... فتمـردوا بالظلم أي تمـرد
لم يعـرفـوا حنقـا إمـام زمانهم ... قعـدوا لـه فـي الـحـرب الئم مقعـد
شهد الحسـين عليهم فـي كربلا ... وهـمـو بـمـرآى عينه وبمشـهد
فـي موقـف تـرك الـنـفـوس بدهشة ... حشـد تحشد ضـده لـم يحشـد
تـركـوا الإمـامـة ـ مـا أظـل ضلالهم ـ ... جحدوا بها في الظلم أسـوء مجحد
الله يهتـك سـتـر كـل منـافق ... بضياء أنـوار الـهـدى لـم يهتـد

يـا قلب ذب لابـن الـرسـول وصحبه ... مـن قـد أمـرت بهديهم أن تقتدي
هـم نخـبة لما دعـى داعـي الندى ... وردوا الـمـنـايـا عـنـد أعـذب مـورد
عشـــقـوا مجابهة المنايا كلهم ... رفضا لشنشـنـة الـضـلال المزبد
فهفا لهـم شـاطي الـفـرات مـودة ... فتعـــانقوا معه بـأصـدق مقصد
نـزلـوا إلـى جنب الأسـى فـي كربلا ... فثوى به ثقل لعـترة أحمـــد
بـذلـوا النفوس لأجـل أن يحيوا بها ... ميت الضمير الهامد المتجلمـد
قـد أيـد الله الكـــرام بنصـــره ... طـوبـى لـهـم، طـوبـى لكل مؤيـد
فمضى أبـي الظيـم مـابين الألـى ... دحـروا النوائب والعنا بتجـــلد
فهمو همـو كـل ســيوف لـم نجد ... فـي جمعهم فـي الـطـف غـيـر مهند
ولقـد نظـرت اليهم ببصـيرتي ... فـرأيـت فيهـم كـل لـيـث ملبـد
لـم يعبأوا بظبا الـردى حيث أنبرت ... مابين جمعهم تـروح وتغتـدي

إن الحسين بـنـوره بهـر الـرؤى ... فـسـرت الـيـه بغير بـرقـة مرشـد
هـامـت قـلـوب الـوالـهـيـن بحبـه ... فـتـبـددت فـي الحـب كـل تبـدد
كـم حـاول المتنافســون معي به ... أن ينصبوا أشـراكهم لتصيدي
وتـقـصـدوا قتل الطمـوح بداخلي ... وسـعـوا بخيبتهم لأخـلـف موعدي
واختـارنـي مـن بينهـم لـه خادما ... فمضيت مفتخرا بـخـدمـة سـيدي
ونظمت فيه قصـــيدة ألفـاظها ... مـفـهـومـة مـن دون رؤيـة منجـد
والـدر فيها ماتشـــــاء منضد ... بصفاته المثلى وغيـر منضـد
شـرف واحمـــده بـأن أولاه لي ... شـرف وهـل يـؤتـاه غير مســدد
ولـه على مثلي بـه فضـــل كما ... أنـي لأشعـر ليس منه بمبعـــد
فـهـو الـذي بـعـث الـصـلاح بنهضة ... يـشـدوا بها ديـن الـرســول الأمجد
وهـــو الـذي ملك النهى بعـطائه ... حـسـب ومنتسب وطـيـبـة محتـد
صـغـت الـقـوافـي مـن شـعـاع كماله ... وجـنـاســـهـا فـي الـنـص غـيـر مـردد

أهم المواضيع

الإمام الحسين عليه السلام وارث الأنبياء ص (١٠)

رؤية نقدية في الملحمة الحسينية ص (٦٠)

سمات المنهج الإصلاحي عند الإمام الحسين عليه السلام ص (١٨)

عاشوراء الفاجعة والنهضة ص (٧٤)

الحسن والحسين عليهما السلام (بين الصلح والنهضة) ص (٣٢)

ثمرات انعقاد المجلس الحسيني ص (١١٠)

العَبْرة والعِبْرة في نهضة الإمام الحسين عليه السلام ص (٥٦)

أثر الإعلام في انهيار جيش الإمام الحسن عليه السلام ص (١١٦)

كلمة العدد

التنظير للشعائر الحسينية... البعد الإيجابي
المشرف العام..... ٨

الإمام الحسين عليه السلام وارث الأنبياء
أ.د. محمد محمود زوين..... ١٠
سمات المنهج الإصلاحي عند الإمام الحسين عليه السلام
م.م. ساجد صباح العسكري..... ١٨
الأبعاد الإستراتيجية في فكر الإمام الحسين عليه السلام
حيدر الجد/ مدير التحرير..... ٢٤
الحسن والحسين عليهما السلام (بين الصلح والنهضة)
حامد شاكر منيب..... ٣٢
أَدَبُ الإباءِ في الخطابِ الحُسينيّ
أ.م.د. عبّاس عليّ الفحّام..... ٣٨
معايير النجاح الآنية لنهضة الإمام الحسين عليه السلام
د. تومان غازي الخفاجي..... ٤٤
رائية ابن معصوم المدني
د. حسين لفته حافظ..... ٥٠
العَبْرة والعِبْرة في نهضة الإمام الحسين عليه السلام
د. هاشم جعفر الموسوي..... ٥٦
السلوك العدواني وتجلياته في حكم يزيد
م.م. حامد عادل النصراوي..... ٦٠
الشهادة
أ.د.م زهير غازي زاهد..... ٦٦
عاشوراء الفاجعة والنهضة
محمد علي جعفر..... ٧٤

صبر الحسين عليه السلام وتحمله المصائب في واقعة كربلاء
الشيخ حسن العيساوي..... ٨٠
القلق والاضطراب النفسي عند أعداء الإمام الحسين عليه السلام
أ.م.د. نجم عبدالله غالي الموسوي..٨٦
نساء مع الحسين عليه السلام في طفوف كربلاء
أ.طالب علي الشرقي..... ٩١
دور العقيلة زينب عليها السلام في مواجهة الإرهاب الفكري
م.م. حلا عبد الكريم احمد..... ٩٨
مع خطبة زينب عليها السلام في الكوفة
م.م .حسن جميل الربيعي..... ١٠٤
ثمرات انعقاد المجلس الحسيني
أ.م.د. رزاق حسين الموسوي... ١١٠
أثر الإعلام في انهيار جيش الإمام الحسن عليه السلام
كريم جهاد الحسّاني..... ١١٦
الإمام الرضا عليه السلام وذكر الإمامة
حسين جودي كاظم الجبوري.... ١٢٢

في الذاكرة..... ٧٠
أجوبة مسابقة العدد (٦٤) وأسماء الفائزين.... ١٢٨
مسابقة العدد (٦٦)..... ١٢٩

كلمة العدد

التنظير للشعائر الحسينية... البعد الإيجابي

بسم الله الرحمن الرحيم

في الوقت الذي نستقبل فيه أيام الذكريات الأليمة التي مرت على أهل بيت العصمة والتي راح ضحيتها سيد شباب أهل الجنة ومن معه من نجوم آل عبد المطلب، وصحابته الأخيار الذين قدموا خير ما يملكون، وجادوا بأنفسهم، وضحوا بدمائهم بين يدي الحسين عليه السلام، ففي الوقت الذي نستقبل فيه هذه الأيام نعيش واقعاً مرّاً وانقساماً كبيراً في الطيف الموالي لآل البيت عليهم السلام، فطائفة تتهيأ بكامل العدة والمال لإحياء شعائر سيد الشهداء، وتبذل الأموال الطائلة في إقامة المآتم، وطبخ الطعام، وتهيئة الشراب بأنواع مختلفة، وتتوشح بالسواد من الملابس والدور والمحلات والأماكن العامة حتى يكون المظهر العام من أروع مظاهر الحزن والأسى على المصيبة، ويتجلى للناظر عمق الولاء العقيدي والارتباط بأهل البيت عليهم السلام.

وأخرى: تبدأ بالتنظير والتفلسف لتجعل من هذه الشعائر والطقوس الولائية صوراً جوفاء لا تكشف عن بُعد الصلة بين القاعدة الشعبية وأصول المذهب... بل بدأت التنظيرات تختلف وتتوسع يوماً بعد يوم حيث كنّا من قبل اليوم نسمع بتنظيرات حول بعض الشعائر الخاصة والتعرض لها بشدة، وادعاء أنها ليست من الشعائر، وأنها تشوه صورة المذهب.. بعد التنظير لمعنى الشعيرة والدخول في المعطيات الفقهية لهذه المفردة وغير ذلك.. أما اليوم فتعدى الأمر إلى أكثر من ذلك حتى طال التنظير معظم الشعائر الحسينية، كاللطم والبكاء بصوت عالٍ وعقد المآتم بالصور المشجية التي اعتاد عليها شيعة أهل البيت عليهم السلام وغير ذلك، بل تعدى إلى التعرض للنصوص الكثيرة المتظافرة المتضمنة للثواب العظيم للباكي على الحسين عليه السلام بل اعتبره بعض من يدعي العلم ويعتلي المنبر الحسيني من عوامل استغفال الشيعة البسطاء والعمل على عقولهم، والأنكى من ذلك والأقرح للقلوب أن يعرض ذلك في مواقع التواصل

الاجتماعي ليراه الآلاف من المشاهدين ويقتنع به كل من لا يجد في نفسه الحرقة على ما جرى في كربلاء، أو يحتاج في نفسه إلى من يبرر عدم تأثره نفسياً لأنه غير منشدّ إلى قضية سيد الشهداء عليه السلام، بحيث ينشأ بالتدريج جو عام ينكر الأساليب العاطفية الولائية التي اعتاد عليها شيعة أهل البيت عليهم السلام على مرّ العصور وصولاً إلى عصور المعصومين عليهم السلام الذين أبدوا في مواقف كثيرة الجزع على سيد الشهداء ولفاجعة الطف الأليمة، وحثوا شيعتهم بأساليب متعددة على استذكار المصيبة والتألم لها والتوجع على ما جرى... وقد رأينا تأثر بعض البلدان ذات القاعدة الشعبية الولائية العريضة بهذا الطرح وسريان الأفكار المشبوهة إليها حتى طغى عليها الهدوء وقلة الاستعداد بشكل ملفت للنظر. فكان الداخل إليها لا يشعر بولائية الشعب ولا انشداده للفاجعة الأليمة.. بل يرى الناس في سبات..

لكن مما يهون الخطب...

أولاً: أن الهجمة كلما زادت حدتها زاد تأثيرها الإيجابي على المجتمعات الولائية الأخرى، وزاد الهيجان النفسي تجاه سيد الشهداء لاستشعار الشريحة الموالية بمظلومية الحسين عليه السلام من أعدائه، ومن بعض أوليائه، فيزداد لذلك تعلق الموالين بقضيتهم، واعتزازهم بها، حتى يعتبروا أن الإغراق في إبداء التألم والتوجع ردّ على هذه الدعوات الضالة والمؤثرة على فاعلية فاجعة الطف، التي هي من أروع معالم الدين الإسلامي، وأن بقاء الدين ببقائها، وكلما زادت فاعلية المصيبة على القاعدة الشعبية زاد رسوخ العقيدة والانشداد لأهل البيت عليهم السلام.

ثانياً: تعرية المنظّرين والمتفلسفين وضحالة أفكارهم وبعدهم العلمي ولو على طول الخط، وهذه إيجابية ذات أهمية كبيرة في مجتمعاتنا، ليميز الله الخبيث من الطيب، خصوصاً في المجتمعات الشيعية التي معاييرها في التقييم يخضع لأسس دينية صحيحة وعدم فرض شخصيات دينية خاصة من قبل المؤسسة الدينية، ولذا كانت القاعدة الشعبية تختار الشخصيات الدينية ضمن الضوابط الشرعية، ومن هنا نرى بين الحين والآخر ظهور شخصيات تعتبر أنفسها مصلِحة ومنظّرة لكن على طول فترة معينة تبدأ بالاضمحلال والضمور في الساحة الشيعية، لأنها تتعرى ويظهر للجمهور انحرافها فكرياً وربما عقيدياً.

وتبقى كلمة الله تعالى في الأرض هي العليا، وكلمة أعدائه هي السفلى، وحسبنا الله ونعم الوكيل.

■ **المشرف العام**

الإمام الحسين عليه السلام وارث الأنبياء

أ.د. محمد محمود زوين/كلية الفقه
جامعة الكوفة

ينابيع

ليس بدعاً من القول أن يكون سيد الشهداء عليه السلام وارث الأنبياء والرسالات، فهو آخر الخمسة من أصحاب الكساء الذين بشّرت بهم الكتب السماوية على لسان أنبيائها[١]، ولعل أجلى تشابه وتماثل لأبي عبدالله الحسين عليه السلام يظهر مع أنبياء الله الذين قدموا أرواحهم في سبيل رسالاتهم، ولاسيما نبي الله يحيى بن زكريا عليه السلام الذي تلمحُ له مع الإمام عليه السلام ملامح التماثل والتقارب، فقد بشر النبي صلى الله عليه وآله بالحسين قبل ولادته ،وكذا الامر ليحيى بشّر به زكريا قبل ولادته، لم يسم باسم الحسين أحد قبله ،ويحيى لم يسم باسمه أحد قبله، يحيى قتل مظلوماً وبكت السماء والأرض عليه دما، وأُهدي رأسه إلى بغي من بغايا بني إسرائيل ووضع رأسه بين يدي عدوّه، والحسين عليه السلام قتل مظلوماً، وبكت السموات والأرض عليه دمًا، وجِيء برأسه إلى الطاغية يزيد بن معاوية، ووضع أمامه، إلى غير ذلك من وجوه التشابه[٢] بين الحسين عليه السلام ويحيى عليه السلام فليس غريباً بعد ذلك أن تجد أن الحسين عليه السلام يكثر من ذكر يحيى في أحاديثه[٣]، كما كان الحسين عليه السلام على لسان زكريا عليه السلام كما في حديث سعد بن عبدالله القمي مع الإمام العسكري عليه السلام والحجة صاحب الأمر (عجل الله فرجه)

وفيها سؤاله عن (**كهيعص**) (مريم:١)، (قلت: فأخبرني يا ابن رسول الله عن تأويل (**كهيعص**) قال هذه الحروف من أنباء الغيب، أطلع الله عليها عبده زكريا، ثم قصها على محمد ﷺ وذلك أن زكريا سأل ربه أن يعلمه أسماء الخمسة فأهبط عليه جبرئيل فعلمه إياها، فكان زكريا إذا ذكر محمدا وعليا وفاطمة والحسن والحسين سري عنه همه، وانجلى كربه، وإذا ذكر الحسين خنقته العبرة، ووقعت عليه البهرة، فقال ذات يوم: يا إلهي ما بالي إذا ذكرت أربعا منهم تسليت بأسمائهم من همومي، وإذا ذكرت الحسين تدمع عيني وتثور زفرتي؟ فأنبأه الله تعالى عن قصته، وقال: (**كهيعص**)، (فالكاف) اسم كربلاء. و(الهاء) هلاك العترة. و(الياء) يزيد، وهو ظالم الحسين عليه السلام. و(العين) عطشه. و(الصاد) صبره. فلما سمع ذلك زكريا لم يفارق مسجده ثلاثة أيام ومنع فيها الناس من الدخول عليه، وأقبل على البكاء والنحيب وكانت ندبته (إلهي أتفجع خير خلقك بولده إلهي أتنزل بلوى هذه الرزية بفنائه، إلهي أتلبس عليا وفاطمة ثياب هذه المصيبة، إلهي أتحل كربة هذه الفجيعة بساحتهما)؟! ثم كان يقول: (اللهم ارزقني ولدا تقر به عيني على الكبر، وأجعله وارثا

وصيا، واجعل محله مني محل الحسين، فإذا رزقتنيه فافتني بحبه، ثم افجعني به كما تفجع محمدا حبيبك بولده) فرزقه الله يحيى وفجعه به. وكان حمل يحيى ستة أشهر وحمل الحسين عليه السلام كذلك)[٤].

وجرى ذكر الحسين عليه السلام في قلب إبراهيم ولسانه، وذلك من معاني ووجوه تفسير قوله جل ذكره: (**وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ**) (الصافات: ١٠٧)، (عن الفضل بن شاذان، قال: سمعت الرضا عليه السلام يقول: (لما أمر الله تعالى إبراهيم عليه السلام أن يذبح مكان ابنه إسماعيل الكبش الذي أنزله عليه، تمنى إبراهيم عليه السلام أن يكون قد ذبح ابنه إسماعيل عليه السلام بيده، وأنه لم يؤمر بذبح الكبش مكانه، ليرجع إلى قلبه ما يرجع إلى قلب الوالد الذي يذبح [أعز] ولده بيده، فيستحق بذلك أرفع درجات أهل الثواب على المصائب.

فأوحى الله عز وجل إليه: يا إبراهيم، من أحب خلقي إليك؟ فقال: يا رب، ما خلقت خلقا أحب إلي من حبيبك محمد. فأوحى الله عز وجل إليه: يا إبراهيم، فهو أحب إليك، أو نفسك؟ فقال: بل هو أحب إلي من نفسي.

قال: فولده أحب إليك، أو ولدك؟ قال: بل ولده. قال: فذبح ولده ظلما على أيدي أعدائه أوجع لقلبك، أو ذبح ولدك بيدك في طاعتي؟ قال: يا رب، بل ذبحه على أيدي أعدائه أوجع لقلبي. قال: يا إبراهيم، إن طائفة تزعم أنها من أمة محمد، ستقتل الحسين ابنه من بعده ظلما وعدوانا، كما يذبح الكبش، فيستوجبون بذلك غضبي. فجزع إبراهيم عليه السلام لذلك، وتوجع قلبه، وأقبل يبكي، فأوحى الله عز وجل إليه: يا إبراهيم، قد فديت جزعك على ابنك إسماعيل لو ذبحته بيدك بجزعك على الحسين وقتله، وأوجبت لك أرفع درجات أهل الثواب على المصائب. فذلك قول الله عز وجل: (**وَفَدَيْنَاه بِذِبْحٍ عَظِيمٍ**))[٥]، وقد يتوهم أن فداء الإمام الحسين عليه السلام لجده إسماعيل عليه السلام فيه من دلالة الأفضلية، وعلو الرتبة على الإمام عليه السلام، وهو بخلاف ما نعتقده بمقام أهل البيت عليهم السلام، ولاسيما أنهم خلاصة الأديان بأنبيائها ورسلها وكتبها، ومنتهى وحي السماء وملتقى الرسالات وجوهرها.

ومن وجوه علاقة سيد الشهداء عليه السلام مع الأنبياء صلته بالسيد المسيح (خصائص عديدة منها البشارة بالحسين عليه السلام، وذكره على لسانه ولاسيما ما يجري عليه في كربلاء، أما البشارة به فهي كلام السيد المسيح عليه السلام لتلاميذه: بذهابه إلى ربّه تعالى الذي وعده بإرسال المؤيِّد له، جاء في إنجيل يوحنا: (إني ذاهب الآن إلى الذي أرسلني وما من أحد منكم يسألني إلى أين تذهب؟ غير أنني أقول لكم الحق: من الخير لكم أن أمضي فإن لم أمض لا يأتكم المؤيِّد، أما إذا مضيت فأرسله إليكم، ومتى جاء أخزى العالم على الخطيئة والبر والحكم)

ويذهب الدكتور المفكر انطون بارا إلى رأي يخالف به تفسير بعض اللاهوتيين للفظ (المؤيّد) بأنه من معاني (الروح القدس)؛ لكونه جاء مغايراً لاستعمال توصيف (الروح القدس) في الانجيل، ودعّم ذلك بشواهد مختلفة من الانجيل[٦]، واختار رأيا استدل عليه بحسب اعتقاده أن المقصود بـ(المؤيِّد) الذي بشر به عيسى عليه السلام هو الإمام الحسين عليه السلام يقول انطون بارا بحسب ما يعتقد: (ولو نظرنا لرأينا...

أن ليس ثمة من شهادة عظيمة أعقبت شهادة عيسى بعد مماته، سوى شهادة ريحانة الرسول الاعظم، وسليل النبوة وغذيها، وهي شهادة جرت على لسان شهيد المسيحية عيسى عليه السلام؛ لما تمثلت له أهوال شهيد الإسلام الحسين عليه السلام فوق الأرض التي زارها والتي صارت مسرحاً لشهادته... قد تأثر ولعن قاتليه، وأمر بني اسرائيل بلعنهم، وحث الذين سيدركون أيامه على القتال معه، فما هو الحجم المقياسي لشهادة الحسين عليه السلام في سفر المسلّمات الإلهية والمعادلات البشرية على ضوء ما قدمته من تضحيات عادت على العقيدة بما عادت؟ كشهادة قربت بعظمتها وخطر نتائجها وعظمها إلى حدود النبوة، وقربت شهيدها إلى حدود ما في النبوة من قدسية وخلود، فكانت ظلاً للنبوة، وكان الحسين عليه السلام شبيها بالرسل. ولا عجب في هذا المقتضي مادام لم يخرج عما أوصى به عيسى عليه السلام بني إسرائيل وما حثهم عليه من القتال مع الحسين عليه السلام، بوصف الشهادة معه (كالشهادة مع الأنبياء)، مادام لم يخرج عما اعلنه الرسول الكريم من قولته: (حسين مني وأنا من حسين) مبتدئاً إعلانه بالتركيز على كون الحسين عليه السلام منه، قبل أن يكون هو من الحسين)[٧].

ومن يتأمل بخصوصيات العلاقة بين سيد الشهداء عليه السلام والسيد المسيح عليه السلام ومن سار على نهجه من النصارى يلمس ذكراً للإمام عليه السلام وشهادته ما قبل عاشوراء وكربلاء، ومعها وبعدها، ولا عجب في ذلك ولا غرابة في تمثّل الحسين عليه السلام ومشابهته للسيد المسيح عليه السلام في الذبّ عن حرمة الدين والتضحية دونه، وإعلاء جوهر الدين والحفاظ على سرّ خلوده، فالموقف الحسيني مثّل للكتابيين بعداً رسالياً لم يكن بمعزل عن الأنبياء ورسالاتهم، بل هو عينها وفي عمق جوهرها ولبابها، ولعل في حديث السيد المسيح عليه السلام والإشارة إلى ما يجري على الإمام الحسين عليه السلام[٨] امتداد رسالي كشف عنه أهل البيت ليكون مناط تعضيد لوحدة الرسالات وتماثل مواقفها وتشابه أهلها النجباء الذين اختارهم الله على علم على العالمين، وانتخبهم من خلقه أجمعين.

وتجسد الموقف الرسالي في يوم عاشوراء المماثل والمشابه لموقف السيد المسيح – وهو اعتقاد باحث نصراني[٩] قارن بين كلام الإمام ونبي الله عيسى عليه السلام في لبّ صراعهما مع الباطل وفداء الرسالة – في الدفاع عن الحق والذبّ عن حقيقة الإسلام والقرآن؛ لذا كان الإمام في خطابه العاشورائي يقول: (ألا ترون إلى الحق لا يعمل به، وأن الباطل لا يتناهى عنه) وهو صدى قول الله تعالى في عيسى عليه السلام وقومه: (**ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ**) (مريم:٣٤) فالقضية المحورية في فداء عيسى، وشهادة الحسين عليه السلام هي إقامة الحق الذي نبذه أعداء الرسالات طلباً للفسادة والظلم، وإبطالاً للصلاح والعدل يقول الإمام الحسين عليه السلام في وصيته لأخيه محمد بن الحنفية: (وإني لم أخرج أشرا ولا بطرا ولا مفسدا ولا ظالما وإنما خرجت لطلب الإصلاح في امة جدي صلى الله عليه وآله أريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر، وأسير بسيرة جدي وأبي علي ابن أبي طالب عليه السلام فمن قبلني بقبول الحق فالله أولى بالحق، ومن رد علي هذا أصبر حتى يقضي الله بيني وبين القوم بالحق وهو خير الحاكمين)[١٠] وفي المقابل ترى السيد

المسيح عليه السلام يرد على سؤال اليهود عندما قال لهم: (الحق يحرركم، كيف تقول أنت أنكم تصيرون أحراراً، ولم نستعبد لأحد قطّ؟ فأجابهم: الحق الحق أقول لكم... إن كل من يعمل الخطيئة هو عبد الخطيئة)، وفي الآية (٤٠) من الإصحاح الثامن كذلك يقول السيد المسيح عليه السلام: (ولكنكم الآن تطلبون أن تقتلوني... وأنا الأنسان قد كلمكم بالحق الذي سمعه من الله هذا لم يعمله إبراهيم... أنتم تعملون أعمال أبيكم... انتم من أبٍ هو إبليس ذاك كان قاتّلا للناس من البدء... ولم يثبت في الحق... لأنه ليس فيه الحق، وأما أنا فلأني أقول الحق لستم تؤمنون بي... الذي من الله، يسمع كلام الله... لذا أنتم لستم تسمعون... لأنكم لستم من الله) وقال أيضاً مخاطباً اليهود والذين جاؤوا ليعتقلوه: (أعلى لص خرجتم تحملون السيوف والعصي؟، كنت كل يوم بينكم في الهيكل، فلم تبسطوا أيديكم إلى، ولكن تلك ساعتكم وهذا سلطان الظلام)[١١] وقال: (ألم يعطكم موسى الشريعة، وما من أحد منكم يعمل بأحكام الشريعة، لماذا تريدون قتلي)[١٢].

ولعل في مضامين هذا الكلام بحسب ما أعتقد شبه وتقارب من قول الإمام الحسين عليه السلام كذلك في وصف أعداء الرسالة وأعوان الظلم (وقد علمتم أن هؤلاء القوم قد لزموا طاعة الشيطان، وتولوا عن طاعة الرحمن، وأظهروا الفساد وعطلوا الحدود، واستأثروا بالفيء، وأحلوا حرام الله، وحرموا حلاله)[١٣].

ولذا يخلص الدكتور استانبوليان من خلال المقارنة بين كلام الإمام الحسين عليه السلام والسيد المسيح عليه السلام إلى انطباق دلالة ورمزية الآية القرآنية بحق نبي الله عيسى عليه السلام على الإمام الحسين عليه السلام في قوله تعالى: (**وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللهِ**) (النساء:١٥٧)، ليصل إلى عالمية وعظمة الإمام الحسين عليه السلام وصلة نهضة وعلاقتها بالكتب السماوية السابقة ويختم كلامه بقوله (لوددنا... لوكان لدينا عدة أرواح لنفديك بها جميعاً)[١٤].

هذا ملمح من عرصات عاشوراء الذي يتوحد مع الفداء المسيحي، وهو ركن أساسي في الرسالة العيسوية وقد تجسدت في شهادة الإمام الحسين عليه السلام الطريق (الذي لا يقدم عليه إلاّ المبشرون بالأديان السماوية، أو المتصدّون لانحرافها، وكان

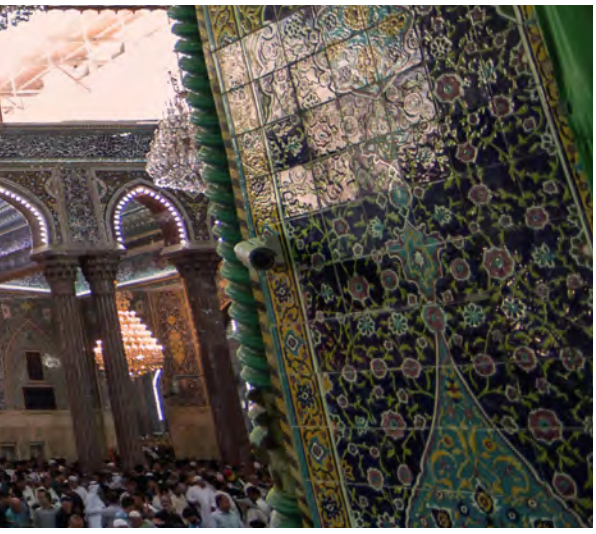

الحسين عليه السلام واحداً منهم)[١٥]؛ من هنا لنا أن نقيس هذا الفداء والتضحية ليس بمقدار ما قدمت من الأرواح الطاهرة، والنفوس الكريمة المختارة التي هي من نفس روح أكرم الأنبياء فحسب، بل لابد من مقياس آخر هو خلودها بما قدمته وما تزال من عطاء ومواهب تتجدد في كل يوم، فإذا كانت تضحيات الأنبياء والرسل السابقين

بعيدة المنال عنا، فمشهد الفداء الحسيني بكل ابعاده حاضر يجسد مواقف الأنبياء والرسل كلهم بوصفه الإمام عليه السلام الوارث للرسالات والأنبياء وهو حي مشخص فيما بيننا نستلهم منه كلّ يوم بشارة السماء[١٦]

وإذا كانت كلمات السيد المسيح عليه السلام وبكاؤه على سيد الشهداء عليه السلام معلماً من معالم تلاقي الرسالات، فإن من أهل الكتاب من سار على نهج السيد المسيح عليه السلام عندما وعى مظهراً من مقام الإمام عليه السلام، وإذا كان حق للكتابيين أن يفخروا بشيء تجاه أهل البيت عليهم السلام فلهم أن يُفاخروا بمواقف وهب بن عبدالله الكلبي[١٧] الذي نصر

الإمام الحسين عليه السلام بلسانه ويده وتجانست دماؤه مع دماء أصحاب الحسين عليه السلام الميامين في طف عاشوراء، وللكتابيين كذلك أن يفخروا بالراهب الذي احتضن رأس أبي عبد الله عليه السلام عندما نزلت سبايا آل محمد صلى الله عليه وآله في دير من أديرة الشام[١٨] وكذا الأمر لمن وقف من الكتابيين بمحضر الطاغية يزيد فأخبره بعظم جرمه بقتله سيد الشهداء وأهل الكتاب يقدسون حافر حمار عيسى في جزيرة من جزر الأرض إلى وقته[١٩].

ولا أحسب تمثيلاً ومقاربةً رساليةً تتبنُّك دلالة المشابهة بين أهل البيت عليهم السلام، وأنبياء أهل الكتاب مثل جريان السنة الربانية الواحدة في السابقين واللاحقين من عباده المخلَصين ليُعلم مقام الأنبياء والأوصياء من السماء، فعلى الرغم من اختلاف الزمان والمكان والعقائد والتشريعات إلا أنها تصدر من عين صافية واحدة■

---

١) ظ/ الثاقب في المناقب/١٩٠، ظ كذلك الفضائل/١١٩، دلائل الإمامة/١٨٠، اهل البيت في الكتاب المقدس/١١٧، البحار/٤٤.

٢) ظ/شجرة طوبى/٤٠٤/٢، معجم أحاديث الإمام المهدي عليه السلام/٤/٢٦٠، موسوعة أحاديث أهل البيت عليهم السلام/٧/٥٩. و كل ذلك لا يعني أن قصة شهادة نبي الله يحيي عليه السلام تطابق الحسين عليه السلام فذلك مما لا سبيل اليه بشهادة الإمام الحسن عليه السلام وقوله للحسين عليه السلام ((لا يوم كيومك أبا عبد

الله)) أمالي الصدوق/١٧، فلم تسبى ليحيى نساء و لم تقتل ذريته و اصحابه كالحسين عليه السلام.

٣) ظ/الارشاد/١٣٢/٢، مثير الاحزان/٢٩، عوالي اللئالي/٨١/٤، بحارالانوار/٩٠/٤٥، وجاء فيه: ((عن علي بن الحسين عليهما السلام قال: خرجنا مع الحسين فما نزل منزلا وما ارتحل منه إلا ذكر يحيى بن زكريا وقتله، وقال يوما: ومن هوان الدنيا على الله عزوجل أن رأس يحيى بن زكريا اهدي إلى بغي من بغايا بني إسرائيل)).

٤) كمال الدين وتمام النعمة/٤٦١، دلائل الإمامة/ ٥١٤، الاحتجاج /٢/ ٢٧٣، مناقب آل أبي طالب/ ابن شهر آشوب/٣/ ٢٣٧ مدينة المعاجز/٥٧/٨، بحار الأنوار/١٧٨/١٤، تفسير نور الثقلين/٣٢٠/٣ و غيرها كثير.

٥) البرهان في تفسير القرآن ٦١٩/٤/١، ظ كذلك/ تفسير نور الثقلين/٤٣٠/٤، تفسير كنز الدقائق/١٧١/١١، تأويل الآيات الظاهرة في فضائل العترة الطاهرة/٤٩٨، الخصال/٥٩، عيون أخبار الرضا عليه السلام/١٨٧/١.

٦) ظ/ مسيحيون وشيعة، عيسى زار أرض الطف/٤١٤، الحسين في الفكر المسيحي المعاصر.

٧) مسيحيون وشيعة/ عيسى زار ارض الطف/ ٤١٧-٤١٦. الحسين في الفكر المسيحي المعاصر، أقول هذا اجتهاد جميل في تحليل النص الإنجيلي للمفكر النصراني بارا، علماً أن كثيراً من المسلمين يعتقدون بأن هذا النص يشير ويبشر بالنبي الأكرام محمد صلى الله عليه وآله؛ لأن لفظ (المؤيّد) في الأصل اليوناني للإنجيل جاء بلفظ (باركلتس) اي المعزّي والمؤيد ظ/المثال نفسه/٤١٧. وحيث لا يمكن الفصل بين محمدية الحسين ورساليته التي أحيا بها رسالة جدّه فهو امتداد كذلك لرسالة عيسى عليه السلام ظ/ مسيحيون وشيعة/ ٤٢٥.

٨) لا يخفى على اللبيب أن التذكير بما يجري على الإمام الحسين إنما جاء علي ألسنة الأنبياء بما يشكل في ذلك مقاماً رسالياً اشترك في توكيده الأنبياء، ودليل على أنهم ينبعون من فيض واحد. و كان خاتمهم أكثرهم إخباراً و توجعاً و حزنا لشأنه لقربه الرسالي منه فضلاً عن كونه ابنه من الصديقة الطاهرة.

٩) هو الدكتور أوأديساستانبوليان المسيحي الأرمني.

١٠) بحار الأنوار ٣٢٩/٤٤، مناقب آل أبي طالب/ ابن شهر آشوب/٤١/٣، موسوعة كلمات الإمام الحسين عليه السلام/٣٤٥، الفتوح /٢١/٥، وغيرها كثير.

١١) يوحنا/١٩/٧

١٢) يوحنا/٢٠/٧

١٣) البحار /٤٤/ ٣٨٢.

١٤) ظ/القرآن والمسيح في وجدان الإمام الحسين عليه السلام /٦٩٦، ظ كذلك/الإمام علي مسيح الإسلام/٦٤

١٥) الإمام علي مسيح الإسلام/٦٣

١٦) ظ/ المصدر نفسه/٦٩

١٧) ظ/مناقب آل أبي طالب/ابن شهر آشوب /٢٥٠/٣، انصار الحسين/ محمد مهدي شمس الدين/١١٠.

١٨) ظ/ مدينة المعاجز/١٠٣/٤.

١٩) ظ/ ينابيع المودة/٢٩/٣، فضائل الخمسة من الصحاح الستة/٢٩٨/٣، الصواعق المحرقة/ ١٩٩.

روايات عن الإمام الحسين عليه السلام

عَنْ أَبِي عَبْدِ الله (الصادق) عليه السلام قَالَ:

إِنَّ جَبْرَئِيلَ عليه السلام نَزَلَ عَلَى مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله فَقَالَ لَه يَا مُحَمَّدُ إِنَّ اللهَ يُبَشِّرُكَ بِمَوْلُودٍ يُولَدُ مِنْ فَاطِمَةَ تَقْتُلُه أُمَّتُكَ مِنْ بَعْدِكَ فَقَالَ يَا جَبْرَئِيلُ وعَلَى رَبِّيَ السَّلَامُ لَا حَاجَةَ لِي فِي مَوْلُودٍ يُولَدُ مِنْ فَاطِمَةَ تَقْتُلُه أُمَّتِي مِنْ بَعْدِي فَعَرَجَ ثُمَّ هَبَطَ عليه السلام فَقَالَ لَه مِثْلَ ذَلِكَ.

فَقَالَ يَا جَبْرَئِيلُ وعَلَى رَبِّيَ السَّلَامُ لَا حَاجَةَ لِي فِي مَوْلُودٍ تَقْتُلُه أُمَّتِي مِنْ بَعْدِي فَعَرَجَ جَبْرَئِيلُ عليه السلام إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ هَبَطَ فَقَالَ يَا مُحَمَّدُ إِنَّ رَبَّكَ يُقْرِئُكَ السَّلَامَ ويُبَشِّرُكَ بِأَنَّه جَاعِلٌ فِي ذُرِّيَّتِه الإِمَامَةَ والْوَلَايَةَ والْوَصِيَّةَ فَقَالَ قَدْ رَضِيتُ.

ثُمَّ أَرْسَلَ إِلَى فَاطِمَةَ أَنَّ اللهَ يُبَشِّرُنِي بِمَوْلُودٍ يُولَدُ لَكِ تَقْتُلُه أُمَّتِي مِنْ بَعْدِي فَأَرْسَلَتْ إِلَيْه لَا حَاجَةَ لِي فِي مَوْلُودٍ مِنِّي تَقْتُلُه أُمَّتُكَ مِنْ بَعْدِكَ فَأَرْسَلَ إِلَيْهَا أَنَّ اللهَ قَدْ جَعَلَ فِي ذُرِّيَّتِه الإِمَامَةَ والْوَلَايَةَ والْوَصِيَّةَ فَأَرْسَلَتْ إِلَيْه أَنِّي قَدْ رَضِيتُ فَـ **(حَمَلَتْه أُمُّه كُرْهاً ووَضَعَتْه كُرْهاً وحَمْلُه وفِصالُه ثَلاثُونَ شَهْراً حَتَّى إِذا بَلَغَ أَشُدَّه وبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وعَلى والِدَيَّ وأَنْ أَعْمَلَ صالِحاً تَرْضاه وأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي)**.

فَلَوْ لَا أَنَّه قَالَ أَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي لَكَانَتْ ذُرِّيَّتُه كُلُّهُمْ أَئِمَّةً ولَمْ يَرْضَعِ الْحُسَيْنُ مِنْ فَاطِمَةَ عليها السلام ولَا مِنْ أُنْثَى كَانَ يُؤْتَى بِه النَّبِيَّ فَيَضَعُ إِبْهَامَه فِي فِيه فَيَمُصُّ مِنْهَا مَا يَكْفِيه الْيَوْمَيْنِ والثَّلَاثَ فَنَبَتَ لَحْمُ الْحُسَيْنِ عليه السلام مِنْ لَحْمِ رَسُولِ الله ودَمِه ولَمْ يُولَدْ لِسِتَّةِ أَشْهُرٍ إِلَّا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ عليه السلام والْحُسَيْنُ بْنُ عَلِيٍّ عليه السلام.

(الكافي/ للكليني/ ج١ ص٤٦٥)

سمات المنهج الإصلاحي عند الإمام الحسين عليه السلام

م.م. ساجد صباح العسكري
كلية العلوم الإسلامية – جامعة كربلاء

ينابيع لكل منهج سمات وخصائص معينة تميزه عن غيره من المناهج الأخرى وما تميز به المصلحون من أنبياء وأئمة هي وحدة المنهج .

ودائماً نجد إلى جانب منهج الإصلاح منهجاً مقابلاً له هو منهج الإفساد والإضلال، فعملية الصراع بين جند الرحمن وجند الشيطان مستمرة ما دام هناك حق وباطل وإن كانت صور الصراع بينهما متعددة والأسلحة مختلفة ما دام المنهج واحداً، لذا عندما نقرأ في زيارة وارث: (السَّلامُ عَلَيْكَ يا وارِثَ آدَمَ صَفْوَةِ اللهِ السَّلامُ عَلَيْكَ يا وارِثَ نُوحٍ نَبِيِّ اللهِ السَّلامُ عَلَيْكَ يا وارِثَ... الخ)، يتبيّن بوضوح أن الإمام الحسين عليه السلام وارث المنهج الحركي الإصلاحي الذي قاده الأنبياء عليهم السلام، كإحدى تفسيرات معنى وراثة الإمام الحسين عليه السلام للأنبياء[١] قال تعالى:(ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ)(فاطر: ٣٢)، أما المناهج الإصلاحية الأخرى فقد تختلف بالهدف وقد تشترك مع المنهج الحركي الرسالي لأن السمات تختلف ومن أبرز النماذج التي قادت عمليات الإصلاح في غير المنهج الرسالي[٢]: زرادشت[٣]، وبوذا[٤]، وكونفوشيوس[٥]، وآخرون.

السمات التي يتميز بها المنهج الإصلاحي:

للمنهج الإصلاحي الرسالي سمات متعددة نقتصر على ذكر ثلاث منها :

أولاً: الربانية

المقصود بالربانية أن تكون كل الأفعال والأقوال خالصة لله سبحانه ومستمدة شرعيتها منه وأن توزن الوسائل الحركية وفق هذا الميزان بإفراد الله سبحانه بالألوهية والعبادة والسيادة ولا اعتبار لأي حركة إصلاحية ما لم تجعل من أهم خصائصها الربانية، ففي كل حركة إصلاحية رسالية لا مكان للتوجهات الأخرى فلا مكان للتعصب العرقي أو الطائفي أو الحزبي... الخ. إذا كانت هذه التوجهات في عرض التوجه لله سبحانه.

فمبدأ الربانية من المبادئ الحاسمة التي تميز الحركات الإصلاحية الرسالية وغير الرسالية. وبذلك تتميز الحركات الضالة والأفكار المنحرفة عن حركات الإصلاح (أن الانتماء لله وحده بدلاً عن كل الانتماءات

حسن اللمان
الشهيد

الأخرى والإيمان به واستمداد كل المناهج من تشريعه، هو الذي نعني أنه صفه مميزة للعاملين في الخط الحركي الإسلامي)[٦] بشكل خاص وللخط الحركي الرسالي بشكل عام ومن هنا يتضح وبشكل جلي أن الربانية خصيصة مهمة وتعتبر قاعدة تحتية لهيكل العمل الرسالي فهي مجموعة قيم يجب أن يسير عليها كل مصلح رسالي، قال تعالى: (**صِبْغَةَ اللهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ**) (البقرة: ١٣٨).

فإذا ما كانت الحركة وفق هذا المبدأ وهذا ما يريده الله سبحانه فإن تحقق النصر حتماً سوف يحصل لأنه وعد إلهي، قال تعالى: (**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَنْصُرُوا اللهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ**) (محمد: ٧)، فإذا كانت النصرة لأجل الله فلا شك في حصول النصر فإذا تحقق الشرط تحقق الجواب، وإذا رجعنا إلى القرآن الكريم سوف نجد أن القرآن الكريم يؤكد كثيراً على هذه السمة في العمل الرسالي فكانت السمة الأبرز في حركة الأنبياء هي سمة الربانية، قال تعالى: (**لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ**) (الأعراف: ٥٩)، وقال تعالى: (**وَإِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللهَ وَاتَّقُوهُ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ**) (العنكبوت: ١٦)، وقال تعالى: (**وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ**) (الأعراف: ٦٥)، وقال تعالى: (**وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ...**) (الأعراف:٨٥).

فالتركيز على عبادة الله سبحانه في دعوة الأنبياء هي الركيزة الأساسية والمبدأ الأول الذي يسيرون عليه في حركتهم الإصلاحية، وفي المقابل نهى أشد النهي عن عدم اعتماد الربوبية كمبدأ للعمل الرسالي الإصلاحي.

وقد تجسدت هذه السمة في حركة الإمام الحسين عليه السلام الإصلاحية بشكل جلي من خلال أقواله وأفعاله وقد لا تجد هذا الوضوح في الكثير من الحركات الإصلاحية فمن أقواله عليه السلام عند خروجه إلى العراق: (... وأَنِّي لَمْ أَخْرُجْ أشِراً، وَلا بَطِراً، وَلا مُفْسِداً، وَلا ظالِماً، وَإِنَّما خَرَجْتُ لِطَلَبِ الْاِصْلاحِ في أُمَّةِ جَدّي....)[٧].

وهو القائل في دعاء عرفة: (مَاذا وَجَدَ مَنْ فَقَدَكَ وَمَا الَّذي فَقَدَ مَنْ وَجَدَكَ)[٨]،

وهو القائل عندما قدّم أصحابه وأخوته وأبنائه في سبيل الله وقد أثخن بالجراح: (صَبْراً عَلى قَضائِكَ يا رَبِّ...)[٩] وهو الباكي على أعدائه في ساحة المعركة[١٠]، لأنهم سيدخلون النار بسبب انحرافهم عن مبدأ الربانية الحقة، فكانت كل أقواله وأفعاله خالصة لله سبحانه.

وما يلاحظ على كثير من الحركات التي ادعت الإصلاح الرسالي افتقادها لهذه السمة في منهجها الحركي وهو السبب الذي قاد إلى فشلها واندثارها كالكثير من الثورات التي قادها العلويون وغيرهم وكان الهدف من ورائها السلطة، والمصالح الفئوية أو الحزبية الضيقة مبتعدة عن المنهج الرسالي الأصيل.

ثانياً: الأخلاقية

من السمات المهمة في كل حركة إصلاحية أن تتصف بالأخلاقية، وكان الهدف من بعثة الأنبياء والرسل هو تتميم الأخلاق، فقد روي عن الرسول صلى الله عليه وآله أنه قال: (إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق)[١١]، وتتضح بجلاء الممارسات الأخلاقية في

سلوكيات المصلحين، ومن الأخلاقيات المهمة هي نظافة الأساليب في التعامل مع الخصوم، فكان الرسول صلى الله عليه وآله يأمر بعدم قطع شجرة أو ضرب امرأة ...الخ[١٢].

وكان المثل الأعلى حتى وصفه القرآن الكريم:(**وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ**)(القلم: ٤)، ولما لهذه السمة من أهميّة بالغة في سلوكيات الفرد والجماعة وفي كل عمل رسالي نجد أن القرآن الكريم كثيراً ما يركز عليها في آيات عديدة منها:

قال تعالى: (**فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ**) (ال عمران: ١٥٩)، قال تعالى: (**ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ**) (النحل: ١٢٥)، وقال تعالى: (**إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا**) (النساء: ٥٨)، فكل هذه الآيات المباركة تدعو إلى الأخلاقية في كل قول وفعل.

ولو رجعنا إلى الإمام الحسين عليه السلام لوجدنا هذه السمة قد تجلت بوضوح أمام كل من يقرأ سيرته العطرة فمنذ بداية حركته كان وضحاً مع أنصاره ومع من أراد المسير معه في أنه سائر للشهادة حتى يضعهم أمام الحقيقة فقال لهم: (مَنْ كانَ باذلاً فينا مُهْجَتَهُ، وَمُوَطِّناً عَلى لِقاءِ اللّهِ نَفْسَهُ فَلْيَرْحَلْ مَعَنا)[١٣]، وبذل المهجة في معناها الظاهري هو التضحية بالروح من أجل الهدف[١٤]، وقال عليه السلام: (من لحق بي أستشهد ومن لم يلحق بي لم يدرك الفتح)[١٥]. وقد خاطب أصحابه في ليلة العاشر: (هَذا اللَّيْلُ قَدْ غَشِيَكُمْ فَاتَّخِذُوهُ جَمَلاً...)[١٦].

وكان عليه السلام لا يفرق بين أحد من أصحابه وأهل بيته في التعامل، وأما مع أعدائه (فهو الذي سقى الحُر وجيشه الماء عندما جعجع به وأضطره للنزول في كربلاء حتى أن أحد أفراد جيش الحر بن يزيد سقاه الإمام الحسين عليه السلام بيده ورشفوا خيلهم ترشيفاً)[١٧]،ولم يبدأ القوم بقتال وكان يبكي عليهم لأنهم أضلوا الطريق.

وهناك موقف في حركة الإمام الحسين عليه السلام يمكن أن يكون خير شاهد لهذه السمة وهو موقف مسلم بن عقيل عليه السلام عندما أمتنع عن قتل عبيد الله بن زياد في دار هاني بن عروة لأنه سمع حديثاً عن النبي صلى الله عليه وآله ينهى فيه عن الغدر، (أنّ الإيمان قيّد الفتك فلا يفتك مؤمن)[١٨].

قال الإمام علي عليه السلام: (لَوْلَا كَرَاهِيَةُ الْغَدْرِ كُنْتُ مِنْ أَدْهَى النَّاسِ أَلَا إِنَّ لِكُلِّ غُدَرَةٍ فُجَرَةً ولِكُلِّ فُجَرَةٍ كُفَرَةً أَلَا وإِنَّ الْغَدْرَ والْفُجُورَ والْخِيَانَةَ فِي النَّارِ)[١٩].

ثالثاً: المبدأية

سمة المبدأية من السمات المهمة في كل حركة إصلاحية فلا بد من الالتزام بالثوابت وعدم المساومة عليها مهما كلف الأمر، فلم نرَ أحداً من القادة الإلهيين ساوم على الثوابت فالله سبحانه يخاطب نبيه محمد صلى الله عليه وآله بقوله: (**قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ * لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ**) (الكافرون: ١،٢)، فهذا مبدأ لا يمكن التنازل عنه مع أنه تعرض لشتى أنواع البلاء فحوصر في شعب أبي طالب وعرضوا عليه الأموال والجاه لكنه أبى أن يساوم وكان جوابه: (واللّه لَوْ وُضِعَت الشَّمسُ في يميني والقَمَرُ في شِمالي ما تَرَكْتُ هذا القَولَ حتّى أُنْفِذَهُ أو أُقْتَلَ دُونَه)[٢٠].

وما تعرض له أمير المؤمنين عليه السلام من

صعوبات خلال فترة خلافته بسبب مبدأيته وصلابته في تطبيق الحق فكان مبدأه من أول استلامه للخلافة أن يساوي في العطاء وأن يرد الحقوق إلى أهلها وأن يقيم حدود الله وشرعه وهذا مالا يرضي الكثير عنه.

وعزل عليه السلام كثير من الولاة، فهذا معاوية الذي كان والياً على الشام في عهد عمر وعثمان فقد عزله في أول حكمه وقال له خاصته: لو تركت معاوية على الشام حتى يستتب الوضع وتستقيم لك الأمور فإن عزله الآن يدفعه إلى التمرد ولكن مبدأيته التي تعلمها من رسول الله صلى الله عليه وآله تأبى ذلك، وقد عزل أحد ولاته لأنه شارك الأغنياء أكلهم وترك الفقراء[٢١].

وفي نهضة الإمام الحسين عليه السلام نجد أن المبدأية من أهم سمات نهضته فكان شعار الإمام الحسين عليه السلام الأول: (مثلي لا يبايع مثله)[٢٢] وفي أول خروجه كان يأمر أصحابه بتوطين النفس على طاعة الله سبحانه قال الإمام الحسين عليه السلام: (مَنْ كانَ باذلاً فينا مُهْجَتَهُ، وَمُوَطِّناً عَلى لِقاءِ اللّه نَفْسَهُ فَلْيَرْحَلْ مَعَنا)[٢٣].

وفي طريقه إلى كربلاء ومع حاجته إلى النصر يقول له أحدهم إن عليّ ديناً فيقول له الإمام عليه السلام اذهب واقضي دينك[٢٤] فالإمام لا يريد أن يكون في أنصاره من في ذمته دين■

---

١) ينظر جنة الحوادث في شرح زيارة وارث للشريف الكاشاني: ٢٧.

٢) نقصد بالمنهج الرسالي ما يعتمد على رسالة سماوية أما المنهج غير الرسالي فهو الذي ينبع من ديانات أرضية من نتاج البشر أنفسهم.

٣) زرادشت: وهو زرادشت بن يورشب ظهر في زمن ملك الفرس (كشتاسب بن لهداسب) وأسس الديانة الزرادشتية (المجوسية) ويعتقدون أنه كان نبياً وكان يرى أن النور والظلمة هما مبدأ الوجود ومن أمتزاجهما حصل الخير والشر (ينظر الملل والنحل: ٢٣٦/١).

٤) بوذا: واسمه سذهاتا ومعنى بوذا: العارف المستيقظ والعالم المتنور ولد في شرق الهند سنة (٥٦٣ ق.م) من عائلة لها السيادة على القبيلة أتجه إلى حياة الزهد فسكن الجبال ومن هناك انطلقت فكرة تأسيس الديانة البوذية والتي اهم فلسفتها التناسخ وإن مصدر الألم الشهوات (ينظر مقارنة أديان العالم، أديان الهند، أجمد الشبلي: ١٦٢ ومابعدها).

٥) كونفوشيوس: وهو الفيلسوف الصيني الذي ولد سنة (٥٥١ ق.م) من عائلة فقيرة ومعنى كونفوشيوس المعلم وكانت الصين في وقته تعيش أوضاعاً سيئة فانطلقت فكرة تأسيس الديانة الكونفوشية لتغييير الواقع السيء ثم أصبحت فيما بعد دين الصين الرسمي (ينظر: أضواء على الاديان في العالم، محمود محيي الدين: ٣٣٤ وما بعدها).

٦) المنهج الحركي في القران: ٢٣

٧)بحار الانوار/المجلسي/ج٤٤ص٣٢٩

٨) بحار الانوار/المجلسي/ج٩٥ص٢٢٦.

٩) ينابيع المودة للقندوزي: ٨٢/٣

١٠)الأخلاق الحسينية: جعفر البياتي: ٢٧٢

١١) بحار الأنوار: ٦٧/ ٣٧٢

١٢) ينظر الكافي للكليني: ٢٩/٥

١٣) اللهوف في قتلى الطفوف/ابن طاووس: ص٣٨

١٤) المهجة في اللغة هي دم القلب أو خالصة النفس والروح (ينظر الصحاح للجواهري: ٣٤٢/١، لسان العرب: ٢/ ٣٧٠)

١٥) كامل الزيارات: ١٥٧.

١٦) مثير الأحزان، ابن نما الحلي: ٣٨

١٧) الإرشاد للشيخ المفيد: ٢/ ٧٨.

١٨) مقاتل الطالبيين/ أبو الفرج الأصفهاني/ص٦٥.

١٩) الكافي/للكليني/ ج٢ص٣٣٨.

٢٠) تفسير جوامع الجامع/الطبرسي/ج٣ص١٨٦.

٢١) ينظر نهج البلاغة: ٧٠/٣

٢٢) بحار الأنوار: ٣٢٥/٤٤

٢٣)اللهوف في قتلى الطفوف/ابن طاووس:ص٣٨

٢٤) مقتل الحسين، أبو مخنف الأزدي: ١٠٨.

مسجد الإمام الحسين عليه السلام في القاهرة بمصر

يقع المسجد في القاهرة القديمة في الحي الذي سمى باسم الإمام (حي الحسين) وبجوار المسجد أيضا يوجد خان الخليلي الشهير والجامع الأزهر.

بني المسجد في عهد الفاطميين سنة ٥٤٩ هجرية الموافق لسنة ١١٥٤ ميلادية تحت إشراف الوزير الصالح طلائع، ويضم المسجد ٣ أبواب مبنية بالرخام الأبيض تطل على خان الخليلي، وبابًا آخر بجوار القبة ويعرف بالباب الأخضر.

سمي المسجد بهذا الاسم نظرًا لاعتقاد البعض بوجود رأس الإمام الحسين عليه السلام مدفونًا به، إذ تحكي بعض الروايات أنه مع بداية الحروب الصليبية خاف حاكم مصر الخليفة الفاطمي على الرأس الشريف من الأذى الذي قد يلحق بها في مكانها الأول في مدينة عسقلان بفلسطين، فأرسل يطلب قدوم الرأس إلى مصر وحمل الرأس الشريف إلى مصر ودفن في مكانه الحالي وأقيم المسجد عليه.

الأبعاد الاستراتيجية في فكر الإمام الحسين عليه السلام

حيدر الجد/مدير التحرير

ينابيع

لم تكن واقعة كربلاء معركة عابرة التقى فيها جيشان كما هو الحال في المعارك الأخرى فانتصر أحدهما وانهزم الآخر في ساعة ليقفل فيها التاريخ أحداثها ويضعها صفحة من صفحات كتابه.

لقد سجلت هذه الواقعة حضوراً مهماً، فهي الواقعة الوحيدة التي تم الحديث عنها وهي بعد لم تقع بما أخبر به النبي الأعظم صلى الله عليه وآله أم سلمة كما في حديث القارورة أو ما أخبر به الإمام علي عليه السلام ابن عباس وما أخبر به الإمام الحسن عليه السلام أخاه الإمام الحسين عليه السلام عندما قال له ولا يوم كيومك يا أبا عبد الله[1]، ثم لتستمر هذه الواقعة محفزاً لنهضات وثورات هنا وهناك ولتبقى معانيها السامية ليومنا هذا.

ومن يستطلع كتب السير والتاريخ والمقاتل يلاحظ أن الإمام الحسين عليه السلام لم يشر من قريب أو بعيد إلى إمكانية النصر المادي على العدو، بل كانت كلماته عليه السلام كلها تصب في الشهادة حيث أعلن عليه السلام في أول بيانات نهضته: (من لحق بي منكم أستشهد معي، ومن تخلف لم يبلغ الفتح والسلام)[2]، والفتح هنا ليس بمعنى الانتصار المادي على الجيش الأموي ودخول الكوفة فاتحاً واستلام مقاليد الخلافة من الأمويين، بل الفتح هو تحقيق إرادة السماء في ديمومة الإسلام وحفظه من مخططات الأعداء ممن أرادوا هدم قواعده ووأد تعاليمه وانجازاته، كما قد يكون المعنى الذي أراده سيد الشهداء عليه السلام هو ما بعد الشهادة، فالمرتبة التي ينالها الشهيد تجيز له أن يكون فاتحاً، وهل يوجد فتح أعظم من تبوؤ مقعد صدق عند مليك مقتدر.

ولكن هناك تساؤلاً: هل كان الإمام الحسين عليه السلام مخططاً لأبعاد هذه الحرب، مستخدماً الأساليب العسكرية بإستراتيجياتها المعنوية والمادية؟، وهذا يعني أنه - وبالرغم - من يقينه التام بما ستؤول إليه نتيجة الحرب من استشهاده واستشهاد رجال أسرته وأصحابه وسبي أهل بيته ونهب ماله وحرق أبياته، سيقوم بدور القائد بكل ما تعنيه هذه الكلمة أم سيقتصر دوره القيادي باعتباره إماماً على الوعظ والإرشاد ثم يقاتل القوم ساعة هو وأصحابه ليقتلوا وينتهي كل شيء.

هذا التساؤل المطروح نجد جوابه فيما سنعرضه من فعاليات قام بها الإمام الحسين عليه السلام تثبت قيادته العسكرية الناجحة رغم قلة جيشه ومعداته الحربية والتي سنعقد فيها

مقارنة بين الجيشين قبل بيان تلك الفعاليات.

قبل الإجابة على التساؤل علينا أن نعرف مصطلح الإستراتيجية، وهو مصطلح عسكري بالأساس، عرف به اليونانيون الخطط الحربية قديماً، أو هو فن التخطيط للعمليات العسكرية قبل نشوب الحرب وفي نفس الوقت هو إدارة تلك العمليات عقب نشوب الحروب[٣]، تعكس الإستراتيجية الخطط المحددة مسبقاً لتحقيق هدف معيّن على المدى البعيد في ضوء الإمكانات المتاحة أو التي يمكن الحصول عليها.

تقودنا نتيجة التساؤل المطروح أولاً إلى تساؤل آخر وهو: لماذا يخطط الإمام الحسين عليه السلام ويدير الحرب وهو يعلم أنه مقتول وأن النتيجة المادية ستكون لصالح العدو؟

أولاً) الجيشان: نظرة مقارنة:

لا يخفى على أحد الفرق الشاسع في عدد المقاتلين بين المعسكر الحسيني والمعسكر الأموي فقد بلغ عدد أصحاب الإمام الحسين عليه السلام في بعض الأرقام ٨٢ رجلاً، منهم ٣٢ فارساً و٤٠ راجلاً كما هو المعروف، ومن المؤرخين من قال كان عددهم ١١٠، وقد وصلت بعض الإحصائيات فيما روي عن الإمام الباقر عليه السلام إذ قال: كانوا خمسة وأربعين فارساً ومائة راجل[٤]، بينما بلغ عدد الخارجين إلى حربه ٣٠٠٠٠ رجل حسب خبر تكامل الجيوش عند ابن سعد[٥]، ومن الطبيعي أن يكون هذا العدد حاوياً على جميع الصنوف العسكرية المعروفة والسائدة آنذاك، كالخيالة والرجالة والرماة وغيرهم.

أما السلاح فقد قاتل أصحاب الإمام الحسين عليه السلام بالسيوف، وغاية ما يصل العدد إلى ١٤٠ سيفاً أو أكثر منه بقليل، أما الرمي بالسهام فقد تميز به هلال بن نافع وأبو الشعثاء الكندي فقط والظاهر أنهما كانا متخصصان برمي السهام، ماهرين في هذا الفن الذي لا يجيده إلا القلة، في حين نرى الجيش الأموي امتلك مختلف الآلات العسكرية من سيوف ورماح ونبال وأقواس، كما حارب البعض ممن لم تتوفر له تلك الآلة بالوسائل البدائية كالحجارة وعظام الدواب، في حين لم نجد من أصحاب الإمام الحسين عليه السلام من لجأ إلى هذه الطريقة الرخيصة في الحرب، وإذا أخذنا بأن عدد الأنصار وصل إلى ١٤٥ رجلاً فإن نسبة الجيش الحسيني تبلغ حوالي٠,٤٨٣٪ من الجيش الأموي.

ثانياً) إستراتيجيات الإمام الحسين عليه السلام:

لقد مارس الإمام الحسين عليه السلام الدور القيادي بكل معانيه، فقد قسم نشاطه إلى دورين، دور التوجيه المعنوي والتعبئة، حيث كان يركز على تعريف جمهور المسلمين بأهداف حركته المباركة وإعلام من سيصحبه من المقاتلين بنيل شرف الشهادة، وكان يستخدم الطريقة المباشرة عند كلامه عن المعركة المرتقبة، ويتجلى هذا الموقف مع عبيد الله بن الحر الجعفي عندما لقيه في حصن بني مقاتل وطلب منه الانضمام لجيشه، فقد كانت محاورته مع عبيد الله الجعفي محاورة كاشفة عن أسلوب الإمام في تعامله مع المقابل بكل شفافية ووضوح، ولما يئس من انضمامه قال: (ما كنت متخذاً المضلين عضدا)[٦].

كما تمثل في الإمام الحسين عليه السلام الخلق الإسلامي الرفيع الذي يتوجب على القائد أن يحمله وهو بذلك يسير بسيرة جده وأبيه، فلم يجهز على جريح ولم يتبع شريداً ولم يستخدم ضرورات الحياة كورقة للضغط على الأعداء، بل كان عليه السلام يبكي عليهم لأنهم سيدخلون النار بسبب قتله عليه السلام على أيديهم،

وكم تأمّل خيراً في هدايتهم وسعى بكل ما أوتي من قوة لإنقاذ أكبر عدد منهم، كما لم يمنعهم الماء كما فعلوا معه، فعندما التقى بجيش الحر كانوا على وشك الهلاك بالعطش، فسقى الجيش عن آخره، وكان يسقي بعض من سيشترك بقتله بيده الكريمة.

أما الدور الآخر فهو الدور العسكري، حيث يتجلى دوره هذا فيما سنذكره أدناه:

١) الاستطلاع قبل المعركة: كان هلال بن نافع من أخص أصحاب الإمام الحسين عليه السلام وأكثرهم ملازمة له، خصوصاً في مضان الاغتيال، ولما رأى الإمام الحسين عليه السلام خرج في جوف الليل إلى خارج الخيام يتفقد التلاع والعقبات تبعه نافع، فسأله الإمام الحسين عليه السلام عما أخرجه قال: يا بن رسول الله أفزعني خروجك إلى جهة معسكر هذا الطاغي، فقال الإمام الحسين عليه السلام: إني خرجت أتفقد التلاع والروابي مخافة أن تكون مكمناً لهجوم الخيل يوم تحملون ويحملون[٧].

٢) تأمين الجبهة الداخلية: وفي ذلك قام عليه السلام بأعمال عدة منها:

أ- أمر بحفر خندق يحيط بالخيام ويكون على شكل هلال بحيث تكون الخيام خلف الجيش، ويحيط الخندق بالخيام من جهة الخلف[٨].

ب- أمر برمي قصب وحطب بالخندق ليتم إشعاله عند بدء العمليات الحربية حماية للجبهة الخلفية من اختراقها من قبل الأعداء[٩].

ج- أمر أصحابه أن يقرّبُ بعضُهم بيوتَهم من بعض[١٠].

د- أن يدخلوا الأطناب بعضها ببعض[١١].

هـ- أن يكونوا بين البيوت فيستقبلوا القوم من وجه واحد، والبيوت من ورائهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم، وقد حفّت بهم إلا الوجه الذي يأتيّنهم منه عدوهم[١٢].

٣) تقسيم القطاعات العسكرية: كان التقسيم السائد آنذاك هو الميمنة والميسرة والقلب والجناحان والساقة، ولكن الإمام ونظراً لقلة جيشه أختصر ذلك على (ميمنة وجعل قائدها زهير بن القين، وميسرة وعليها حبيب بن مظاهر الأسدي، وهو عليه السلام كان على القلب، وأعطى الراية بيد أخيه العباس بن علي عليه السلام[١٣].

٤) فرض أسلوب القتال: استطاع الإمام الحسين عليه السلام فرض أسلوب الحرب طيلة ساعات القتال لحين استشهاد أغلب أصحابه، وبيان النقص الواضح فيهم، فقد اختار أسلوب المبارزة الشخصية، حيث يبرز المقاتل ليلاقي نظيره من المقاتلين، فيقتل ويقتل إلى أن يقتل، وقد اعتمد الإمام هذا الأسلوب عندما حمل الهاشميون حملة واحدة وانجلت المعركة عن مقتل خمسين مقاتل منهم فقال عليه السلام: صبراً يا بني عمومتي صبراً يا أهل بيتي، فو الله لا رأيتم هواناً بعد هذا اليوم أبداً[١٤]. فقد أراد الحسين عليه السلام كسب أكبر مدة من الوقت ليبين خلالها ومن خلال خطبه وأحاديثه أهدافه السامية ويحاول هداية أكبر عدد من المضللين الذين جاؤوا للحرب دون معرفة، أو هزتهم العبارات الرنانة التي رفعت بالكوفة التي تمجد جيش الشام، أو خافوا من بطش عبيد الله بن زياد وهو يتوعد من يراه في الكوفة بإنزال أقصى العقوبات بحقه إن لم يلتحق بالقطعات العسكرية المتوجهة إلى كربلاء لحرب سبط رسول الله صلى الله عليه وآله، وكم كان الشاعر المرحوم الشيخ حمادي الكواز الحلي موفقاً حينما صوّر الأعداد المهولة لأفراد الجيش بقوله:

جـــاءت وقـــائدهـــا العمى وإلى
حرب الحسين يقودهـــا الجهلُ

بجحافل بالطف أولها
وأخيرها بالشام متصّلُ

وهذا ما لاحظه عمر ابن سعد لما قال لجيشه: ويحكم اهجموا عليهم هجمة رجل واحد[١٥]، لأنه علم أن هذا الأسلوب العسكري الذي تبناه سيد الشهداءعليه السلام سيؤدي إلى استنزاف في أصحابه وضعفهم النفسي والجسدي وقد يتحولون في أي لحظة للمعسكر المقابل، فهم يرون أمامهم فتية وشباباً وكهولاً يرتطمون بالموت ارتطاماً ولا يخشون حرارة السيوف وألم الحديد، فيكاد الشك يأتي عليهم، فقد أيقنوا بالخسارة الجسيمة التي ستلحق بهم جراء خذلانهم ابن رسول الله ونصرهم يزيد الطاغي المجرم، مما جعله يسرع من وتيرة القتال لضمان القضاء على الجيش المقابل بأقل وقت وبأقل عدد من قتلى جيشه.

٥) جغرافية أرض الواقعة:

من خلال الحديث المتقدم في فقرة الاستطلاع قبل المعركة نلاحظ ورود كلمات التلاع والعقبات والروابي، فالتلاع جمع تلعة وهو ما ارتفع من الأرض وما هبط منها وهي من الأضداد[١٥]، أما العقبات فهي جمع عقبة، المرقى الصعب من الجبال[١٦]، أما الروابي، جمع رابية فهي المكان المرتفع من الأرض[١٧]، وهذا الحديث يلقي نظرة على تضاريس أرض الواقعة، فبرغم بعد معسكر الإمام الحسينعليه السلام عن نهر الفرات نسبياً بسبب عدم تمكين الحر الإمام الحسينعليه السلام من النزول على أرض قريبة من النهر، إلا أن الإمام الحسينعليه السلام نزل أرضاً وعرة تحيط بها المرتفعات والمنخفضات، وهذا ما يلاحظ في موقع قبره الشريف حيث يقع في منخفض بينما نجد التل الزينبي يرتفع عن الأرض الطبيعية، فقد ابتعدعليه السلام عن الأرض المنبسطة التي تصلح لاضطراد الخيل وحركتها إلى أرض وعرة حتى يعيق تقدمها نحو الخيام، ويجعل أسلوب القتال الذي ستفرضه الظروف بيده ولو لفترة وجيزة.

٦) التعبئة:

كما بيّنا فقد استثمر الإمام الحسينعليه السلام كل فرصة مؤاتية للتعريف بمغزى نهضته المباركة ورسم خطوطها العامة أمام جمهور المسلمين ليبقى التاريخ شاهداً على أحقية وثبته بوجه الطغاة الذين أرادوا وأد الإسلام وضرب قواعده بكل ما أتيح لهم من قوة.

لقد نجح الإمام الحسينعليه السلام أيّما نجاح في أسلوبه التعبوي الذي اعتمده في حواراته مع من التقى بهم في المدينة المنورة أو في مكة أو أثناء الطريق وحتى في كربلاء إبان بدء المعركة، وكيف لا ينجح وهو الإمام الجامع للصفات العالية والأخلاق الفاضلة وقد نشأ وتربى في دار الوحي والرسالة وشبّ في كنف البلاغة والبطولة، فكان كلامه نور لمن دخل الإيمان قلبه، وسرعان ما يتحول عما هو عليه إلى موكب الإمامعليه السلام، وهذا ما حصل مع زهير بن القين، فبمجرد أن اجتمع به سيد الشهداءعليه السلام زال ذاك الحاجز الصلد عن عينيه ورجع عن عثمانيته ليكون قائداً على ميمنة جيش الأنصار.

٧) المباشرة الشخصية بالقتال:

لم يبق الإمام الحسينعليه السلام حينما دارت رحى الحرب في خيمته يراقب الوضع عن بعد، لائذاً بجيشه كما هو الحال مع أعدائه، بل كان ينزل الساحة بين تارة وأخرى فكان يمشي إلى الشهداء في مواضع استشهادهم سواء كانوا من أصحابه أو من أهل بيته، وكم شدّ بسيفه على قاتلي أنصاره فقتلهم.

٨) الخبرة والتمرس:

لم يأت الدور القيادي الذي اضطلع به

الإمام الحسين عليه السلام من دون ممارسة سابقة، وبالرغم من كونه إماماً يملك قابليات وقدرات خاصة مكنته منها الإمامة إلا أن الأوضاع في يوم عاشوراء جرت على طبيعتها فلم تتدخل قوى غيبية في نصرة سيد الشهداء أو مده بالماء لإنقاذ أسرته من شبح الموت عطشاً.

لقد لعبت خبرة الإمام الحسين عليه السلام دوراً هاماً في توجيهه للمعركة، فقد كان مشاركاً في حروب الجمل وصفين والنهروان، فاخذ من أبيه الشيء الكثير في إدارة الحرب وحسم النتائج.

ولما لم يبق معه أحد ينصره، نزل إلى المعركة ليباشر القتال بنفسه، هذا وقد أخذ التعب والحر والجوع والعطش والمصائب المتتابعة بفقد الولد والأخوة والأسرة والأصحاب منه مأخذاً ولكنه لم يخضع ولم يساوم على موقفه، ومع هذه الأمور التي إذا صادفها القائد بكل تفاصيلها التي واجهها سيد الشهداء عليه السلام فسيضطر للحلول الحرجة التي لا تفلت من مدار الاستسلام والقبول بالواقع المفروض مهما كان مرّاً، ولكن الإمام الحسين عليه السلام ظل صاحب المبادرة فقد نظم ثلاث حملات بمفرده، وكانت خيام عائلته مركزه الذي ينطلق منه إلى الميدان، وكانت شهادته –وإن كانت بأبشع الصور التي صورها التاريخ حيث الذبح عطشاً - دليلاً على نجاحه اللا محدود في تحقيق هدفه الأسمى.

٩) استخبار عزائم ونوايا الأتباع:

القائد الناجح سواء كان قائداً في الميدان العسكري، أو في الميدان الإداري يكون على مستوى عالٍ في إدراك نوايا أتباعه، ممن يسير معه وهذا يعود غالباً إلى مقدرة القائد في التمييز وقابليته على قراءة الأسرار من خلال الخبرة المتراكمة لديه، وهذا ما حصل مع الإمام الحسين عليه السلام فقد كان يعلم بوضع كل عنصر من عناصر جيشه، حتى من حيث مكانته الاجتماعية ووضعه الأسري، ونرى ذلك جلياً في قول السيدة زينب عليها السلام لأخيها الإمام الحسين عليه السلام: أخي، هل استعلمت من أصحابك نيّاتهم؟ ، فإنّي أخشى أن يسلموك عند الوثبة واصطكاك الأسنّة ! فبكى عليه السلام وقال: أما وَاللّه ! لَقَدْ بَلَوْتُهُمْ وَلَيْسَ فيهِمُ إلاّ الأَشْوَسَ الأَقْعَسَ يَسْتَأْنِسُونَ بِالْمَنِيَّةِ دُونَي اسْتِئْناسَ الطِّفْلِ بِلَبَنِ أُمِّه)[١٨].

كان الأنصار عبارة عن مزيج من شخصيات انحدرت من مجتمعات كوفية ومدنية ومكية وبصرية وبدوية، وفيهم السيد المطاع في قومه والعبد المملوك ومابين هاتين الطبقتين تتفاوت طبقات الأنصار، ولم تلعب هذه الطبقية دوراً في تقديم الحر على العبد أو المالك على المملوك بل انزاحت مع المظاهر الدنيوية وأصبحت الشهادة المرتبة العليا التي ألغت الطبقية وشكلت طبقة جديدة بمواصفات مذهلة اسمها طبقة شهداء الطف.

١٠) التحشيد الإعلامي:

لعل السر الأكبر في اصطحاب الإمام الحسين عليه السلام عائلته يكمن في الدور الإعلامي الذي ستقوم به العائلة بعد استشهاده عليه السلام، فالقائد ينتهي دوره الميداني المادي بمجرد قتله، وهنا يأتي دور الإعلام، فإذا كان فاعلاً، محركاً للعواطف والمواقف، كانت حركة القائد خالدة موفقة إلى حد بعيد في تحقيق أهدافها وديمومتها، وهذا الأمر أدركه تماماً أبو الشهداء عليه السلام، إذا كانت مسألة اصطحاب العيال أمراً لا يفارق تفكيره، فقد فكر في هذا الأمر ملياً، ووجد أن شهادته عليه السلام لا تكون وحدها الحل الشافي لما تمر به الأمة آنذاك من إرهاصات تهدد المجتمع

الإسلامي بفك روابطه وإعادة إنتاج مجتمع وثني جاهلي كما كان من قبل، فأعد العدة لتكون العائلة معه، وإنها ستتحمل من الأذى ما لا يطاق، فستشاهد صوراً من العذاب النفسي والجسدي على يد أناس أجلاف لا يحملون في عقولهم أية مشاعر تربطهم بالطبيعة الإنسانية.

لم يعلن عليه السلام عن السبب الحقيقي في حمله النساء فقد كانت إجاباته عليه السلام إقناعية غايتها إفهام السائل إن الأمر منوط بمشيئة الله جل جلاله، لذا فقد سأله عبد الله بن عباس: (فإن كنت قد عزمت على الرحيل، فما معنى حملك النسوة معك: فقال عليه السلام: شاء الله أن يراني قتيلا، وشاء أن يراهن سبايا على أقتاب المطايا)[١٩].

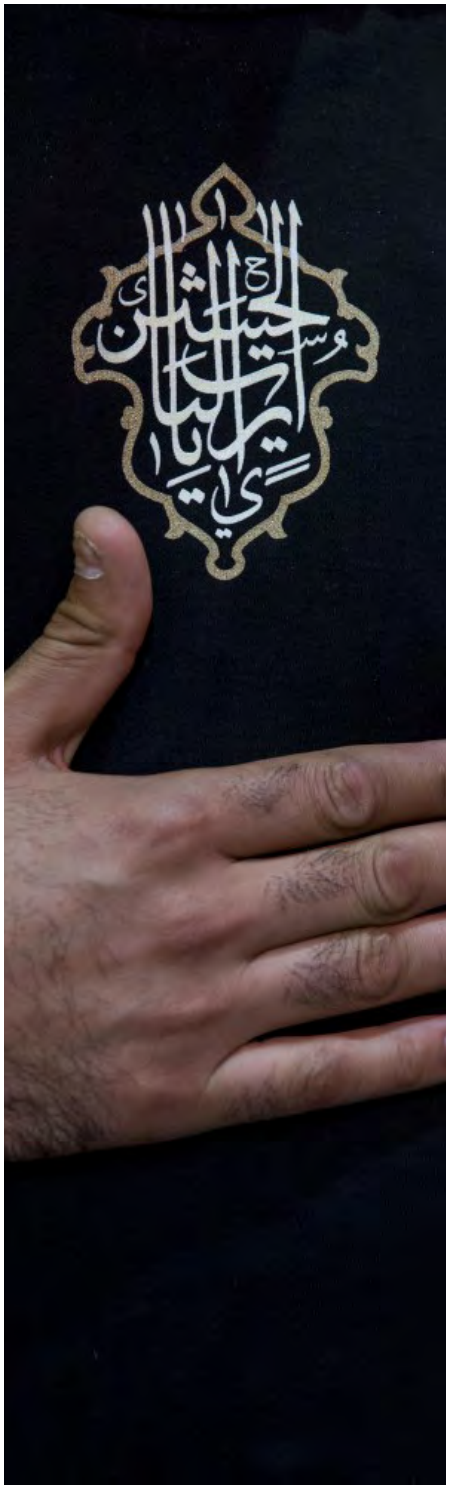

المصادر

١) ابن شهراشوب، المناقب، ٢٢٨/٣.

٢)ابن نما، ذوب النضار، ص٢٩.

٣) www.wikipedia.com بحث حول مصطلح الإستراتيجية.

٤)العلامة المجلسي، البحار، ٤/٤٥.

٥)المصدر السابق، ٣٨٥/٤٤.

٦) الصدوق، الأمالي، ص٩٤، مجلس ٣٠.

٧)الحسن، ليلة عاشوراء في الحديث والأدب، ص٤٦.

٨)الطبري، تاريخ، ٢٤٠/٦.

٩) المصدر السابق.

١٠) المصدر السابق.

١١) المصدر السابق.

١٢) المصدر السابق.

١٣) المفيد، الإرشاد، ٩٥/٢.

١٤) ابن طاووس، اللهوف على قتلى الطفوف، ص٦٨.

١٥) البغدادي، خزانة الأدب، ٧٠/٩، الزبيدي، تاج العروس، ٤٦/١١.

١٦) معلوف، المنجد، ٥١٨.

١٧) ابن كثير، تفسير، ٢٥٦/٣.

١٨) شرف الدين، المجالس الفاخرة، ص٢٣١.

١٩)القرشي، حياة الإمام الحسين عليه السلام، ٢/ ١٦.

من أرجوزة للشيخ هادي آل كاشف الغطاء
الإمام الحسين عليه السلام ينعى نفسه:

واعتزل الحسين وهو ينشد ... وسيفه أمامه مجرد
يا دهر أف لك من خليل ... كم لك بالإشراق والأصيل
من صاحب أو طالب قتيل ... والدهر لا يقنع بالبديل
وكل حي سالك سبيلي ... ما أقرب الوعد من الرحيل
وقد وعت هذا النشيد زينب ... وكاد قلبها له ينشعب
قالت أخي يا عزيز أهلي ... هذا كلام موقن بالقتل
قال لها نعم أيا أختاه ... قالت له بعدك وا ثكلاه
ينعى إلي نفسه الحسين ... يقول قد دنا إلي الحين
وشققت جيوبها النساء ... وقد علا العويل والبكاء
وأم كلثوم غدت تنادي ... تندب بالآباء والأجداد
وا أبتاه وا محمداه ... ووا عليّاه ووا أخاه
تقول وا ضيعتنا جميعا ... بعدك إذ تغدوا لقى صريعا
قال تعزي بعزاء الله ... وفوضي الأمر إلى الإله
فكل من فوق الثرى لا يبقى ... وإن سكان السماء تفنى
صبرا إذا أنا قتلت صبرا ... فلا تقلن بعد قتلي هجرا
ولا تشقن علي جزعا ... جيبا وإن جل المصاب موقعا
وقد روى المفيد في الإرشاد ... مذ سمعت زينب بالإنشاد
قامت تجر الثوب وهي حسرى ... إلى أخيها لا تطيق صبرا
قالت له يا ليت إن موتي ... أعدمني الحياة قبل الفوت
اليوم ماتت أمي الزهراء ... وماتت الاخوة والأبناء

(ليلة عاشوراء في الحديث والادب/ الشيخ عبد الله الحسن/ ص٣٩٤)

الحسن والحسين عليهما السلام
(بين الصلح والنهضة)

حامد شاكر منيب
باحث وكاتب

ينابيع من المسلمات الثابتة والتي ليس فيها أدنى شك أو التباس هو أن أدوار الأئمة عليهم السلام جاءت منسجمة مع حياة الأمة وسياسة الحكام، كلٌ مع زمنه وحسب مقتضيات ومستلزمات وإرهاصات المرحلة أو الدور الذي يعيشه الإمام عليه السلام، وكذلك أسلوب الحاكم وطبيعة الموقف والاستراتيجية وأسلوب التحرك مع قراءة واعية وصادقة وشجاعة لكل تلك الأحداث كي يخرج الإمام عليه السلام بحصيلة نهائية عند الأسلوب الأفضل والأمثل لتحركه والعمل بالوسيلة (الصائبة والمتاحة) التي يجب على الإمام اتخاذها حيال ذلك كله لكي يكون عاملاً إيجابياً ومؤثراً ومصححاً لانفلاتات وطيش وتخبط ذلك الحاكم من أجل أن يحافظ ولو على الخطوط العريضة أو ركائز الدين في أصوله وفروعه وآدابه، وذلك درءًا ومنعاً للانحرافات الكبيرة والتي من الممكن أن ينزلق الدين بسببها إلى طرق شديدة الوعورة لا عودة فيها، وقد يصل الحال ألا يكون هناك أمل في العودة، لولا الأدوار والمهام التي قام بها وضحى من أجلها جميع الأئمة عليهم السلام بلا استثناء. وعلى هذا الأساس يرى الدارس في التاريخ الإسلامي عموماً وفي تاريخ وسير أهل البيت عليهم السلام خصوصاً بأن أئمة أهل البيت عليهم السلام قد اتخذ كل منهم طريقاً وأسلوباً ومنهجاً خاصاً به تبعاً للظروف التي يمر بها ، وقد تبدو هذه الأساليب والمناهج مختلفة في ظاهرها، لكنها ثابتة

الغايات والمطالب في الجوهر، تسير جميعاً نحو طريق واحد وغاية واحدة هي الحفاظ على لب الإسلام وجوهره وذلك من خلال الصفوة من أهل البيت عليهم السلام والأصحاب الأخيار الذين لا تخلو الأرض منهم، ولو أدى ذلك إلى التضحية بالنفس والنفيس من أجل عدم إعطاء الشرعية وعدم تمكين هذا الإرهاب السلطوي من أن ينمو ويكبر في جسد الأمة، وهو نمو سرطاني كبير إن امتد فإنه سيوصل الأمة إلى الموت والفناء.

وكثيراً ما كان الحكام المتسلطين على رقاب الناس يمارسون أقسى الطرق في الأذى والتنكيل مع هذه الثلة الطيبة المباركة، في حين استمروا ودأبوا على تقريب الخونة الفاسدين الفاسقين ممن يسوغ لهم الحكم ويضع ما يحلو لهم من أخبار وأحاديث كاذبة تثبت أركان حكمهم وتقنع الجهلة من الأمة بأنهم حماة الدين ولا يصح إلا بهم، بل لا يكون هناك أي وجود من غير وجودهم.

وانطلاقاً مما ذهبنا إليه آنفاً فقد اتخذ كل إمام معصوم الطريقة الملائمة والمناسبة لمرحلته لمخاطبة الأمة والسمو بها نحو المقاصد المباركة للدين الإسلامي الحنيف.

فعلى سبيل المثال لا الحصر، أن الإمام السجاد عليه السلام وبعد فاجعة الطف، وقد جعلته السلطة الأموية تحت انظارها مسخرة عيونها ضده محصية أنفاسه خشية أن يقوم بنشاط سياسي أو اجتماعي يفسد عليهم سلطتهم ويفضح بدعهم، ففي هذه الظروف اتخذ عليه السلام الدعاء منهجاً لنشر الفكر الإسلامي الأصيل وقيمه وأحكامه وأخلاقه، ومراجعة بسيطة للصحيفة السجادية تظهر وبوضوح منهجية الإمام عليه السلام التي بثها من خلال تلك الأدعية.

أما الإمامان الباقر والصادق عليهما السلام فحينما وجدا فسحة بسيطة من حرية الحركة لنشر الإسلام الأصيل ومحاربة البدع التي ظهرت هنا وهناك في المجتمع الإسلامي، فقد تصديا إلى فتح أبواب الدرس والتعليم للدارسين ونشر الفكر المحمدي الأصيل المتمثل بفكر أهل البيت عليهم السلام ورد الشبهات والبدع، فقد كثر في عصرهما الدارسين والناقلين لحديثهما وفي مختلف العلوم والمعارف الدينية والدنيوية كعلوم القرآن وتفسيره والحديث الشريف واللغة والأدب والمنطق، وكذلك الكيمياء والرياضيات والفلك والطب والحساب والنجوم وغيرها من العلوم، وهذا الحسن الوشاء يحكي لنا ازدهار مدرسة الإمام ـ الصادق ـ في العراق في تلك الظروف، فيقول: (أدركت في هذا المسجد (يعني مسجد الكوفة) تسعمائة شيخ كل يقول: حدثني جعفر بن محمد، وكان هذا الشيخ عيناً من عيون هذه الطائفة)[1].

سياسة الإمام الحسن عليه السلام

وهكذا كان الإمام الحسن عليه السلام من قبل حين رأى أن الطاغية معاوية قد أمسك بزمام الحكم في الشام وأن لا مناص من مقارعته وحربه كما فعل أبوه أمير المؤمنين عليه السلام فهو أمر واجب لا يمكن السكوت عنه، وفعلاً جهز الجيش وسار نحو الشام ولكن ما حدث في الطريق أمر عجيب فقد بدأ أولاً الجيش بالتآكل شيئاً فشيئاً عبر التملص والهروب أما من بقي منهم فإن معظمهم كان غير مقتنع بل غير مؤمن بهذه المسيرة (الطويلة والشاقة) وفي الوقت الذي استطاع معاوية عن طريق

جواسيسه وأذنابه الاتصال بمعظمهم مغرياً وواعداً لهم بالمال والمناصب فإن الإمام الحسن عليه السلام لم يغرهم بشيء ولم يعدهم بغير رضوان الله تعالى ومغفرته وإحقاق الحق وهذا الوعد (حسب الثلة الطامعة) ليس له وزن في ميزان المطامع الدنيوية. وهناك طفق الإمام الحسن عليه السلام كما طفق والده الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام (...وطَفِقْتُ أَرْتَئِي بَيْنَ أَنْ أَصُولَ بِيَدٍ جَذَّاءَ، أَوْ أَصْبِرَ عَلَى طَخْيَةٍ عَمْيَاءَ، ...فَرَأَيْتُ أَنَّ الصَّبْرَ عَلَى هَاتَا أَحْجَى، فَصَبَرْتُ وفِي الْعَيْنِ قَذًى وفِي الْحَلْقِ شَجًا)[٢]، وعندما أعاد حساباته خرج بجملة نتائج نذكر منها ما يلي:

١- إن المعركة عسكرياً أصبحت خاسرة لنقص الأعداد والإيمان المتزعزع بالذي بقي منهم.

٢- وقد يكون الأمر أسوأ إذا استطاع معاوية إغراء جزء من الحلقة الأولى من الصحابة المقربين بالإمام الحسن عليه السلام بخيانته في وقت مناسب وتسليمه بيد الطاغية معاوية.

٣- في حالة الاستمرار بالمسير فإن الخسارة في قتل الإمامين الحسن وأخيه الحسين عليهما السلام وإبادة من بقي من آل البيت عليهم السلام وطمس معالم المعركة من حيث الأهداف والنتائج.

٤- استمرار النهج المخرب للدين إلا ما شاء الله.

وبناء على ذلك قرر الإمام الحسن عليه السلام الاستفادة من هذه: استغلال الفرصة حيث طلب معاوية الهدنة أو الصلح وقبول هذا العرض ليتحقق ما يلي:

١- الحفاظ على الامتداد النبوي الشريف وعدم إعطاء معاوية أي حجة أو ذريعة للقضاء المبرم عليهم.

٢- نزع الاعتراف الكامل بأحقيتهم في الخلافة والإمامة من خلال توقيع هذا الصلح.

٣- الموافقة والإقرار على تولي الإمام الحسن عليه السلام الخلافة بعد هلاك معاوية.

٤- فضح الطاغية أمام الأمة من أنه عديم الالتزام بالعهود، لأن الحسن عليه السلام عالمٌ بأن معاوية لا يفي بأي شيء قطعه على نفسه من خلال الخبرة بأهل البيت الأموي السفياني، وكذلك الدعم الإلهي له بذلك الموضوع وغيرها من الأسباب التي تطول وتحتاج إلى صفحات كثيرة للوصول إلى الأسباب الموضوعية والاجتماعية والدينية التي تكمن وراء ذلك الصلح، وبالفعل فقد تم للإمام الحسن عليه السلام ما أراد وما خطط، واستطاع أن يحول ما كان يحدث من إبادة جماعية بشرية فيما لو استمر بحربه ضد معاوية إلى التنازل المؤقت عن الحكم والسلطة وهو أمر لم يكن يهم أهل البيت عليهم السلام أكثر مما يهمهم تطبيق العدالة والحق من حكم دين النبي صلى الله عليه وآله والعمل برسالته العظيمة.

وبمؤامرة خبيثة استطاع معاوية أن يتخلص من الإمام الحسن عليه السلام بدس السم إليه بيد زوجته بنت الأشعث .

ومن ضمن شروط الهدنة أن الامر يرجع إلى الإمام الحسين عليه السلام في حال وفاة الإمام الحسن عليه السلام قبل معاوية. الا ان معاوية بعد تخلصه من الإمام الحسن عليه السلام أخذ البيعة لولده الماجن يزيد. وهذا أول النكول وعدم الالتزام بالعهود والمواثيق.

الإمام الحسين عليه السلام ونهضته:

بعد هلاك الطاغية معاوية وتولية ابنه الفاسد الفاسق يزيد أسقط في يده ما

قد بيّناه سابقاً من عدم التزام الطغمة الأموية بالعهود والمواثيق فانكشف هذا الزيف وبدت عوراتهم السيئة وكان يزيد فتى مولعاً بالفسق والفجور ومعلناً عنهما من غير استحياء أو خجل وهذا الشيء أصبح واضحاً للناس بشكل عام ولأهل الكوفة بشكل خاص حتى أنهم كتبوا عدة رسائل إلى الإمام الحسين عليه السلام بالخروج والجهاد، حتى جاءت ساعة الصفر فأعلن عن خروجه من المدينة إلى مكة ومنها إلى العراق، (من لحق بي منكم استشهد معي، ومن تخلف لم يبلغ الفتح)[٣]، (لذلك فقد انتشر خبر رحيل الإمام من مكة المكرمة وتوجهه إلى العراق في غضون برهة وجيزة من الوقت، وأصبح حديث الساعة، فأينما اجتمع نفر من الناس كان حديثهم عن هذا التحرك المفاجئ وأسبابه، وقد عرف أهل مكة فيما بعد، أن الحسين عليه السلام ـ بتركه المدينة حال موت معاوية، ومن ثم ترك مكة أثناء الموسم ـ أنه عليه السلام لا يعترف بحكومة يزيد، وقد خشي على نفسه هنا: حفاظا على حرمة بيت الله لئلا تنتهك، وكذلك علمهم بتصميم يزيد على قتل الحسين في مكة، ولو كان معلقا بأستار الكعبة!!)[٤].

فخرج الإمام في (٨ ذي الحجة) ولم يتمم حجه، لأنه لم يرغب في أن تستباح الكعبة بدمه لأن الشهادة قد حان وقتها كما صرح به عليه السلام بقوله: (وَالَّذي نَفْسُ حُسَيْن بيَدِه لا يَنْتَهي بَني أُمَيَّةَ مُلْكُهُمْ حَتّى يَقْتُلُوني، وَهُمْ قاتلي)[٥]، وإن دمه الغالي لابد يجني الثمار ويعيد الأمة إلى مسارها الصحيح بعد أن تصحو من غفلتها الطويلة التي بدأت بعد وفاة النبي الكريم صلى الله عليه وآله.

وسار بأهله ونسائه القليلي العدد الكثيري الثقة بأن إمامهم لم يخرج أشراً ولا بطراً ولا ظالماً ولا مفسداً وإنما خرج لطلب الإصلاح[٦]، الإصلاح وحده أن يأمر هؤلاء الناس بأن يعودوا إلى دينهم وفطرتهم وأن يتركوا هذا التوهان والغفلة وإن طال وقتها.

فكان للحسين عليه السلام ما أراد وهز دمه ضمير الأمة وكان من بعد ذلك ما كان من صحوات أطاحت في النهاية بالحكم الأموي الفاسد وقبر إلى غير رجعة.

وهكذا كان صلح الحسن عليه السلام تخطيطاً عظيما من أجل فضح الطغاة الأمويين وحفظ دم أهل البيت عليهم السلام من الضياع من غير أن يثمر أي شيء وهو دم عزيز لا يهدر سدا وأيضاً كان صلح الحسن عليه السلام هو الممهد للنهضة المباركة في كربلاء والتي جاءت على أسس قوية وعظيمة، استطاع صلح الإمام الحسن في أن يهيء كما يشد الأساس القوي المتين الذي قد لا يبدو له شكل لأنه تحت الأرض ولكن بعد أن يقوم البناء فوق تلك الأسس وهو بناء شاهق عالٍ وضخم ألا وهو النهضة الحسينية ندركَ مدى قوة ذلك الأساس وعظمة بناءه■

---

١) رجال النجاشي/ ص٤٠.
٢) نهج البلاغة / تحقيق صبحي الصالح: ص٤٨.
٣) كامل الزيارات: ٧٥.
٤) رجال تركوا بصمات على قسمات التاريخ/ السيد لطيف القزويني/ ص١٢٢.
٥) بحار الانوار/ المجلسي: ج ٤٥، ص٨٨.
٦) وذلك قوله عليه السلام لأخيه محمد بن الحنفية: (إنّي لم أخرج أشرا ولا بطرا ولا مفسدا.. وإنّما خرجت لطلب الإصلاح في أمّة جدّي.. أريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر وأسير بسيرة جدّي وأبي عليّ بن أبي طالب).

روايات

قال الإمام الرضا عليه السلام:

إن المحرم شهر كان أهل الجاهلية يحرمون فيه القتال، فاستحلت فيه دماؤنا ، وهتكت فيه حرمتنا، وسبي فيه ذرارينا ونساؤنا، وأضرمت النيران في مضاربنا، وانتهب ما فيها من ثقلنا، ولم ترع لرسول الله صلى الله عليه وآله حرمة في أمرنا.

إن يوم الحسين أقرح جفوننا، وأسبل دموعنا، وأذل عزيزنا، بأرض كرب وبلاء، أورثتنا الكرب والبلاء، إلى يوم الانقضاء، فعلى مثل الحسين فليبك الباكون، فإن البكاء يحط الذنوب العظام.

ثم قال عليه السلام: كان أبي (صلوات الله عليه) إذا دخل شهر المحرم لا يرى ضاحكا ، وكانت الكآبة تغلب عليه حتى يمضي منه عشرة أيام ، فإذا كان يوم العاشر كان ذلك اليوم يوم مصيبته وحزنه وبكائه ، ويقول: هو اليوم الذي قتل فيه الحسين (صلوات الله عليه).

(الأمالي/ الشيخ الصدوق/ ص١٩١)

عن أبي جعفر عليه السلام قال:

مروا شيعتنا بزيارة قبر الحسين عليه السلام، فان اتيانه مفترض على كل مؤمن يقر للحسين عليه السلام بالإمامة من الله عز وجل.

(المقنعة/ المفيد/ ص٤٦٨)

عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال:

لو أن أحدكم حج دهره ثم لم يزر الحسين بن علي عليه السلام لكان تاركا حقا من حقوق رسول الله صلى الله عليه وآله ، لأن حق الحسين عليه السلام فريضة من الله واجبة على كل مسلم .

(تهذيب الأحكام/ الطوسي/ ج٦ ص٤٢)

أدَبُ الإباءِ في الخطابِ الحُسينيّ

أ.م.د. عبّاس عليّ الفحّام
كلية التربية الأساسية/ جامعة الكوفة

ينابيع الإمام الحسين عليه السلام هو سيدُ أهل الإباء الذي علّم الناس الحميةَ والموت تحت ظلال السيوف اختيارًا له على الدنيّة، كما قال ابن أبي الحديد: (سمعتُ النقيب أبا زيد يحيى بن زيد العلوي البصري يقول: كأنّ أبيات أبي تمام في محمد بن حُميد الطائي ما قيلتْ إلا في الحسين عليه السلام: (من الطويل)

وقد كان فوتُ الموت سهلا فردّه
إليه الحفاظ المرُّ والخلقُ الوعرُ
ونفسٍ تعافُ الضيم حتى كأنه
هو الكفرُ يوم الروع أو دونه الكفرُ
فأثبتَ في مستنقع الموت رجلَه
وقال لها: من تحت أخمصكِ الحشرُ

تردّى ثياب الموت حُمرا فما أتى
لها الليلُ إلّا وهْي من سُندسٍ خُضرُ)[١]

ولأدب الإباء في الخطاب الحسيني أشكال مختلفة التمَسَتْها الدراسة بما يأتي:

أولًا: أدب الإيجاز

ولأدب الإباء أثره في فن الإيجاز، فهو يوجز شكل العبارة ويستبطن معاني هائلة، استعمله الإمام الحسين عليه السلام في كثير من مواقفه الحماسية التي يمكن تبيانها في المواقف الآتية:

الفتح:

كتب الإمام الحسين عليه السلام إلى بني هاشم كتابا في غاية التكثيف للعبارة وفي منتهى السعة للمعاني وذلك حين توجه إلى العراق جاء فيه: (فإنّه من لحق بي منكم استُشهد، ومن تخلّف عنّي لم يبلغ الفتح)[٢]. بهذا الاختصار أوجز الإمام الحسين عليه السلام قصة فدائه وفلسفة خروجه على الظلمة واستشرافه للمستقبل وللخلود الذي سماه (الفتح).

الإصلاح:

أبان الإمام الحسين عليه السلام ـ فيلسوف التضحية ـ بكل وضوح عن غايته من مسيرته الثورية التصحيحية في أكثر من مرة وفي أكثر من موضع، فمن كتاب له إلى أخيه محمد بن الحنفية قال: (إني لم أخرج أشرا ولا بطرا ،ولا ظالما، ولا مفسدا، وإنما خرجتُ لطلب الإصلاح في أمة جدي)[٣]، وقد تكرر مثل هذا الوضوح والايجاز كثيرا نحو قوله: (وَاللّه لَيَعْتَدُنَ عَليَّ كَما اعْتَدَتِ الْيَهُودُ في يَوْمِ السَّبْتِ)[٤].

وفي منطقة قريبة من الكوفة تسمى بذي حسم قام الإمام الحسين عليه السلام خطيبا

في الناس موضحا أهداف ثورته بعبارات موجزة ومكثفة اختصرت معاني الحياة والثورة على الباطل (..وإن الدنيا قد تغيرت وتنكرت وأدبر معروفها..ولم يبقَ منها إلا صُبابة كصُبابة الإناء، وخسيس عيش كالمرعى الوبيل، ألا ترون أن الحق لا يعمل به، وأن الباطل لا يتناهى عنه، ليرغب المؤمن في لقاء الله محقا)[٥]. فهي المعركة الأزلية في الحياة الدنيا بين الحق والباطل، وليس ثمة خيار للمؤمنين إلا ابتغاء الحق ولقاء الله تعالى به. ومن اللافت للانتباه أن هذه الخطبة تكاد تكون نسخة مكررة من خطب أبيه الإمام علي عليه السلام في التحذير من الركون إلى الدنيا، وهي قوله عليه السلام: (ألا وإنّ الدنيا قد ولّتْ حذّاء فلم يبقَ منها إلاّ صُبابةٌ كصُبابة الإناء اصطبّها صابُّها)[٦]، وقوله: (ألا وإنّ الدُّنيا قد تصرّمتْ وآذنَتْ بوَداع وتَنَكَّرَ معروفُها فأدْبَرتْ حذّاءَ)[٧]. والصُّبابة وهي ما تبقّى في الإناء[٨] استُعيرت لتبيان بقيتها القليلة، وليس كالتشبيه بالحسّ في (صبابة الإناء) أصلح لبيان مقدار تلك القلّة، فما تبقّى من الدنيا قليلٌ مثلُ عدمه ولهذا يُشعر بشيء من التهكم والتحقير بقوله (اصطبها صابها) وهي بمثابة قولهم (تركها تاركها)[٩]. ولا ريب في أن الإمام الحسين عليه السلام كان قد حفظ كلمات أبيه وجرت على لسانه، وكثيرا ما كان الأئمة الطاهرون يطيب لهم تكرار كلمات أمير المؤمنين عليه السلام وترديد عباراته كما فعل الإمام زين العابدين عليه السلام وهو يواري جسد أبيه الإمام الحسين عليه السلام الثرى قائلا: (أمّا حزنيَ فسرمدُ، وأما ليلي فمسهّد)[١٠]. وتلك كلمات أمير المؤمنين عليه السلام راثياً زوجه فاطمة الزهراء عليها السلام وهو يواريها الثرى، وما أشبه الحالين!

هيهات منا الذلة:

إنّ هذا الشعار الذي رفعه الحسين عليه السلام في إباء الذل وإيثار الموت لا يمكن عده لزمن دون زمن إنه يسري من مفاصل مستقبل الإنسان سريان الدم في الشرايين، تصلح في كل زمان وتتخذ لغة لكل إنسان حر يناضل من أجل قضية يؤمن بها، ولعل ذلك من بعض أسرار الحياة للنهضة الحسينية وهذا الفكر الوقاد الذي أحسن مخاطبة الإنسان وعرف لغاتها كلها، قال الإمام الحسين عليه السلام: (ألا إن الدعي ابن الدعي قد ركز بين اثنتين، بين السلة والذلة، وهيهات منا الذلة، يأبى الله ذلك لنا ورسوله، وجدود طابت، وحجور طهرت، وأنوف حمية، ونفوس أبية، من أن تؤثر طاعة اللئام على مصارع الكرام، ألا إني زاحف بهذه الأسرة مع قلة العدد، وخذلة الناصر)[١١]. لذلك أعلنها الإمام صرخة مدوية (هيهات منا الذلة)، لأنّ مسألة الاستكانة بالوضع المنحرف القائم يومذاك يعني بالنسبة للإمام الحسين عليه السلام ذلًا لا يمكن له الإقرار عليه لذلك أعلنها صراحة وهو في المدينة حين طلب إليه البيعة ليزيد بن معاوية (إن مثلي لا يبايع مثله)، وحين خير بين اثنتين القتل أو المبايعة التي سماها الذلة فضل الأولى معللا بأسباب معروفة لا تسمح بغير خيار الإباء فقال مباشرة على سبيل تواصل الكلام (وهيهات منا الذلة) وعدد منها:

الأول: إنها قضية شرعية، إذ كيف لمسلم ـ فضلًا عن الإمام الحسين عليه السلام ومنزلته بين المسلمين ـ مبايعة رجل

معروف بخلاعته وخروجه العلني على قوانين السماء والشريعة من اللهو الماجن وشرب الخمر واللعب بالقرود وإتيان المحرمات.

الثاني: الطبيعة الاجتماعية المعروفة لهذه الأسرة الهاشمية المحمدية من الأصلاب الشامخة والأرحام المطهرة التي عبر عنها الإمام بـ (جدود طابت وحجور طهرت ..) وأطلق عليها مختلف الصفات الأبية من الأنوف الحمية والنفوس الأبية وكلها من كنايات العز والشرف التي تأبى الذل والانقياد الأعمى للباطل وتفضل عليه الموت .ومن هنا أعقب هذا الإباء بما يعزز مكانة هذه الأسرة فقال معلنا أنه زاحف بها للتغيير، ولا أدري هل فهم الناس وقتها بعد معنى كلامه هذا، لأن العربي من طبيعته وقت الحرب أن يصون عرضه ولا يعرضه لأخطار الحرب والسبي، بينما الإمام الحسين عليه السلام يعلن أنه سيزحف إشعارا ببدء حربه السلمية بدلالة لفظ (الأسرة) وأي أسرة إنها أسرة آل محمد وحرمه الذين أذهب الله تعالى عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا. وما أشبه هذا الكلام بلغة أبيه عليه السلام في قوله: (إن امرأ أمكن عدوا من نفسه، يعرق لحمه، ويفري جلده، ويهشم عظمه، لعظيم عجزه، ضعيف ما ضمت عليه جوانح صدره، فكن أنت ذاك إن شئت، فأما أنا فدون أن أعطي ذلك ضرب بالمشرفية تطير منه فراش الهام، وتطيح السواعد والأقدام)[١٢]. ولا غرابة فكلاهما ـ الوالد والولد ـ يستقيان من نبع الإباء ذاته.

ثانيًا: لغة المقارنة

إنّ لغة المقارنة التي أعني بها هي لغة الأقدار المتضادة وليست لغة الأنداد والأكفاء، فهذا التسلسل التاريخي من الأجداد إلى الأحفاد في تقابل الأضداد مثير للسخرية والأسى على حد سواء، فمحمد العظيم صلى الله عليه وآله قابله أبو سفيان، ثم الإمام علي عليه السلام وقف له معاوية بن أبي سفيان، ثم شاء الله أن يقابل التاريخ عظمة الإمام الحسين عليه السلام شخصا ضئيلًا مثل يزيد بن معاوية. وإذا كان الإمام علي عليه السلام قد عبر في واحدة من مناسبات صراعه المرير مع الباطل بقوله: (أنزلني الدهر حتى قيل معاوية وعلي)[١٣] فانه عليه السلام لا يذكره كندّ، بل كنقيض له في النبل والخلق والإنسانية). وفي هذا الشأن يذكر أن معاوية وضع نفسه ندًا لعلي في المكانة الاجتماعية والسلطوية ففنّدها الإمام بأروع مقال في رسالة جوابية له: (وَ أَمَّا قَوْلُكَ إِنَّا بَنُو عَبْدِ مَنَافٍ، فَكَذَلِكَ نَحْنُ وَلَكِنْ لَيْسَ أُمَيَّةُ كَهَاشِمٍ، وَلَا حَرْبٌ كَعَبْدِ الْمُطَّلِبِ وَلَا أَبُو سُفْيَانَ كَأَبِي طَالِبٍ، وَلَا الْمُهَاجِرُ كَالطَّلِيقِ وَلَا الصَّرِيحُ كَاللَّصِيقِ، وَلَا الْمُحِقُّ كَالْمُبْطِلِ وَلَا الْمُؤْمِنُ كَالْمُدْغَلِ)[١٤]. فألفاظ (المهاجر والصريح والمحق والمؤمن) كنايات استعملها الإمام عن اسمه بينما كنى في مقابلها عن معاوية بـ (الطليق واللصيق والمبطل والمدغل). ولا شك في أن الإمام قصد من وراء كناياته التعريض بخصمه أولا ثم بيان مكانته والتذكير بها ثانيا، لذلك أطال بكناياته في تقابل دلالي بينما لم يقف على السابقين طويلا بأكثر من تقابل صريح لأن غرضه من ذلك الوصول إلى بيان حاله ومقارنتها بحال خصمه. ومن هنا جعل أمية مقابل هاشم (وكان الترتيب يقتضي أن يجعل

هاشما بإزاء عبد شمس لأنه أخوه في قعدد[١٥]، وكلاهما ولد عبد مناف لصلبه، وأن يكون أمية بإزاء عبد المطلب، وأن يكون حرب بإزاء أبي طالب، وأن يكون أبو سفيان بإزاء أمير المؤمنين عليه السلام، لأن كل واحد من هؤلاء في قعدد صاحبه، إلا أن أمير المؤمنين عليه السلام لما كان في صفين بإزاء معاوية اضطر إلى أن جعل هاشما بإزاء أمية بن عبد شمس)[١٦]. وإنما لم يصرح الإمام بقوله مثلا (ولا أنا كأنت) ترفعا عن أن يقيس نفسه بمعاوية بل قبيح به أن يقولها مع أحد من المسلمين كافة، كما لا يقال السيف أمضى من العصا[١٧]. وإطناب الإمام عليه السلام في هذه الكنايات بسبب ادعاء معاوية في الرسالة التي بعث بها إليه في أنهما متساويان في المنزلة على أساس أن كليهما من بني عبد مناف[١٨]، لذلك حين أقره الإمام فصل في شرف الآباء منهما حتى إذا وصل إلى نفسه معاوية أطال لأجل التعريض. فقوله(الطليق) كونه من طلقاء النبي صلى الله عليه وآله يوم فتح مكة، وقوله (اللصيق) كونه مدخولا في نسبه أو مشكوكاً في إيمانه، وقوله (المبطل) بادعائه ما ليس له بأهل من الخلافة وغيرها، وقوله (المدغل) كونه ممن عرف بنفاقه وترصده للإسلام ورموزه[١٩].

وشاء الله أن يتكرر هذا المشهد عند الإمام الحسين عليه السلام، وبدأ حين استُدعي إلى حاكم المدينة الوليد بن عتبة (فوجد عنده مروان بن الحكم فنعى إليه الوليد معاوية فاسترجع الإمام الحسين عليه السلام ثم قرأ عليه كتاب يزيد وما أمره فيه من أخذ البيعة منه له، فقال الإمام الحسين عليه السلام: (إني لا أراك تقنع ببيعتي ليزيد سرًا حتى أبايعه جهرًا فيعرف ذلك الناس، فقال له الوليد: أجل فقال الإمام الحسين عليه السلام: فتصبح وترى رأيك في ذلك، فقال له الوليد: انصرف على اسم الله تعالى حتى تأتينا مع جماعة الناس . فقال له مروان: والله لئن فارقك الحسين الساعة ولم يبايع لا قدرت منه على مثلها أبدا حتى تكثر القتلى بينكم وبينه احبس الرجل ولا يخرج من عندك حتى يبايع أو تضرب عنقه، فوثب الإمام الحسين عليه السلام عند ذلك وقال: أنت يا ابن الزرقاء تقتلني أم هو؟ كذبت والله وأثمت ... ثم أقبل على الوليد فقال: أيها الأمير! إنا أهل بيت النبوة، ومعدن الرسالة، ومختلف الملائكة، وبنا فتح الله، وبنا ختم الله، ويزيد رجل فاسق شارب الخمر، قاتل النفس المحرمة، معلن بالفسق، ومثلي لا يبايع مثله، ولكن نصبح وتصبحون، وننظر وتنظرون، أينا أحق بالبيعة والخلافة، ثم خرج عليه السلام)[٢٠]. بهذه النفس الكبيرة أجاب الإمام الحسين عليه السلام وبهذه اللغة الحادة الصريحة التي لا مجال فيها للمقارنة (مثلي لا يبايع مثله).

ومثل هذه اللغة قوله عليه السلام في خطبته حين عزم على الخروج إلى العراق: (ألا وإنّ الدعيّ ابن الدعيّ قد ركز بين اثنتين: بين السِّلة[٢١] والذلة، وهيهات منا الذلة، يأبى الله لنا ذلك ورسوله والمؤمنون وحجور طابت وطهرت ونفوس أبية وأنوف حمية من أن نؤثر طاعة اللئام على مصارع الكرام..)[٢٢]. عقد الإمام عليه السلام لأسباب هذا الإباء صورتين متقابلتين:

الصورة الأولى: صورة الدعي ابن الدعي ويعني به عبيد الله بن زياد، وهو

دعي لأنه مطعون النسب، فأبوه زياد ـ الملقب بابن أبيه ـ قد أغراه معاوية أن يلحقه بأبيه أبي سفيان شريطة الالتحاق باتباعه، ولذلك هو دعي وابن دعي . أو لأنه يدعي ما ليس له من الإمرة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بحجة قتال الإمام الحسين عليه السلام بعده خارجا على بيعة الخليفة يزيد الفاسق والخارج على سنن الإنسانية فضلا عن الإسلامية،والأول هو الأرجح.

الصورة الثانية: صورة نفسه وأهله التي صرح بإبائها للذلة وأخذ الدنية، موضحا عزة المحتد وطيب الأرومة من الآباء الطيبين والأمهات الطاهرات اللواتي كنى عنهن بـ (حجور طابت) معرضا في الوقت ذاته بإيحاء خفي بالصورة المقابلة له حين ذكره بلفظ الدعي. لا مجال ـ إذن ـ للمقارنة بين الكرام واللئام■

---

١) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ٣/ ٢٤٩
٢) اللهوف في قتلى الطفوف، ابن طاووس: ٤١
٣) مناقب آل أبي طالب، ابن شهرآشوب: ٢٤١/٣، حياة الإمام الحسين، باقر شريف القرشي: ١٢/١.
٤) الكامل في التاريخ، ابن الأثير: ٤/ ٣٨.
٥) مقتل الحسين، ابو مخنف: ٨٦.
٦) شرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد: ٢/ ٣١٨.
٧) المصدر نفسه: ٣/ ٣٣٢.
٨) ظ. لسان العرب،ابن منظور: مادة (صبب).
٩) ظ.التصوير الفني في خطب الإمام علي عليه السلام، عباس الفحام: ٨٩
١٠) شرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد: ١٠/ ٢٥٦.
١١) اللهوف في قتلى الطفوف، ابن طاووس: ٥٩.
١٢) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ٣/ ٢٤٩ ـ ٢٥٠.
١٣) فرحة الغري، السيد ابن طاووس: ٧.
١٤) نهج البلاغة، الإمام علي عليه السلام: ١٥١/٢.
١٥) القعدد :هو القريب الآباء في الجد الأكبر، ظ.لسان العرب، ابن منظور: قعد.
١٦) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة: ١١٨/١٥.
١٧) ظ. المصدر نفسه والصفحة.
١٨) ظ.وقعة صفين، ابن مزاحم: ٤٧١.
١٩) ظ. بلاغة النهج في نهج البلاغة: ١٦٩.
٢٠) بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ٤٤/ ٣٢٤ ـ ٣٢٥.
٢١) السل: انتزاعك الشئ وإخراجك إياه في رفق، وعند السلة، أي عند استلال السيوف.
٢٢) بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ٤٤/ ٣٢٤ ـ ٣٢٥.

معايير النجاح الآنية لنهضة الإمام الحسين عليه السلام

د. تومان غازي الخفاجي
الكلية الإسلامية الجامعة/ النجف الأشرف

ينابيع

لا شك إنّ خروج الحسين عليه السلام أثّر في الوجود الإنساني، تأثيرًا لا رجعة فيه، وهذا يعني أنّه عليه السلام حقق نصرًا لصانعيه وحطم أعداءه المناوئين.

فما هي ملامح النجاح الآنية في هذه النهضة التي أعقبت تلك النهاية المأساوية باستشهاد قائدها وأصحابه وأهل بيته.

يمكن ملاحظة هذه الملامح عندما نتجاوز النتائج المادية للنهضة الحسينية، والانتقال من المشهد المأساوي المروع إلى المشهد الروحي المشرق، الذي تعبّر عنه الآية الكريمة في قوله تعالى: (**كَتَبَ اللهُ لأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي**) (المجادلة: ٢١)، ونحن نعلم أنّ كثيراً من الرسل والأنبياء والمصلحين والآمرين بالقسط قد عُذبوا وقُتلوا، بدلالة قوله تعالى: (**ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ**

بسم الله الرحمن الرحيم

كَتَبَ اللّهُ لأَغْلِبَنّ أَنَا وَرُسُلِي (المجادلة :٢١)

(صدق الله العلي العظيم)

كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ) (البقرة: ٦١)، وقوله تعالى: **(وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنْ النَّاسِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ)** (آل عمران:٢١)، فكيف إذن يغلب المقتولون القاتل؟ الجواب يغلب بانتصار مبادئه وتبنّي المجتمع لها وتعاطفه معها ،حتى يصبح لها جمهور يفوق الجمهور المساند للظالم، الذي تتعرى دوافعه المادية الذاتية، الطمع ونشدان اللذات وحب التسلط على الغير من دون وجه حق... إلى غير ذلك من الدوافع المريضة. وهنا تكون تضحية الثائر برهانا على صدق دعواه عند الجمهور، فتكون عاملا مهمًا لكسر الحواجز النفسية للمؤيدين المتذبذبين بسبب عوامل الخوف والتردد، فتتحرر طاقتهم، وعليه يمكن تقسيم ملامح النجاح الآنية لنهضة الحسين عليه السلام على النحو الآتي[١]:

١. تحطيم الإطار الأخلاقي للحكم الأموي المستبد:

غرس النبي محمد صلى الله عليه وآله في نفوس المسلمين فكرة الحكم التي تتضمن مدلولين:

الأول: المدلول الأخلاقي الديني،الذي يؤهل الحاكم أن يكون خليفة الله تعالى في الأرض.

الثاني: المدلول الدنيوي ،المجسد لهذا المدلول بامتلاك العناصر التي تساعد على تطبيق العدالة،وذلك بتسنم موقع الحكم وامتلاك مقوماته.

والمدلول الأول هو الجوهر في الأخلاق الإسلامية وفي أي حضارة عموماً.لذا عمد الأمويون على إسباغ هذا المدلول الروحي على شخصياتهم لإيهام الناس أنهم يحكمون بتفويض إلهي ،ومن ذلك ما أسبغه معاوية على نفسه في رسالته إلى الإمام علي عليه السلام يقول فيها: (ونحن بنو مناف، ليس لبعضنا على بعض فضل يُستذل له عزيز ويُسترقّ به حرّ)[٢]، فأجابه الإمام علي عليه السلام بقوله: (لَيْسَ أُمَيَّةُ كَهَاشِمٍ ولا حَرْبٌ كَعَبْدِ الْمُطَّلِبِ ولا أَبُو سُفْيَانَ كَأَبِي طَالِبٍ ولا الْمُهَاجِرُ كَالطَّلِيقِ ولا الصَّرِيحُ كَاللَّصِيقِ ولا الْمُحِقُّ كَالْمُبْطِلِ ولا الْمُؤْمِنُ كَالْمُدْغِلِ ولَبِئْسَ الْخَلْفُ خَلْفٌ يَتْبَعُ سَلَفاً هَوَى فِي نَارِ جَهَنَّمَ وفِي أَيْدِينَا بَعْدُ فَضْلُ النُّبُوَّةِ الَّتِي أَذْلَلْنَا بِهَا الْعَزِيزَ ونَعَشْنَا بِهَا الذَّلِيلَ ولَمَّا أَدْخَلَ اللَّهُ الْعَرَبَ فِي دِينِهِ أَفْوَاجاً وأَسْلَمَتْ لَهُ هَذِهِ الأُمَّةُ طَوْعاً وكَرْهاً كُنْتُمْ مِمَّنْ دَخَلَ فِي الدِّينِ إِمَّا رَغْبَةً وإِمَّا رَهْبَةً عَلَى حِينَ فَازَ أَهْلُ السَّبْقِ بِسَبْقِهِمْ وذَهَبَ الْمُهَاجِرُونَ الأَوَّلُونَ بِفَضْلِهِمْ فَلَا تَجْعَلَنَّ لِلشَّيْطَانِ فِيكَ نَصِيباً)[٣].

لكن هذا الرد لم يأخذ صداه ولم يؤثّر في العامة التي عملت الدعاية الأموية على تضليلهم واستقطابهم لصالحها ،قال المسعودي: (وكان معاوية في هذه المدة [أي من بعثة النبي صلى الله عليه وآله إلى يوم فتح مكة] بحيث علم الله، ثم كتب له النبي صلى الله عليه وآله قبل وفاته بشهور، فأشادوا بذكره ورفعوا منزلته بأن جعلوه كاتباً للوحي، وعظموه بهذه الكلمة، وأضافوه إليها، وسلبوها عن غيره، واسقطوا ذكر سواه)[٤].

حدث هذا بسبب ضعف الإعلام الصالح وقوة التثقيف الفاسد، الذي ضلل عقول الناس حتى قيل إنّ معاوية عند مسيره إلى صفين صلى بهم (الجمعة في يوم الأربعاء، وأعاروه رؤوسهم عند القتال وحملوه بها، وركنوا إلى قول عمرو بن العاص إنّ عليا هو الذي قتل عمار بن ياسر حين أخرجه لنصرته، ثم ارتقى بهم الأمر في طاعته إلى أن جعلوا لعن علي عليه السلام سنة ينشأ عليها

الصغير،ويهلك عليها الكبير)[٥]. وقد فعل هذا الإعلام المضاد في أهل الشام ولاسيما عند وصية معاوية ليزيد:(وانظر أهل الشام فيكونوا بطانتك وعيبتك، فإن نابك شيء من عدوك فانتصر بهم، فإن أصبت بهم فاردد أهل الشام إلى بلادهم فإنهم إن أقاموا بغير بلادهم أخذوا بغير أخلاقهم)[٦]. بمعنى انكشفت لهم الحقيقة.

وكان معاوية يعمل المنكر ويتستر بالدين حتى روّض العامة على الطاعة العمياء فلم يحتجوا على فسق يزيد ابنه الذي أظهره هو وعماله(فكان صاحب طرب وجوارح وكلاب وقرود وفهود ومنادمة على الشراب.... وغلب على أصحاب يزيد وعماله ما كان يفعله من الفسوق، وفي أيامه ظهر الغناء بمكة والمدينة، واستعمل الملاهي وأظهر الناس شرب الشراب)[٧].

والمهم أنّ هذا الإعلام أصبح واقعا وأصبح الحكم مُسلّماً به بأنّه حق لمن قام على الكرسي ويمتلك مصادر القوة من مال وجيش وأرض،وعلى هذا الأساس اقتنعت الشخصيات الخاصة من الأمراء وقادة الجيوش ورؤساء القبائل ورجال الدين المنضوين تحت هذه السلطة، بأنّ من يخرج على السلطان يستحق القتل باسم الحق والشريعة،لذا نجد ابن زياد يخذل الناس عن نصرة مسلم بن عقيل عليه السلام بقوله: (اعتصموا بطاعة الله وطاعة أئمتكم)[٨]. وهذا عمرو بن الحجاج الزبيدي يخطب قومه في كربلاء قائلاً: (يا أهل الكوفة الزموا طاعتكم وجماعتكم ولا ترتابوا في قتل من مرق عن الدين وخالف الإمام)[٩].

فقد وقع القوم إذن تحت تأثير المقولة التي تقول إكذب إكذب حتى يصدقك الناس،فهذه النصوص تدلّ على أنّ الأمويين وأعوانهم كانوا يؤلبون الناس بالواجب الديني حين طلبوا منهم قتل الإمام الحسين عليه السلام ويتطلب هذا الأمر تغييب فضائل الحسين عليه السلام المذكورة في السنة الصريحة، ومكانته القيادية والسياسية القائمة على العدل الاجتماعي المستند إلى الشريعة الإسلامية، والممثلة للجوهر الأخلاقي الديني للحكم ،فضلا عن أحقيته بالخلافة، وهذه العوامل تجعله عليه السلام ملزما برفض بيعة يزيد ليصبح معارضة سياسية.

والمهم أنّ هذا الوضع لابدّ له من رمز ديني واضح المعالم يصدم به كي يبين المعدن الأصيل من المعدن المزيف،وهذا الرمز هو الحسين عليه السلام إذ كان له في قلوب المسلمين رصيد من الحبّ والإجلال العظيم، لذا سيكون خيار قتله ورهطه وأصحابه والتمثيل بهم وسبي نسائه اللواتي هن بنات رسول الله صلى الله عليه وآله، سيضع حدّاً فاصلا بين المضمون الأخلاقي الروحي والحكم الأموي الذي سيفرغ من هذا المضمون، ويتعرّى ليظل حاكما باسم الدينا وحدها، أي أنّه حكم مستبد طاغ ليس له قيم أخلاقية ولا مثل دينية أو إنسانية عليا.

أما جوانب تعرية حكم آل أمية فتتمثل بالجوانب الآتية:

أـ كشف الإمام عن شخصيته بأنها تمثل الانتماء الديني الأخلاقي الخالص، وليس الانتماء إلى بيت آل الرسول صلى الله عليه وآله نسباً حسب، وبهذا لا يحق لأي إنسان أن ينتهك دمه من ناحية أخلاقية،أو من المنطق العقلي، ويظهر ذلك في قوله عليه السلام: (هل يصلح لكم قتلي وانتهاك حرمتي؟ ألست ابن بنت نبيكم، وابن وصيه وابن عمه وأول المؤمنين المصدق لرسول الله بما جاء به من عند ربه، أوليس حمزة سيد

الشهداء عمي، أوليس جعفر الطيار في الجنة بجناحين عمي، أو لم يبلغكم ما قال رسول الله لي ولأخي: هذان سيدا شباب أهل الجنة؟!)[١٠]، وأكد استطلاع هذا الحديث ممن سمعه عن النبي وهم (جابر بن عبد الله الأنصاري ،وسعيد الخدري، وانس بن مالك) وغيرهم.

ب ـ الكشف عن معادلة الحق التي تبيّن أنّ قتله عليه السلام يعد جريمة؛ لأنه لم يرتكب جريمة قتل يُطلب بها، وأنّه لم يرتكب أي اعتداء يسوّغ الاعتداء عليه قصاصا، قال عليه السلام: (ويحكم أتطلبوني بقتيل منكم قتلته، أو مال لكم استهلكته، أو بقصاص جراحة؟)[١١].

جـ ـ الكشف عن أنّ خروجه لم يكن بدوافع ذاتية محضة، وإنما كان تلبيه لطلب جمهور مضطهد منتهك الكرامة، ومنتهب الحقوق، ومغصوب بغير وجه حق، ويشهد على ذلك كتب أهل الكوفة التي كشف عنها الحسين عليه السلام في مرحلة متأخرة كي لا يفضح القوم الذين كاتبوه لعلهم يهتدون ويثوبون إلى رشدهم، ومن ذلك كتب نخبة من أهل الكوفة باسمهم واسم المسلمين والمؤمنين، وفيه: (الحمد لله الذي قضم عدوك الجبار العنيد الذي انتزى على هذه الأمة فابتزها أمرها،وغصبها فيئها، وتأمّر عليها بغير رضا منها، ثم قتل خيارها واستبقى شرارها، وجعل مال الله دولة بين جبابرتها وأغنيائها فبعدا له كما بعدت ثمود،إنه ليس علينا إمام فأقبل لعل الله أن يجمعنا بك على الحق)[١٢]. وهنا فضح الإمام الحسين عليه السلام نفاق سادات القوم في قوله: (يا شبث بن ربيعي ويا حجار بن أبجر ويا قيس بن الأشعث ويا يزيد بن الحارث ويا عزرة بن قيس ويا عمر بن الحجاج؛ ألم تكتبوا إليّ: فقد اخضر الجناب وأينعت الثمار وطمت الجمام، فإذا شئت فاقدم على جند مجندة)[١٣]، فقالوا له: لم نفعل، فقال: سبحان الله، بلى والله لقد فعلتم.

٢ـ تحرير الطاقات النفسية للمؤيدين المترددين.

بعد تحطيم الإطار الأخلاقي لحكم آل أمية الذي رفض كل الخيارات التي عرضها الحسين عليه السلام على المطالبين دمه، فأبوا إلا قتله بمأساة مروعة ،ظهر أثرها عند الأمة الإسلامية عموما،وأهل الكوفة خصوصاً في شعور بالإثم لدى كل من كان مستطيعا نصره فلم ينصره ،بعد أن تبيّن أنّ موقف الحسين عليه السلام وتضحيته إنما كانت تضحية لأجل المبادئ السامية والإصلاح الديني،وقد ظهر هذا الشعور في جانبين:

أـ جانب التعاطف مع موقف الحسين عليه السلام ومبادئه.

ب ـ جانب الحقد والكراهية على الذين ارتكبوا هذا الجرم.

والمهم أنّ الجانبين يركزان على العاطفة في حين كان العامل الأول يركز على العقل،وقد كانت العاطفة قبل استشهاد الإمام الحسين عليه السلام مشوشة تجسدها مقولة الفرزدق: (قلوبهم معك وسيوفهم عليك)،ولكن الآن أصبحت العاطفة موجهة بالاتجاه الصحيح وهو نصرة الحقّ والثورة على الظالم والانتقام من المجرم والتشفي به.

وقد قدر لبقية أهل البيت عليهم السلام أن تلهب هذا الشعور بالإثم،أو تزيد حرارته، فهذه زينب عليها السلام تقف خاطبة أهل الكوفة: (أما بعد يا أهل الكوفة،أتبكون؟ فلا سكنت العبرة، ولا هدأت الرنّة، إنما مثلكم كمثل التي نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثا،وتتخذون أيمانكم دخلا بينكم،ألا ساء ما تزرون...

فابكوا فإنكم لا ترحضون قتل سبط خاتم النبوة ومعدن الرسالة ومدار حجتكم، ومنار محجتكم.... أتدرون أي كبد فريتم، وأي دم سفكتم؟ ،وأي كريمة أبرزتم؟...لقد جئتم شيئاً إدا تكاد السماوات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هدا)[١٤].

وقد وردت أحاديث كثيرة لاحقا عن الأئمة المعصومين عليهم السلام تشير إلى تعزيز الجانب العاطفي من كتابة الشعر وإلقاء الخطب وزيارة قبر الإمام الحسين عليه السلام وإقامة الشعائر الحسينية التي تخصّ ذكرى استشهاد الحسين عليه السلام، وكل هذه الميادين تفيد في إلهاب المدّ العاطفي للجماهير.

٣ـ بناء قيم وأخلاق جديدة:

لقد شيّد الإمام الحسين عليه السلام في نهضته الأخلاق الإسلامية العالية بكل صفائها ونقائها، وقدمه مكتوبا بدمائه ودماء أهل بيته وأصحابه.

ومن الأخلاق الجديدة أن المسلم أصبح لا يهاب الموت ولا يخافه، بل ويرغب فيه؛ لأنه أصبح لا يفضل حياة الذل والظلم والخضوع أو الحياة البهيمية القائمة على الأكل والشرب من دون وعي ولا إرادة ولا حرية فيها كرامة الإنسان، وهكذا استشهد الإمام الحسين عليه السلام بأبيات في هذا المعنى لأحد الشعراء:

سأمضي وما بالموت عارٌ على الفتى
إذا ما نوى خيراً وجاهد مسلما
وواسى رجالا صالحين بنفسه
وخالف مثبوراً وفارقاً مجرماً
فإن عشتُ لن أندم وإنْ مُتُّ لم أُلَمْ
كفى بك ذُلا أن تعيش فترغما

ولهذا أصبح المرء إذا خُيّر بين حياة الذل والموت اقتدى بالإمام الحسين عليه السلام فاختار الموت، قال عليه السلام: (ألا وأنّ الدعي ابن الدعي قد ركز بين اثنتين، بين السلة والذلة، وهيهات منّا الذلة، يأبى الله لنا ورسوله والمؤمنون وجدود طابت وحجور طهرت وأنوف حمية ونفوس أبيّة، لا تؤثر طاعة اللئام على مصارع الكرام)[١٥].

هذه الأخلاق قائمة على الإيمان المطلق بحياة ما بعد الموت، والنظر إلى أنّ الموت في سبيل الله تعالى موصول بالشهادة التي تخلّد الانسان، قال تعالى: (**وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ**) (آل عمران: ١٧٩)، في حين لا يؤمن الظالم بهذه الحياة؛ لانّ حياته محدودة بالدنيا وملذاتها، ولا يلجأ إلى الله إلا حين يحاصره الموت.

وكان الإنسان الاعتيادي قبل واقعة الطف لا يفكّر إلا في حياته الخاصة، وربما يتسع اهتمامه إلى أفراد القبيلة حسب، أما المجتمع الإسلامي الكبير والآمه فلم يكن في دائرة اهتمامه.

ومن الأخلاق الجديدة ظهور المرأة القوية التي خرجت عن إطارها الاعتيادي في إدارة شؤون البيت وتربية الطفل والاهتمام بالزينة وغيرها من شؤون المرأة المألوفة، إذا كان الأمر يتعلق بالحفاظ على العقيدة الإسلامية وثوابتها، ومثال هذه المرأة زوجة عبد الله بن عمير التي خرجت مع زوجها حين التحق بركب الحسين عليه السلام وكانت أول امرأة تُقتل في واقعة الطف.

وكذلك فعلت أم وهب بن الحباب الكلبي حين قالت لابنها: (قم فانصر ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله، فبرز وقاتل ثم رجع، وقال: يا أماه هل رضيت؟ فقالت: ما رضيت حتى تقتل بين يدي الحسين، فقالت له امرأته: بالله عليك لا تفجعني بنفسك، فقالت له أمه: يا بني أغرب عن قولها، وارجع وقاتل

بين يدي ابن بنت نبيّك تنلْ شفاعة جدّه يوم القيامة)[١٦]. وغيرهن كثير.

وقد عملت هذه الأخلاق الجديدة في إكساب الحياة الإسلامية سمة قد فقدتها قبل نهضة الإمام الحسين عليه السلام فأصبح لهذه الأخلاق جمهور يتبنّاها لا يهاب موتاً ولا يرضخ إلى ذل اقتداء بشهداء كربلاء، وقد بدأ الحكام المجافون لروح الإسلام يحسبون لهم حساباً خاصاً، وبدأ المجتمع الإسلامي يشهد من حين لآخر ثورات عارمة يقوم بها الرجال الاعتياديون على الحكام الظالمين وأعوانهم.

وعاد المسلم لا يَخذل من عاهده أو من بايعه حتى الموت، كما كان الحال في سلوك أنصار رسول الله صلى الله عليه وآله حين بايعوه فقال لهم أحد أشرافهم: (يا معشر الخزرج هل تدرون علام تبايعون هذا الرجل تبايعونه على حرب الأحمر والأسود فإن كنتم ترون أنكم إذا نهكت أموالكم مصيبة وأشرافكم قتلا أسلمتموه فمن الآن فهو والله خزى الدنيا والآخرة وإن كنتم ترون أنكم وافون له فخذوه فهو والله خير الدنيا والآخرة .قالوا فإنا نأخذه على مصيبة الأموال وقتل الأشراف فما لنا بذلك يا رسول الله قال الجنة قالوا ابسط يدك فبايعوه)[١٧].

ولذلك تجددت الروح النضالية التي خمدت ابتداء من استشهاد الإمام علي عليه السلام في عام ٤٠ هـ لحين نهضة الحسين عليه السلام في ٦٠ هـ، أي مدة عشرين سنة، وكان أول انبعاث لهذه الروح ثورة التوابين الذين راجعوا أنفسهم فوجدوا أنهم أخطأوا خطأ جسيما بدعوة الحسين إليهم وتركهم نصرته ،ورأوا أنّهم لا يغسلون هذا العار إلا بقتل من قتل الإمام الحسين عليه السلام أو يُقتلون في طلب ذلك فتوجهوا بعد زيارة مرقد الإمام الحسين عليه السلام إلى الشام وقاتلوا حتى أبيدوا، وقد رفضوا الأمان الذي بعثه يزيد لهم.

والمهم في ثورة التوابين ملاحظة انقلاب لوحة القيم من معاني العجز والانهيار والتخاذل إلى الرغبة المُلحّة في الثورة والاستشهاد من دون النظر إلى أي هدف آخر غير الموت،لذا أحصى سليمان بن صرد ديوانه فكان ستة عشر ألف رجل، خرج منهم أربعة آلاف[١٨]، ومع ذلك فهذه النسبة مشجعة جداً(٢٠٪)، وبالقياس إلى نسبة ثمانين ألفا من الذين بايعوا مسلم بن عقيل عليه السلام، فالتحق منهم نفر قليل، مع حساب أنّ النسبة الأولى لم تضع في حسابها أنها يمكن أن تنتصر في المعركة، في حين أنّ النسبة الأولى كان بإمكانها إحراز النصر لو كنت صادقة ببيعتها وتضحيتها■

---

١) ينظر: ثورة الحسين عليه السلام،ظروفها الاجتماعية وآثارها الإنسانية، محمد مهدي شمس الدين:٢٠٥ وما بعدها.
٢) مروج الذهب، المسعودي:٣/٢٤.
٣) نهج البلاغة:٨٦.
٤) م.ن:٣/ ٤٧.
٥) م.ن: ٣/ ٤٣ ـ ٤٤.
٦) م.ن: ٣/ ٨٢.
٧) م.ن ٣/ ٨٢.
٨) تاريخ الأمم والملوك، الطبري: ٣/ ٢٧٥.
٩) م.ن: ٣/ ٣٣١.
١٠) الإرشاد/الشيخ المفيد/ج٢ص٩٧.
١١) م.ن.
١٢) تاريخ الأمم والملوك، الطبري: ٣/ ٤٢٥.
١٣) م.ن٣/ ٤٢٦.
١٤) الأمالي/الشيخ المفيد/ص٣٢٣.
١٥) أعيان الشيعة: ٤/ ٢٥٨ ـ ٢٥٩.
١٦) أعيان الشيعة: ٤/ ٢٦٧ ـ ٢٦٨.
١٧) الكامل في التاريخ/ابن الاثير/ج٢ص٩٩.
١٨) ينظر: تاريخ الأمم والملوك، الطبري: ٣/ ٤٥٢.

عاشوراء الخلود ومصاب الحسين عليه السلام في رائية ابن معصوم المدني

د. حسين لفته حافظ
مركز دراسات الكوفة/جامعة الكوفة

ينابيع

ليس هناك فاجعة على مر الدهر والعصور توازي فاجعة الحسين عليه السلام في عاشوراء تلك الفاجعة التي أبكت ملائكة السماء قبل سكان الأرض، وتركت حرارة في نفوس المؤمنين لا تبرد أبدا، وقد تنوعت أشكال توظيف تلك الفاجعة عند الكتاب وعلى مختلف العصور إذ تناولوها من جوانب متعددة وراح كل واحد منهم يتناول جانبا من الفاجعة الأليمة، وشاعرنا ابن معصوم المدني من الشعراء الكبار فقد امتاز بإجادته لفن الرثاء وخاصة رثاء أهل البيت عليهم السلام، وقصائده تشهد بذلك ومنها رائيته موضوع الدراسة ولعل السبب الذي دفع إلى دراستها هو تجسيدها لواقعة الطف بطريقة فنية حزينة من خلال نهج طريقة السرد الفني.

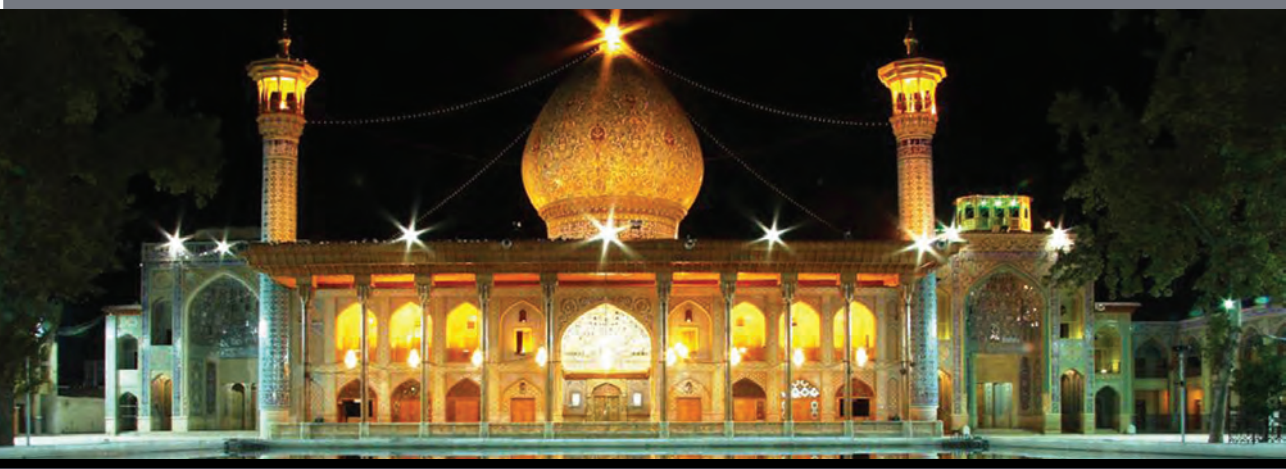

مرقد السيّد أحمد ابن الإمام موسى الكاظم عليه السلام
الذي يضم قبر ابن معصو م المدني قدس سره في مدينة شيراز

سيرة ابن معصوم:

ينتسب ابن معصوم المدني إلى أسرة علويّة شريفة كريمة، عُرفت بالتقوى والصلاح والعلم، جذورها محمد صلى الله عليه وآله وعلي بن أبي طالب وأولاده وبنوه عليهم السلام، كما يقول هو عن نفسه في ترجمته[1]

أشهر مؤلفاته: نذكر منها ما يلي:

١- رياض السالكين في شرح الصحيفة الكاملة السجادية.
٢- نغمة الأغان في عشرة الإخوان.
٣- رسالة في المسلسلة بالاباء.
٤- سلوة الغريب وأسوة الأديب.
٥- أنوار الربيع في أنواع البديع.
٦- الكلم الطيب والغيث الصيب.
٧- الحدائق النبية في شرح الصمدية.
٨- رسالة في أغاليط الفيروز آبادي في القاموس.
٩- موضح الرشاد في شرح الإرشاد.
١٠- سلافة العصر في محاسن أعيان العصر.
١١- الدرجات الرفيعة في طبقات الشيعة.
١٢- التذكرة في الفوائد النادرة.
١٣- المخلاة في المحاضرات.
١٤- ديوان شعر.

أما عن وفاته:

توفّي السيّد ابن معصوم قدس سره عام ١١٢٠ هـ بمدينة شيراز، ودفن في حرم السيّد أحمد بن الإمام موسى الكاظم عليه السلام ـ المعروف بـ (شاه جراغ)ـ في مدينة شيراز، بجوار جدّه السيّد المنصور صاحب المدرسة المنصورية.

نص القصيدة:

أليلة الحشر لا بل يوم عاشور
ونفخة الصور لا بل نفث مصدور
يومٌ به اهتزَّ عرشُ اللّه من حَزَنٍ
على دمٍ لرسول اللّه مَهدورِ
يومٌ به كُسفت شمسُ العُلى أسفاً
وأصبح الدين فيه كاسف النور
يومٌ به ذهبت أبناءُ فاطمة
للبين ما بين مقتول ومأسور
فأي دمع عليه غير منهملٍ
وأي قلب عليه غيرَ مفطور
ولوعة لا تزال الدهرَ مُسعرة
بين الجوانح ناراً ذات تسعيرِ
لرزء أبلج في صماء ساحته كذا
من نبعة المجد والغرِّ المشاهير
مولى قضى اللّه تنويهاً بإمرته
فراحَ يقضي عليه كلُّ مأمورِ
للّه ملقى على البوغاء مطرحاً
كاسٍ من الحمد عارٍ غير مستور
قضى على ظمأ ما بل غُلته
إلا بكل أبل الحد مأثور
يا وقعة الطف خلدت القلوب أسىً
كأنّما كلُّ يوم يومِ عاشورِ
يا وقعة الطف أبكيت الجفُون دماً
ورعت كل فؤادٍ غير مذعور
يا وقعة الطف كم أضرمت نارَ جوىً
في كل قلبٍ من الأحزان مسجور
يا وقعة الطف كم أخفيت من قمرٍ
وكم غمرتِ أبياً غيرَ مغمورِ
يا وقعة الطف هل تدرين أي فتىً
أوقعته رهن تعقيرٍ وتعفير
يا وقعة الطف هل تدرين أي دمٍ
أرقته بين خلف القومِ والزور
لا كان يومك في الأيام إن له
في كل قلب لجرحاً غير مسبور
كم من فتىً فيك صبح المجد غرته
أضحى يحكم فيه كل مغرور
وكم رؤوس وأجسام هنالك قد
أضْبحْنَ ماً بين مرفوعٍ ومجرورِ
لهفي عليهم وقد شالت نعامتُهمَ
وأوطنوا ربع قفرٍ غير معمور

فقل لمن رام صبراً عن رزيتهم
إليك عنِّي فما صَبري بمَقْدُورِ
أيذخُرُ الحزنَ عن أبناء فاطمة
يوماً وهلْ منهُم أولى بمَذْخورِ
مهما نسيت فلا أنسى الحسَين لقى
تحنو عليه ربى الآكام والقور
معفراً في موامي البيد منجدلاً
يزورُه الوحشُ من سِيد ويعفورِ
تبكي عليه السماوات العلى حزَناً
والأرضُ تكسُوه ثوباً غيرَ مزرورِ
يا حسرةً لغريب الدارِ مُضطَهد
يلقى العدى بعَديد منه مَكثُورِ
يحمي الوطيسَ متى وافاه مُنتَصراً
عليهم بخميس غير منصور
حتى إذا لم يكنْ من دونه وَزَرٌ
شفى الضغائن منه كل موزور
فأين عينُ رسولِ اللّه ترمقُه
لقى على جانبٍ للبين مهجور
وأين عين علي منه تلحظه
مقهورَ كلِّ شقيٍّ الجدِّ مَقهورِ
وأين فاطمة الزهراء تنظره
وأهله بين مذبوح ومنحور
يا غَيرَة اللّه والأملاك قاطبة
لفادح من خطوب الدهر منكور
تسبى بنات رسول اللّه حاسرة
كأنهن سبايا قوم سابور
من كل طاهرة الأذيال ظاهرة
ترمي العدى بعيونٍ نحوها صور
من الفواطم في الأغلال خاشعة
يحدى بهن على الأقتاب والكور
يَنْعَينَ يا جدُّ نال القوم وتْرَهُم
منا وأوقع فينا كل محذور
يا جد صال الأعادي في بنيك وقد
ثوى الحسينُ ثلاثاً غيرُ مقبور
وأودع الرأس منه رأس عالية
وأوطيء الجسم منه كل محضير
هذا الحسين قتيلاً رهنَ مصرعه
يبكي له كل تهليل وتكبير
هذا الحسينُ ثوى بالطفِّ منفرداً
تسفي عليه سوافي الترب والمور
هذي بناتك للأشهاد بارزة
يشهرن بين الأعادي أي تشهير
آهٍ لرزئكُمُ في الدَّهر من خَبرِ
باقٍ على صفحات الدهر مسطور
تبت يد ابنِ زيادٍ من غوي هوى
ومارقٍ في غمار الكُفْرِ مَغمورِ
أرضى يزيدَ بسُخط اللّه مُجتَرئاً
وبر منه زنيماً غير مبرور
فهل ترى حيم أم الغي كان رأى
دم الحسين عليه غير محظور
أتيت يا ابن زيادٍ كل فادحة
بُوِّئتَ منها بسعيٍ غير مشكورِ
بني أمية هبُّوا لا أبالكمُ
فطالب الوتر منكم غير موتور
نسيتُمُ أم تناسيتم جنايتَكم
فتلك واللّه ذنبٌ غيرُ مغفورِ
خاصمتم اللّه في أبناء خيرته
هل يخصمُ اللّه الاَّ كلُّ مَدحورِ
ورعتم بالردى قلب ابن فاطمة
وما رعيتم ذماماً جدَّ مخفور
أبكيتم جَفنَ خير المُرْسَلينَ دماً
ورحتم بين مغبوطٍ ومسرور
اليكمُ يا بَني الزَّهراء مرثيَةً
أصاخَ سمعاً إليها كلُّ مَوقورِ
تجدد الحزن بالبيت العتيق بكم
ويحطم الوجد منها جانب الطور
عليكم صلوات اللّه ما هطلت
سحبٌ وشق وميضٌ قلب ديجور

الدراسة:

النص الشعري هو(كيان تشكيلي قائم بذاته)[٢] والشاعر(هو معلم الدهشة

والحيوية)[٣] حيث (يحاول أن يخلق نوعاً من التوافق النفسي بينه وبين العالم الخارجي عن طريق ذلك (التوقيع) الموسيقي الذي يعد أساسياً في كل عمل فني)[٤] من جهة واستغلال الصورة المكانية لخلق هذا التوافق من جهة أخرى، وقد عقد أكثر من كاتب مقارنة بين فن الرسم وعمل الرسام من جهة وبين فن الشعر وعمل الشاعر من جهة أخرى[٥] ويبدو أن ابن معصوم نجح في رسم لوحته الفنية المعبرة عن جلل الحدث وأهميته من خلال توظيف فن الرثاء وهو تعبير عن حالة نفسية تصيب الشاعر في مناسبة محزنة تهيج بها كوامن شجونه وتدفعه إلى البكاء والحزن[٦].

ولعل الذي يربط الشعراء بأهل البيت عليهم السلام شيء كبير وسام، انه الحب المقدس وما دفع الشعراء إلى رثاء اهل البيت هو الشعور بالحزن إزاء ما جرى لأهل الحق وكيف ارادت قوى الشر والظلام أن تنتصر بطريقة الظلم والوحشية (مما جعل خط الإسلام يتراجع في المجتمع وتضعف المبادئ التي نزل بها الدين الحنيف لدى الناس)[٧].

البناء الفني في القصيدة:

امتازت رائية ابن معصوم بخلوها من المطلع التقليدي الذي اعتاد شعراء الرثاء على افتتاح قصائدهم به ليصدم القارئ بدخوله المباشر إلى غرضه الشعري المتمثل بفاجعة عاشوراء وقد امتاز مطلع الشاعر من حيث اللفظ والمبنى أنه دلّ على المعنى المقصود من النص بكامله فضلا عن مجيئه مصرعا كما قال قدامة بن جعفر: (أن يقصد لتصيير مقطع المصراع الأول من البيت الأول من القصيدة مثل قافيتها، فإن الفحول المجيدين من الشعراء القدماء والمحدثين يتوخون ذلك ولا يكادون يعدلون عنه)[٨].

وبعد هذا المطلع راح شاعرنا يسرد ما حصل في تلك الفاجعة من أحداث متتالية بطريقة مشحونة بالحزن وميزة الشاعر أنه كان يقف عند الجزئيات ليفصل القول بطريقه فنية فيوم عاشور عنده يوم تعددت المآسي فيه فهو يومٌ به اهتزَّ عرشُ اللّٰهِ، كذلك هو يومٌ به كُسفت شمسُ العُلى وهو يومٌ به ذهبت أبناءُ فاطمة للبين وهكذا يستمر الشاعر بسرد تفاصيل هذا اليوم المشؤوم ومن أهم الظواهر الفنية التي وظفها الشاعر:

ظاهرة التكرار:

وهو تناوب الألفاظ وإعادتها في سياق التعبير بحيث تشكل نغما موسيقيا يتقصده الناظم في شعره[٩] ويعد ظاهرة فنية بارزة شهدها الشعر العربي قديما وحديثا وهي من الوسائل الموسيقية التي تسهم في ترسيخ المعنى الأدائي وتعمقه، عند إلحاح الشاعر على جهة في العبارة يعني بها أكثر من عنايته بسواها[١٠] وكما فعل ابن معصوم المدني في رثاء الإمام الحسين فقد كرر ألفاظ (يوم) وعبارة (ياوقعة الطف) بشكل ملفت للنظر ويبدو أن الدافع وراء هذا التكرار هو التأكيد على عمق الحدث وأهميته فيوم عاشوراء يوم عظيم وعظمته جاءت من حجم المصاب وهوله، وكذلك جملة يا وقعة الطف أراد الشاعر من خلالها أن يوصل رسالة إلى المتلقي بأن هذه الواقعة خالدة لايمكن نسيانها باستعمال ياء النداء التي تدل على نداء البعيد وفي ذلك دلالة على أن الحدث وعلى الرغم من بعده التاريخي القديم إلا أنه لازال حاضرا في الأذهان وشاهدا

على مدى الظلم الذي لحق بالحسين وأهل بيته عليهم السلام أجمعين.

أسلوب الاستفهام:

وهو من الأساليب الإنشائية التي استعملها الشاعر بكثرة في قصيدته وقد ركز فيها على المعنى المجازي للاستفهام أي أن أغلب استعماله كان في مجال الاستفهام الاستنكاري، فالشاعر يستنكر العمل الشنيع الذي فعلته زمرة بني أمية بحق سليل الدوحة المحمدية ومن أشهر الأدوات التي استعملها الشاعر أداة الهمزة وهل وكم في أبيات من قصيدته ومنها قوله:

أيذخُرُ الحزنُ عن أبناء فاطمة
يوماً وهلْ مِنهُم أولى بمَذْخورِ

فالشاعر هنا يستنكرَ ويتعجب من ذخر الحزن أي حبسه وادخاره معلنا أنه ليس هناك فاجعة تفوق ماحصل للحسين عليه السلام من هنا صار واجبا أن نحزن على الحسين لأنه ليس هناك بعد أبناء فاطمة من يستحق أن نحزن عليه فواقعة الحسين مبكية حزينة لأنه افنى عمره وعياله في سبيل أن تحيى وتعيش كلمة لا إله إلا الله وكان الشاعر يريد أن يقول للنفس: (يا نفس بعد الحسين هوني) وكلنا يعلم أن البكاء على الحسين عليه السلام ماهو إلا تعظيم لشعائر الله سبحانه وتعالى.

وفي مثال آخر يوظف الشاعر فيه هل الاستفهامية في قوله:

خاصمتم الله في أبناء خيرته
هل يخصمُ الله الاّ كلُّ مَدحورِ

والخطاب هنا موجه إلى معسكرَ الكفر والظلالة بأنهم خاصموا الله عز وجل بقتالهم الحسين عليه السلام، لذا يستنكر عليهم متوعدا إياهم بالخسران ومن يقف بوجه ذي العزة والجلال والتاريخ يشهد أن كل من خاصم الحسين عليه السلام كان مصيره الهلاك وسوء العاقبة وإلى يومنا هذا.

التصوير الفني:

أكثر شاعرنا من استعمال الصور الفنية في رائيته،لأن الصورة في الشعر تجاوز اللغة الدلالية إلى اللغة الإيحائية وهو عبور يتم عن طريق الالتفاف حول كلمة تفقد معناها على مستوى لغوي أول لتكسبه على مستوى آخر وتؤدي بهذا دلالة ثانية لا يتيسر أداؤها على المستوى الأول[١١] ومن الأمثلة على ذلك قوله:

يومٌ به كُسفت شمسُ العُلى أسفاً
وأصبح الدين فيه كاسف النور

فالشاعر في معرض وصفه ليوم عاشوراء يتصور أن هذا اليوم به كسفت شمس العلى أسفاً وحزنا على مصاب الحسين عليه السلام، فتخيل أن الظلام قد عم الأرض نتيجة قتل الحسين وعياله ظلما، فضلا عن هذا يرسم لنا الشاعر صورة أخرى للدين وكيف أنه غدا كاسفا للنور للسبب نفسه، وهذه كلها تعابير مجازية استفاد الشاعر من توظيفها ليخلق عالما مؤثرا مليئا بالحزن رسمته مخيلة الشاعر من خلال إيجاد علاقات جديدة بين الألفاظ.

كذلك نجح الشاعر في رسم صورة جميلة في قوله:

عليكم صلوات الله ما هطلت
سحبٌ وشق وميضٌ قلب ديجور

فهو هنا يتحدث عن الصلوات الإلهية التي خص بها الرحمن عز وجل أهل بيت النبوة دون سائر الأفراد، وهذه الصلوات سرمدية مادامت السحب

تهطل والبرق يومض، ومكمن التصوير في استعارة القلب للديجور وهو الظُّلمة، ووصفوا به فقالوا : ليلٌ ديجورٌ، وليلةٌ ديجورٌ، فالصورة هنا تبنى على الجمع بين المتضادين وهما البرق والظلام وهي صورة تبعث في النفس الخوف والتأمل، خاصة وأن هذا الوميض يشق قلب الظلام.

وأخيراً أقول إن مصادر الشاعر في خلق صورته الفنية متنوعه منها ما يدخل في استفادة الشاعر من الموروث الشعري القديم ومنها ما استفاد فيه الشاعر من القرآن الكريم فضلا عن مخيلة الشاعر التي أنتجت هذا الإبداع الفني والتوظيف الإنساني لفاجعة ليس هناك مثلها فاجعة في التاريخ الإنساني وقد نجح الشاعر في نقل أحداث تلك الفاجعة بطريقة فنية مؤثرة إلى الأجيال اللاحقة لتتعلم أن الحسين ثورة ضد الطغيان. وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين■

١) ينظر: الآثار العلمية لابن معصوم المدني/ الدكتور عادل النصراوي.. وسلوة الغريب وأسوة الأريب (رحلة ابن معصوم المدني)، ورياض السالكين في شرح صحيفة سيد الساجدين، السيد علي خان الحسيني المدني، جـ١/ ١٣٩.

٢) قراءة في التجربة السيرية لشعراء الحداثة العربية د. محمد صابر عبيد/ دراسة نقدية: ٤٥.

٣) مقالة في اللغة الشعرية/ محمد الأسعد:٩٢.

٤) الشعر العربي المعاصر- قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية/ د. عز الدين إسماعيل :١٢٤.

٥) ينظر شعر عبد الله رضوان دراسة فنية: ٥٧.

٦) اثر البيئة في أدب المدن العراقية في القرن التاسع عشر: ٣٣.

٧) شعر أبي المجد دراسة موضوعية فنية: ٥٢.

٨) نقد الشعر: ٥١.

٩) ينظر جرس الألفاظ ودلالتها في البحث البلاغي والنقدي عند العرب، د. ماهر مهدي هلال: ٢٣٩.

١٠) ينظر: قضايا الشعر المعاصر، نازك الملائكة: ٢٤٠.

١١) النظرية البنائية في النقد الأدبي، صلاح فضل: ٣٥٩.

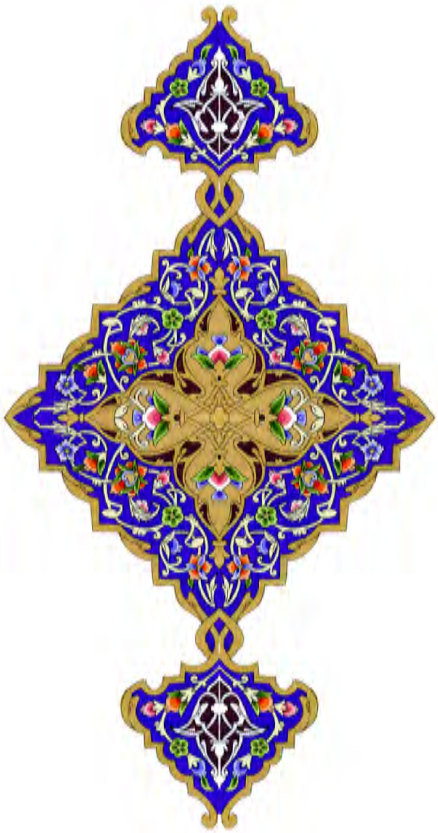

العَبْرة والعِبْرة
في نهضة الإمام الحسين عليه السلام

د. هاشم جعفر الموسوي
جامعة بابل/ كلية التربية

ينابيع

من المعلوم في تاريخ البشرية أن أية أمة من الأمم تفتخر بعظمائها وأفذاذها وعباقرتها ومفكريها، ذلك أنهم يمثلون تاريخها المشرف، ومحل اعتزازها الدائم، ومن ثَم هم يشكلون القدوة الحسنة لأفرادها، إذا ما أحسنت الانتفاع منهم بأن وظفت سيرتهم وعطاءهم وما جادوا به ليكون منهلاً وزاداً روياً ومثالاً يحتذى وقدوة حسنة للأجيال.

ولا جرم أن أية أمّة من الأمم لا يحقّ لها أن تفتخر بمثل ما يكون لأمة العرب، ذلك أنه قد نشأ بين ظهرانيها آل البيت الأطهار عليهم السلام، فكان فضل رسول الله صلى الله عليه وآله على العرب جميعهم لا يدانيه فضل، فقد نقل حياتهم نقلة نوعية من الحياة البدوية العبثية الوثنية التي كانوا يرزحون في ظلماتها إلى الحياة المدنية الفاضلة بكل تجلياتها، فأصبحوا من ذوي الحظوة

الشهيد
يا حسين بن علي

والشأن بين أمم زمانهم، ثم أكرمهم الله ببركة رسوله بأعظم دستور عرفته البشرية، قرآناً مفصلاً كلّمهم بلسانهم وخاطبهم على قدرهم، فأثار فيهم دفائن العقول ومكامن القوة، حتى غدوا أمة مهابة في المشرق والمغرب.

ثم إن الله امتنّ على أمة العرب بآل بيتٍ كرام من نسب الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله، ألهموا علم الرسالة إلهاماً ، وتواتروا على تجسيد مضامينه وأحكامه تواتراً، فهم القرآن الناطق والحجة البالغة والعروة الوثقى التي أمر الله الناس أن يتمسكوا بها.

لكن الكثرة الكاثرة من هذه الأمة لم تفقه نعمة الله الكبرى، ولم تُدرك أن النقمة نتيجة حتمية لزوال النعمة، مع أن الله عرّفهم مصير الأمم السابقة المنحرفين عن أنبيائهم وأوصياء أنبيائهم، وبيّن لهم أن العقوبات في تلك الأمم الغابرة هي سنن كونية محتومة تقع حيث تتوافر أسبابها.

فكان أن فاجأ هؤلاء (العاصون لأوامر الله في مراعاة حرمة رسوله صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام) التاريخ بشدة الإساءة إلى النبي الأكرم صلى الله عليه وآله، ثم وصيه من بعده أمير المؤمنين علي عليه السلام، ثم شمول الإساءة سبط النبي الأكبر الإمام الحسن عليه السلام، ثم كانت طخيتهم الكبرى، وجريمتهم النكراء، أن أصابوا كبد رسول الله صلى الله عليه وآله وآل بيته بمقتل، فنالوا غرضهم من سيد الشهداء عليه السلام وأنصاره الأوفياء ، فأساء ذلك إلى أهل الأرض والسماء، وأدمى مصابهم القلوب وقهر العيون.

وإذ نستذكر تاريخ الفاجعة وتمرّ علينا أيام الشهر المحرم ولياليه، فتشخص فاجعته الأليمة بكل أحداثها وصورها المؤلمة، فتتقد العبرات، وتذرف العيون أسًى، وتنفطر القلوب أسفاً، ثم نتأمل الحدث الجلل فيوري الفكر زناده، ليستلهم العبر من تلك الملحمة الربانية، فتضحية الإمام المعصوم عليه السلام مستندة إلى ضوابط الشريعة المقدسة متوافقة مع أحكام دستورها الرباني على مبدأ أن الإسلام منظومة فكرية لا عاطفية، ومن ثم وجب علينا أن ننعم النظر في نهضة الإمام الحسين عليه السلام، لنقف على مواطن العبرة والتدبر وهي أكثر من أن تحصى ، ويمكن لنا أن نرصد منها العبر الآتية:

١- جسدت نهضة الإمام الحسين عليه السلام عمليّاً الغرض الرئيس لوجود الإنسان في هذه الحياة ، فالقرآن الكريم يُصرِّح به قائلاً : **(وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ)** (الذاريات:٥٦) ولعلّ السر الأسمى لكمال العبودية هو التسليم المطلق لإرادة الله عزّ وجلّ، وقد كان الإمام الحسين عليه السلام وآل بيته وأصحابه المصداق الأكثر انطباقاً على التسليم لإرادة الباري سبحانه، فقد يخطر في البال أن خروج الإمام عليه السلام ومعه عياله وأصحابه لمعركة غير متكافئة في العدد والعدة فيه من الغرابة ما لا يخفى، لكن هذا الخاطر يهن مع الاعتقاد بعصمة الإمام الحسين عليه السلام، وبأن نهضته كانت تسليماً مطلقاً للأمر الإلهي، وقد وضّح الإمام بنفسه هذا الأمر لمن قابلوه في أثناء رحلته مبيِّناً لهم أن طاعة الله وتقبّل أوامره والتسليم لها يستدعي مثل هذه التضحية النفيسة.

٢- أقرّت حركة الإمام الحسين عليه السلام أن الركون إلى الظالمين والعيش في كنفهم خطأ فاحش يرتكبه المسلمون يورثهم الضجر وضيق العيش، على حين أن طلب

الشهادة عند ضياع الحق وانتصار الباطل هو السعادة بعينها، يتضح ذلك في قول الإمام عليه السلام: (ألا ترون أنّ الحقّ لا يُعمَل به، وأنّ الباطل لا يُتناهى عنه، ليرغب المؤمن في لقاء ربِّه محقّاً، فإني لا أرى الموت إلا سعادة ولا الحياة مع الظالمين إلا بَرماً)[1]. فالإمام عليه السلام ضحّى بنفسه، وهي أطهر النفوس وأزكاها حينذاك، وضحى بآل بيته وصحبه الكرام، بل ضحّى بكل ما يملك لنيل رضا الله، ومنه يفهم أن مثل هذه التضحية واجبة، ولو اقتضت شهادة أعز الأنفس عند الله وأعظمها ذلك أن الأنبياء والأولياء هم قدوة البشرية إلى كل خير وإصلاح.

٣ـ جسّد الإمام الحسين عليه السلام وأنصاره عملياً وجوب العناية الشديدة والحرص الأشد على إقامة الواجبات الشرعية، فقد صلى الإمام بأصحابه صلاة الخوف في وسط أجواء القتل والانتقام، بل وقف الأصحاب يذودون السهام عن إمامهم وعن إقامة الصلاة، في أروع مشهد للتضحية، فقدّمهم إمامهم أمامه إلى الجنة، فقد روى المؤرخون أن أبا ثمامة الصائدي رضي الله عنه قال للإمام الحسين عليه السلام وقد حان موعد الصلاة: (يا أبا عَبد الله ، نَفسي لَكَ الفداءُ، إنّي أرى هؤُلاءِ قَد اقتَرَبوا مِنكَ، ولا والله لا تُقتَلُ حَتّى أقتَلَ دونَكَ إن شاءَ الله، وأُحِبُّ أن ألقى رَبّي وقَد صَلّيتُ هذه الصَّلاةَ الّتي دَنا وَقتُها. قالَ: فَرَفَعَ الحُسَينُ رَأسَهُ ثُمَّ قالَ: ذَكَرتَ الصَّلاةَ، جَعَلَكَ الله مِنَ المُصَلّينَ الذّاكِرينَ، نَعَم هذا أوَّلُ وَقتِها، ثُمَّ قالَ: سَلوهُم أن يَكُفّوا عَنّا حَتّى نُصَلّيَ)[2].

٤ـ بيّنت نهضة الإمام الحسين عليه السلام أنّ الإصلاح قد يتخذ طريقاً شاقّاً على النفوس، غاليَ الثمن على المصلح، لكنه ثمن يستحقّه هذا الإصلاح، فالإمام الحسين عليه السلام إنما خرج لطلب الإصلاح في أمّة جده المصطفى، والإصلاح ذاك كان غرضه الأسمى زلزلة دولة الظالمين وإضعافها، وإذكاء شعلة الثورة والرفض والامتناع عن الركون إلى الظلم والظالمين ، ثم التسبّب بمحق الدولة الأموية الظالمة وزوالها من الوجود. واتضح من ذلك أن هذه النهضة المباركة بكل ما جرى فيها من أحداث ومواقف قد عبّدت طريق الحرية في نفوس المستضعفين الأحرار، وحفزت نفوسهم ومنحتها القدرة الإيمانية لرفض الاستعباد والطغيان والتجاوز على حقوق البشر أينما كانوا وفي أي زمان وُجدوا، ثم إنها رسمت لهم منهاجاً بيِّناً وشرعةً جليّةً للوصول إلى غرضهم المنشود. فقد قدّم الإمام عليه السلام أنموذجاً حيّاً لطريق الحق والعدل، وبيّن لنا أن السائرين على هذا الطريق وإن أفنوا أجسادهم وما يملكون، فقد حققوا ما كانوا يأملون، وهم الروح التي تُبَثُّ في الأمة حين تستكين إلى الظلم وتخمل وتتغافل، وهم ـ بعدُ ـ ذخائر للأمم تتعلم من تضحياتهم وتقتدي بشهاداتهم وتتخذهم مناراً للحرية والسعادة الأبدية.

٥ـ كشفت نهضة الإمام الحسين عليه السلام عن المضامين الربانية للجهاد وحددت مواضعه، فالجهاد إنما يشرع لإعلاء كلمة الدين ورفع الظلم عن المستضعفين وإحقاق الحق ورد كيد الأعداء، فقد نهض الإمام الحسين عليه السلام وأنصاره ليدفع البلاء عن الإسلام وليقوم إعوجاجاً خطيراً فاسداً في جسدها وليبتر شهوات الظالمين ، وليديم نعمة الإسلام على أمّة جده المصطفى التي كاد المستكبرون أن يمحقوا بركاتها ويطفئوا أنوارها، فشاء الله أن يتخذ الإمام الحسين عليه السلام وأنصاره

قبس نور يستضيء بهديه المهتدون ويُفرَج به عن المؤمنين كربتهم ، وسفينة نجاة على اختلاف الليالي وتقادم الأزمان■

١) اللهوف في قتلى الطفوف/السيد ابن طاووس/ ص٤٨.

٢) تاريخ الطبري : ٥ / ٤٣٩ ، مقتل الحسين عليه السلام للخوارزمي: ١٦/٢.

من هو قتيل شاطئ الفرات في الكتاب المقدس ؟!.

كتبت ايزابيل بنيامين ماما آشوري من العراق:

من هو قتيل شاطئ الفرات؟ .. ضمن دراستي الكهنوتية للكتاب المقدس والتي استمرت سنوات وأنا أتفكر في نص غريب موجود في الكتاب المقدس لكوني عراقية ونهر الفرات يمر في البلد الذي أسكنه.

سألت عن هذا النص الكثير من قساوستنا وعلمائنا وأساتذتنا وراجعت التفاسير والمراجع الخاصة بتفسير الكتاب المقدس ولكن يبدو أن الجميع تواطأ على السكوت.

حتى ألتقيت بقداسة الأنبا المقدس البطريارك الماروني (صبيح بولس بيروتي)، وسألته عن النص الذي يذكر بأن هناك ذبيح على شاطئ الفرات، فمن يكون؟.

فنظر إليَّ مليًا ثم قال: (لولا أنك مسيحية وباحثة في علم اللاهوت وإن هذا ضمن دراساتك ما أجبتك على سؤالك ولكني سأجيب.

قال: أولا أن شاطئ النبوءة يمتد طولا على امتداد نهر الفرات من منابعة وحتى مصبه في البصرة. ولكنني استطعت أن احصر منطقة الحدث في صحراء تقع في العراق بالقرب من بابل.

ثانياً: بحثت أيضا عن تفسير هذه النبوءة فوجدت أنه من تاريخ نزول هذه النبوءة وحتى يومنا هذا لم تتحقق هذه النبوءة إلا مرة واحدة.

قلت له: وأين المكان ومن هو الذبيح؟ قال : إن النبوءة تتحدث عن شخص مقدس (ابن نبي) وهو سيّد عظيم مقدس اسمه «إله سين».

ولما سألت قداسة الأب بطرس دنخا كبير الأساقفة عن معنى كلمة «إله سين» قال: أن العرب كانوا في جنوب العراق يقلبون الهاء حاء . فتصبح (الحسين).

هذا هو المذبوح بشاطئ الفرات وهي نبوءة تتعلق بابن نبي مقدس جدا وهو سيكون سيّدا في السماء.

السلوك العدواني وتجلياته في حكم يزيد بن معاوية
رؤية نقدية في الملحمة الحسينية

م.م. حامد عادل عباس النصراوي
جامعة الكوفة – كلية التربية

العدوان في اللغة والإصطلاح

العدوان في اللغة

العدوان مشتق من الفعل عدا، قال ابن منظور: (عدا فلان عدْواً وعُدُوّاً وعدواناً اي ظلم ظلماً جاوز فيه القَدْر)، فالعدوان ليس ظلماً فقط، وانما هو تجاوز لحدود الظلم إلى الفتك والإضرار بالآخرين[١].

العدوان في الإصطلاح

لقد اختلف الباحثون والمفكرون في إعطاء مفهوم موحد للسلوك العدواني إلاّ أنهم قد اشتركوا في المضامين ذاتها، ولذا عُرّف (بأنه مصطلح يشير إلى جرعة واسعة من السلوكيات التي تهدف إلى إيذاء شخص آخر)[٢]، وعُرّف أيضاً (بأنه انحراف سلوكي معاد للمجتمع)[٣]، فيما يعتقد آخرون (بأنه سلوك علني تكون فيه نية إلحاق الضرر الجسدي على فرد آخر)[٤]، بالمقابل فسّرهُ فريق آخر (بأنه أي شكل من أشكال السلوك اللفظي أو الجسدي الذي يهدف إلى الإضرار بالأفراد أو الممتلكات أو الكائنات)[٥]، وفي ضوء ما سبق يتضّح بأن السلوك العدواني (هو مجموعة من السلوكيات المادية وغير المادية التي تهدف إلى الإضرار بمصالح الآخرين والتقليل من شأنهم بغية تحقيق مكاسب شخصية).

الرؤية التأريخية للسلوك العدواني

من يقرأ التأريخ بتمعن يجد أن السلوك العدواني ضاربٌ بجذوره في الماضي البعيد، لذا نحاول في هذه العجالة أن نستعرض بعض الشواهد التأريخية بإيجاز، إذ كانت بداية الخليقة منذُ أبينا أدم وأمّنا حواء عليهما السلام وولديهما هابيل وقابيل وفيها أن قابيل قتل أخاه نتيجة لتقبل الله سبحانه وتعالى قربان هابيل ولم يتقبله من الآخر كما في قوله تعالى: (**وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ**) (المائدة: ٢٧) إذ كان هذا يمثل البداية الأولى للسلوك العدواني لبني البشر، ومع مرور الأيام والسنين وصولاً لحادثة نبي الله يوسف عليه السلام وهو الولد المقّرب لأبيه النبي يعقوب عليه السلام وكان أخوة يوسف مستائين من هذا الأمر فقرروا الخلاص منه وقتله لكنهم تراجعوا ثم قرروا بعدها رميهُ في بئر عميقة حتى يلتقطه بعض السيارة، قال تعالى: (**قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَةِ الْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ**) (يوسف: ١٠)، وفي هذه الآية دلالات واضحة على نشوء السلوك المنحرف وما كان ذلك إلا بدافع الحسد، ثم توالت الأيام حتى عهد نبينا محمد صلى الله عليه وآله عندما بدأ بالدعوة للدين الإسلامي، نعته بعض العرب الذين يكيلون له العداوة والبغضاء بالعديد من الأوصاف من نحو (الساحر والمجنون) ونشروا الإشاعات والأكاذيب بقصد الإساءة والنيل من الرسالة المحمدية، ثم امتد ليشمل آثار هذا السلوك حياة الإمام علي بن أبي طالب والإمام الحسن عليهما السلام، ومن ثم وصل هذا السلوك إلى أوجّه في حكم يزيد بن معاوية (عليه لعائن الله) وما فعله في الإمام الحسين وأهل بيته وأصحابه عليهم السلام إبان فاجعة الطف الأليمة التي سالت فيها أزكى وأعظم الدماء لا لسبب سوى أنهّم رفضوا الضيم والذلة وهيهات منهم الذلة، إذ قُتلوا وذُبحّوا وشُردوا وسُلّبوا وسُبوا من أجل ديمومة وبقاء صوت الإسلام الحق

والحرية عالياً ومدوياً في سماء الأحرار، فقد روى الذهبي: عن الفرزدق قال: لما خرج الحسين عليه السلام لقيت عبد الله بن عمر، فقلت: إن هذا قد خرج فما ترى؟ قال: أرى أن تخرج معه فإنك إن أردت دنيا أصبتها وإن أردت آخرة أصبتها[٦]، فإن دل ذلك فيدل على صلاح مسيرة الإمام وسلميتها وعدم تلوثها بالشوائب العدوانية التي تلون العقلية الأموية متمثلة بجائرها يزيد بن معاوية، وهذا ما أكده الإمام الحسين عليه السلام في قوله لأخيه محمد بن الحنفية في وصية له: (إِنّي لَمْ أَخْرُجْ أشِراً، وَلا بَطِراً، وَلا مُفْسِداً، وَلا ظالِماً، وَإِنَّما خَرَجْتُ لِطَلَبِ الإِصْلاحِ في أُمَّةِ جَدّي صلى الله عليه وآله، أُرِيدُ أَنْ آمُرَ بِالْمَعْرُوفِ وَأَنْهى عَنِ الْمُنْكَرِ، وَأَسيرَ بِسيرَةِ جَدّي وَأَبي عَلِيِّ بْنِ أَبي طالِب عليه السلام، فَمَنْ قَبِلَني بِقَبُولِ الْحَقِّ فَاللّه أَوْلى بِالْحَقِّ، وَمَنْ رَدَّ عَلَيَّ هذا أَصْبِرُ حَتّى يَقْضِيَ اللّه بَيْني وَبَيْنَ الْقَوم بِالْحَقِّ، وَهُوَ خَيْرُ الْحاكِمينَ)[٧].

فكان الإصلاح شعار الإمام الحسين عليه السلام وديدنه الذي ورثه عن جده سيد البشر أجمعين فقد روى الطبري عن عقبة بن أبي العيزار فذكر خطبة الحسين الإمام عليه السلام فقال: (قال: أَيُّهَا النّاسُ ! إنَّ رَسُولَ اللّه صلى الله عليه وآله قالَ: من رأى سلطاناً جائراً مستحلاً لحرم الله، ناكثاً لعهد الله، مخالفاً لسنّة رسول الله، يعمل في عباد الله بالإثم والعدوان، فلم يغيّر عليه بفعل ولا قول، كان حقّاً على الله أن يدخله مدخله. ألا وَإنَّ هؤُلاء قَدْ لَزِمُوا طاعَةَ الشَّيْطانِ، وَتَرَكُوا طاعَةَ الرَّحْمنِ، وَأَظْهَرُوا الْفَسادَ، وَعَطَّلُوا الْحُدُودَ، وَاسْتَأْثَرُوا بِالْفَيءِ، وَأَحَلُّوا حَرامَ اللّه، وَحَرَّمُوا حَلالَهُ)[٨]، لذلك نستقرئ من نص خطبة الإمام عليه السلام أن يزيد بن معاوية كان سلطاناً جائراً مستحلاً لحرم الله يعمل في عباد الله بالإثم والعدوان، وهذا يؤشر بما لا يقبل الشك بأن يزيد كان عدواني السلوك الذي تمثل بشكلٍ واضح وجلي في سيرته.

مستويات السلوك العدواني

لقد تناول الباحثون والمفكرون ومن مختلف مشاربهم المعرفية السلوك العدواني في عدة مستويات تمثل تطوره أو مراحل نموه، وهذا ما سيتم تحليله في ضوء السلوكيات الأموية، لذا صُنف في عدة مستويات نوردها بما يأتي[٩]:

المستوى الأول: التعبيرات الإجرائية

تشمل في المقام الأول السلوك الرمزي واللفظي ويتضمن (الإيماءات اللفظية السلبية، وتعبيرات الوجه والاعتداء اللفظي) الذي يُعَد الأكثر شيوعاً، فبعد انتهاء معركة الطف تعرضت عيالات الحسين وأهل بيته عليهم السلام إلى السبي والسفر بهم إلى الكوفة ومن ثم إلى الشام، لذا كان السفر مرهقاً وشاقاً، حيث كان السير حثيثاً تنفيذاً لرغبة السلطة اليزيدية في الوصول بأسرع وقت إلى الشام، ومراكب السفر وهي الجمال لم تتوفر لها أدنى وسائل الراحة التي اعتادها المسافرون في ذلك الزمن، والمرافقون العسكريون لقافلة السبايا كانوا جفاة صلفين في تعاملهم مع النساء والأطفال كزجر بن قيس وشمر بن ذي الجوشن، حيث يقذفون السبايا بالشتم والسب ويضربونهم بالسياط لأدنى مناسبة[١٠].

وبعد وصول السبايا ودخولهم الشام وحضورهم في مجلس يزيد بإجراءات بالغة الصعوبة قُصد منها إيقاع أكبر قدر من الإذلال والهوان بنفوس السبايا، لكن وقبل إدخالهم على يزيد أوقفوهم فترة

على درج باب المسجد حيث مكان إيقاف سبي الكفار، وبعد ذلك دعا يزيد برأس الحسين عليه السلام ووضعه أمامه في طشت من ذهب ومع يزيد قضيب فهوى ينكت به في ثغره، ثم قال: إن هذا وإيانا كما قال الحصين بن الحمام المرى:

يفلقن هاماً من رجال أحبّة
الينا وهم كانوا أعق وأظلما[١١]

وتمادى يزيد في إظهار شماتته وفرحه وصرح بما في مكنون نفسه من أنه ينتقم من رسول الله صلى الله عليه وآله ومن أهل بيته حيث صار يتمثل بابيات شعر لعبد الله بن الزبعرى جاء فيها[١٢]:

ليت أشياخي ببدر شهدوا
جزع الخزرج من وقع الأسل
لأهلوا واستهلوا فرحـــاً
ثم قالـــوا يا يزيـــد لا تشـل
قد قتلنا القرم من ساداتهم
وعـدلناه ببـــــدر فاعتـدل
لعبت هـاشم بالمـلك فلا
خـبر جـــاء ولا وحي نـــزل
لست من خندف إن لم أنتقم
من بنـي أحمـد ما كـان فعل

من خلال ما تقدم يتضح أن يزيد بن معاوية مارس هذا المستوى من السلوك العدواني على أهل بيت الحسين عليه السلام من خلال السب والشتم والإذلال والتشفي والشماته منهم .

المستوى الثاني: العرقلة:

وتتضمن عدة أشكال هي:

١- الإجراءات التي تعيق قدرة الشخص على أداء مهام معينة.

٢- حجب أو استبعاد الموارد والسلوكيات البناءة.

٣- التخريب والسلوكيات المضادة للمواطنة.

٤- الفشل في التعاطي الإيجابي مع الآخرين.

ولتحليل هذا المستوى فقد كان لعامل الجوع والعطش دورٌ في إنهاك السيدة زينب وإرهاقها حيث كان الجنود يقترون على السبايا في الطعام والشراب، مما يدفع السيدة زينب للتنازل عن حصتها لسد جوع وعطش الأطفال، متحملة مضاضة الجوع والعطش، وهذا ينسجم بما لا يقبل الشك مع المستوى الثاني كونه يمثل عامل إعاقة وحجب لمستلزمات الحياة الضرورية ،وفي ذات السياق يصف الأستاذ عبد الباسط الفاخوري حالة قافلة السبايا إلى الشام بقوله: (ثم إن عبيد الله جهز الرأس الشريف وعلي بن الحسين ومن معه من حرمه بحالة تقشعر منها ومن ذكرها الأبدان، وترتعد منها مفاصل الإنسان بل فرائص الحيوان)[١٣].

كذلك عندما وصل السبايا إلى الشام، أتوا إليهم بحبل أوثقوهم به كتافاً وقد كانت بداية الحبل في عنق الإمام علي بن الحسين عليه السلام ونهايته في عنق السيدة زينب عليها السلام، كما تربق الأغنام، وساقوهم بإذلال، وكلما قصروا عن المشي ضربوهم بالسياط، والسبايا يكبرون ويهللون، حتى أوقفوهم بين يدي يزيد في مجلسه وهو متربع على سريره، فالتفت إليه الإمام علي بن الحسين عليه السلام قائلاً: (ما ظنك بجدنا رسول الله لو يرانا على مثل هذه الحالة)؟ ، فتأثر يزيد ولم يبق أحد في مجلسه إلا وبكى، وأمر يزيد بالحبال فقطعت[١٤].

المستوى الثالث: العدوان العلني

ويتضمن أعمال العنف الصريحة والعلنية مثل (الهجوم بالسلاح، الاعتداء الجسدي ضد الأشخاص والممتلكات

الشخصية، السرقة).

وفي هذا المستوى نوضح المستوى الثالث من السلوك العدواني عند يزيد بن معاوية الذي قاد جيشه من خلال جلاوزته إلى كربلاء، وصنع مجزرتها الرهيبة، فذبح آل محمد وأهل بيته ومن والاهم وأخذ بنات النبي سبايا، بعد أن مَثّل بضحاياه شرَّ تمثيل، (وروى أنه وجد في قميصه ـ قميص الإمام الحسين عليه السلام ـ مائة وبضع عشرة ما بين رمية وطعنة سهم وضربة.

وقال الصادق عليه السلام وجد في الحسين عليه السلام ثلاث وثلاثون طعنة وأربع وثلاثون ضربة وأخذ سراويله بحر بن كعب التيمي (لع) فروى أنه صار زمنا مقعدا من رجليه وأخذ عمامته أخنس بن مرثد بن علقمة الحضرمي وقيل جابر بن يزيد الأودي (لع) فاعتم بها فصار معتوها وأخذ نعليه الأسود بن خالد (لع) وأخذ خاتمة بجدل بن سليم الكلبي وقطع إصبعه عليه السلام مع الخاتم وهذا أخذه المختار فقطع يديه ورجليه وتركه يتشحط في دمه حتى هلك)[١٥].

وتجدر الاشارة إلى أن يزيد (ولي الحكم ثلاث سنوات، ففي السنة الأولى من حكمه قتل أولاد النبي وأحفاده وبني عمومته ومن والاهم بمذبحة كربلاء، وفي السنة الثانية، استباح المدينة، وفض جيشه ألف عذراء وقتل عشرة آلاف مسلم بيوم واحد وهو (يوم الحرّة)، وختم أعناق الصحابة وأخذ البيعة على أنهم خول وعبيد (لأمير المؤمنين) يتصرف بهم تصرف السيد بعبيده، أما في السنة الثالثة فقد هدم الكعبة وأحرقها. وهذه أمور قد أجمعت الأمة على صحة وقوعها وتوثيقها!!!)[١٦].

وعلى ضوء ما ورد في أعلاه يتبين لنا أن هذه المستويات توضح درجات أو مستويات قوة السلوك العدواني، ففي بادئ الأمر يأخذ العدوان طابعاً رمزياً كالإيماءات والشتم والسباب والإذلال، ثم يتطور حتى يأخذ أسلوب العرقلة ووضع العقبات كوضع القيود والأغلال والتجويع وحرمانهم الماء، وأخيراً ينحو باتجاه الأسلوب العلني والصريح كاستخدام السلاح أو الاعتداء الجسدي والمادي، إذ لم يكتف أعوان يزيد بهذا الحد بل تجاوزوا كل الأعراف والقيم فعمدوا إلى التمثيل بالجثث الطاهرة ووضع الرؤوس على الرماح والسير بها من بلد إلى بلد، لذالك يتضح أنّ يزيد بن معاوية قد تجاوز كل حدود العدوانية وتعدّاها ووصل إلى أعلى قمة في الجرائم وانعدام الإنسانية وموت الضمير بحق الحسين وأهل بيته وأصحابه الميامين عليهم السلام وهذا ما تجلّى بالأدلة والشواهد.

فسياسات يزيد المنحرفة، ومواقفه الفاسدة، لم تنطلق من فراغ، وإنما هي امتداد واستمرار لسلوكيات أسلافه المشركين والمنافقين، لذلك تذكره السيدة زينب بجدته (هند) أم معاوية وزوج أبي سفيان، التي قادت حملة التأليب والتحريض على قتال رسول الله صلى الله عليه وآله والمسلمين، وأغرت (وحشي) بقتل الحمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه عم رسول الله صلى الله عليه وآله، ثم مثّلت بجسمه وانتزعت كبده وحاولت مضغها بأسنانها، إظهاراً لحقدها البشع، وبغضها المتوحش لرسول الله صلى الله عليه وآله وذويه، ويزيد في اعتداءاته الأليمة على أهل البيت عليهم السلام لم يأت بشيء غريب، وإنما هو شر خلف لشر سلف، تقول زينب عليها السلام: (أمن العدل يا ابن الطلقاء تخديرك

حرائرك وإمائك وسوقك بنات رسول لله ﷺ سبايا قد هتكت ستورهن وأبديت وجوههن تحدوا بهن الأعداء من بلد إلى بلد ويستشرفهن أهل المناهل والمناقل ويتصفح وجوههن القريب والبعيد والدني والشريف ليس معهن من رجالهن ولى ولا من حماتهن حمى وكيف يرتجى مراقبة من لفظ فوه أكباد الأزكياء ونبت لحمه من دماء الشهداء وكيف يستبطأ في بغضاء أهل البيت من نظر إلينا بالشنف والشنان والإحن والأضغان .... وتهتف بأشياخك، وزعمت إنك تناديهم فلتردن وشيكا موردهم ولتودن إنك شللت وبكمت ولم تكن قلت ما قلت وفعلت ما فعلت)[١٧] ■

١) لسان العرب/ابن منظور.

٢) Bettencourt، B. Ann.، Talley ،A (٢٠٠٦) .Benjamin ،A. J.، & Valentine ،J Personality and Aggressive Behavior . Under Provoking and Neutral. .Psychological Bulletin journal . Vol ١٣٢، No. ٥، P.٧٥٢.

٣) Hershcovis ،M. S.، Turner ،N. (٢٠٠٧) . Arnold ، Kara . A. & et al Predicting Workplace Aggression: A Meta-Analysis . Journal of Applied .Psychology . Vol ٩٢، No. ١ ، P. ٢٢٨.

٤) Nelson ،Randy. J.، * & Trainor ،Brian (٢٠٠٧)..C Neural mechanisms of aggression . Nature Publishing Group . .VOL ٨ . P. ٥٣٥.

٥) Krahé، B. (٢٠٠١) .The social psychology of aggression. USA: Psychology Press .Ltd. P ١١.

٦) سير أعلام النبلاء/ الذهبي/ مج٣، ص ٢٩٣.

٧) بحار الأنوار/المجلسي/ج٤٤ص٣٢٩.

٨) تاريخ الأمم والملوك/ الطبري/ج ٤ ، ص ٣٠٤ .

٩) Neuman، J. H.، & Baron، R. A (١٩٩٨). Workplace violence and workplace. aggression: Evidence concerning specific forms، potential causes، and preferred targets. Journal of Management، ٢٤: ٣٩١-٤١٩.

١٠) حياة الإمام الحسين/ باقر شريف القرشي/ ج٣، ص٣٦٧.

١١) مقتل الحسين/ المقرم/ ص ٣٥٤ .

١٢) تاريخ الأمم والملوك/الطبري/ ج٦، ص ٢٦٧.

١٣) المرأة العظيمة/ حسن الصفار/ ص٢٣٢.

١٤) مقتل الحسين/ المقرم/ ص٣٥٤ .

١٥)اللهوف في قتلى الطفوف/ ابن طاووس/ ص٧٦.

١٦) كربلاء الثورة والمأساة/ احمد حسين يعقوب / ص٢١.

١٧) اللهوف في قتلى الطفوف / ابن طاووس/ ص١٠٦.

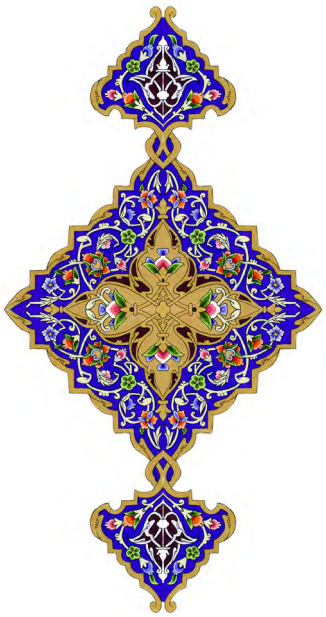

الشهادة

أ.د.م زهير غازي زاهد
الجامعة الإسلامية

ينابيع

يا غريب الطفوف يومك صوت
يملأ الخافقين منه النداء
فدماء الشهيد تنطفئ الدنيا
ولا تنطفي لها أصداء
يا غريبًا صان الخلود شهيدًا
فتعزّى بحبه الغرباء
وطوى صفحة الحياة أبيًا
عزمه فاقتدى به الشهداء

الشهادة رمز علوي يكتب للشهداء في الحياة وهي عالم من النور يحيطهم بعد حياتهم، وليست كل تضحية شهادة، إنما الشهادة تضحية بالنفس للحق دفاعًا عن الوطن أو العقيدة أو المجتمع في وجه ظالم، وشهادة الإمام الحسين عليه السلام قدوة يقتدي بها الشهداء . تقف أحيانًا لحظةٌ من التاريخ في مفترق طرق، فإما النور أو الظلام، فمن اختار النور كان في مواجهة الظلام وهذه المواجهة ليست فردية إنما هي مواجهة معسكر يطلب الحق تجاه معسكر يصر على الباطل. وكانت قبل هذه المواجهة مواجهة الرسول صلى الله عليه وآله ودعوته الإسلامية تجاه معسكر ظلام الجاهلية ورموزه ثم تلاها مواجهة الإمام علي وقيادته تجاه رموز الفتنة والاستحواذ على الحقوق وإبعاد أهلها ثم استمرت هذه المواجهة للإمام الحسن عليه السلام واستعرت نارها بمعسكر الحسين عليه السلام تجاه معسكر يزيد بن معاوية. فإما قبول بالانحراف وما يقع فيه التاريخ والمجتمع والقيم الإنسانية، وإما التضحية لتقويم الانحراف لتتسلم الأجيال مسارها التاريخي، مسار الشهادة دفاعًا عن قيم الحياة الإنسانية والنظام الاجتماعي النبوي أو الرضوخ وقبول العودة إلى نظام التقاليد الجاهلية بعصبيتها القبلية وقيمها البالية التي جددها الإسلام بقيم إنسانية ونظام اجتماعي في العقيدة السمحاء ومفاهيم كتابه العزيز وأبعاد الفكر النبوي بعد غياب الرسول صلى الله عليه وآله. هذا ما ينبغي أن نفهمه من هذه الذكرى لواقعة كربلاء. فالحسين عليه السلام ذلك الاسم العظيم والفكر العظيم، فالحسين تصغير (حسن) للتعظيم كما هو للتحبيب في تسمية الرسول الكريم صلى الله عليه وآله، فهو للتحبيب كصيغة في صرف العربية وللتعظيم كمفهوم جاء من مسميه، فتصغير التعظيم ينبغي أن نُفهِم الأجيال بذكر اسم الحسين عليه السلام وأن لا يقتصر الصرف على ذكر كلمة (دويهية) غير المفهوم معناها فقط .

هذه العظمة تتصل بسيرته وقيادته للحظة التي وقف التاريخ فيها على مفترق طرق، كما ذكرت لقد ظل صوته مدويًا في التاريخ يعلن عن هدفه الذي ثار من أجله (....وإني لم أخرج أشرًا ولا بطرًا ولا مفسدًا ولا ظالمًا وإنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي)[1] هذا الصوت وهذا الهدف تجاه المدعين وهم (الدين لعق على ألسنتهم يحوطونه ما درت معايشهم، فإذا محصوا بالبلاء قل الديانون)[2] إذن لدينا معسكران أحدهما الدفاع عن مسار الإسلام من التشويه والتحريف، والآخر اتخاذ الدين غطاء لتحقيق المصالح والمآرب، فإذا جَدّ الجدّ كشف الغطاء لتبين حقيقة الادعاء.

هذا الصراع بين الحقيقة وادعائها أزلي يتخذ الوجوه والمسميات في العصور المختلفة وفي كل زمن يتجدد بشهداء يبعثون به روح الثورة، فالصراع بين الإسلام والشرك تجدد في حرب الجمل وصفين ثم توهج يوم الطف في ثورة أبي الشهداء عليه السلام ويظل العنوان واحدًا والأسماء تتغير، وقد رأيناه في العصر الحديث واضحًا، وما زلنا نعيشه مع التيار التكفيري كل ذلك يمكن أن نجعل ثورة الطف بصوت الحسين عليه السلام عنوانه الأصل وهذه أصداؤه.

كان الحسين عليه السلام قائد جبهة الحق قد استخدم كل وسيلة للاحتجاج والنقد للسياسة المنحرفة في زج يزيد لعالم غير عالمه، إذ هو

لا يصلح للقيادة، فعدم توافر شروط القيادة الحق واضحة في حياته وسلوكه، لكن إصرار قوى التسلط على زجه من دون روية ولا فكر أضاعت الحقيقة وعكّرت الجو بحيث أرادت حجب خطوط النور بظلام دعاتها وإعلامها متوهمة أنها خبطة وينتهي كل شيء، وصاح داعي الحق قاصدًا الكوفة من مكة سرى قبل الغدر الذي أصاب سفيره في الكوفة، أسرع وهو يشعر بأن انطباق الظلام على الأرض لا ينجلي إلا بدمه الشريف، فلم يؤخره قول الناصح بأنه ذاهب إلى المدينة التي لقي أبوه وأخوه ما لقياه فيها، فالحق أمامه أبلج ناصع يدعوه لنصرته، ولقي الفرزدق[٣] عند خروجه إلى العراق . قال أبو مخنف عن أبي خباب.. عن عبد الله بن سليم والمذري قالا: أقبلنا حتى انتهينا إلى الصفاح[٤] فلقينا الفرزدق، فواقف حسيناعليه السلام فقال له: أعطاك الله سؤلك وأمّلك فيما تحب، فقال الحسينعليه السلام: بيّن لنا نبأ الناس خلفك: فقال الفرزدق: من الخبير سألت، قلوب الناس معك، وسيوفهم مع بني أمية، والقضاء ينزل من السماء، والله يفعل ما يشاء، فقال الحسينعليه السلام: صدقت، لله الأمر، والله يفعل ما يشاء، وكل يوم ربنا في شأن، إن نزل القضاء بما نحب فنحمد الله على نعمائه، وهو المستعان على أداء الشكر، وإن حال القضاء دون الرجاء فلم يعتدّ من كان الحق نيته والتقوى سريرته، ثم حرك الحسين عليه السلام راحلته فقال: (السلام عليك، ثم افترقا)[٥]، ورواية الأغاني أن لقاء الفرزدق الحسينعليه السلام متوجهًا إلى الكوفة خارجًا من مكة في اليوم السادس من ذي الحجة[٦] هذا أول فأل يسمعه الحسينعليه السلام عند توجهه إلى الكوفة. كل ذلك لم يثبط من عزيمته وتوجهه إلى غايته، وقد قال للفرزدق في رواية الأغاني: (ويحك معي وفر بعير من كتبهم يدعونني ويناشدونني الله).

فالحسينعليه السلام كان واعيًا كل الوعي غايته التي قصد، لأنه كان يرى أنّه لصد تيار الانحراف وتشويه الحقيقة لابد من تضحية، هذه التضحية كانت نجماً لا يخبو في وسط ظلام كاد يطمس الحقيقة، وهذا ما عبر عنه أبو العلاء المعري بقوله:

وعلى الأفق من دماء الشهيدين
عـلـي ونجلـه شاهـدان

شاهدان لتاريخ الإنسانية، يخبر كيف أن الأجيال تحفظ الحقيقة وكيف يكون طريق الشهادة لحفظها

فدماءالشهيدتنطفئالـدنـ
ـيا ولا تنطفي لهـا أصـداء

قد يرد هذا السؤال في أذهان كثير من الناس ليزدادوا معرفة بنهضة الحسين عليه السلام، نهضة على الرغم من مرور ما يقارب أربعة عشر قرنًا. كيف نقرأ نهضة الحسينعليه السلام؟ أو كيف ينبغي للمفكرين أن يقرؤوها؟ وهل ظلت جوانب فيها لم تصل إليها كتاباتهم وأقلامهم؟ خصوصًا وهم يجدون أئمة أهل البيتعليهم السلام كأنهم وقفوا عند أمر الأمة بإقامة العزاء وإثارة الأتباع لتحريك العواطف مع حركة الطف بمقولة: (رحم الله من أحيا أمرنا)، فهل إحياء الأمر فيه اكتفاء لمعرفة الحركات الإصلاحية في التاريخ وفيها قيام الرسل والأنبياء؟ فكيف نستطيع أن نفهم سنن التاريخ؟

نريد أن نعرف ما بين أحداث كانت لا تخلو من أسرار إلهية منها خروج إبراهيم الخليل من بابل ونزوله بـ (بانقيا) (النجف)[٧] ثم قصد الحجاز، فيبني الكعبة، وفي الكعبة كان مبعث الرسولصلى الله عليه وآله ودعوته الإسلامية، ومن مكة كان خروج الحسينعليه السلام إلى العراق ـ الكوفة ليقيم دين جده الذي هدّده الانحراف، والكوفة هي التي اتخذها والده أمير المؤمنينعليه السلام عاصمة الإسلام، وفيها استشهد وفي الكوفة

ظهر الداعي للأخذ بثارات الحسين عليه السلام. هذه أحداث لا تخلو من أسرار تربط بينها، فقراءتها قراءة تأمل وفكر تكشف معاني ذات صلة بفلسفة التاريخ وحركته ومنها ما كان في واقعة الطف.

نعم نحن ينبغي لنا أن نواصل تحليل الأسباب، للوصول إلى قريب من الأسرار التي دفعت هذه الحركة التي كانت والتاريخ على مفترق طرق بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وآله، والصراعات التي ذكرتها منذ بداية الدعوة الإسلامية وموقف المشركين من الرسول صلى الله عليه وآله ثم الصراع وموقف أبنائهم وإخوانهم من الإمام علي عليه السلام والآن موقفهم من الحسين عليه السلام، فالحركات متتالية متقاربة وذات هدف واحد من المعسكرين، فإحياء الأمر فيه إدامة الذكر وصورة المصاب، وبقراءة الثورة قراءة متعددة بتعدد الأجيال والعصور، فكما أن القرآن الكريم نص خالد تتعدد قراءته بتوالي الأجيال والعصور، وكل قراءة تتولد فيها معانٍ وصور كذلك الحدث الخالد كحدث الطفّ تتعدد قراءته وكل قراءة تتولد منها معانٍ وصور، فالتعرف على حركة الإمام عليه السلام وعلى أسبابها ودوافعها ثم غايتها بالرغم من فواجعها ووحشية معسكر الشر منها تلقي الأضواء على حركة التاريخ والمجتمع البشري عامة والمجتمع العربي خاصة، ويستخلص المفكر منها العبر والتجارب لتوضع في مناهج المجتمع، كما فهم ذلك بعض المصلحين من فلاسفة البشر مثل المهاتما غاندي الذي حرر قارة الهند من وحشية المستعمر البريطاني، كيف تعلم من مظلومية الحسين شجاعته الروحية .

فمظلومية الحسين عليه السلام ليست مظلومية الخنوع، وإنما هي مظلومية الأنبياء والرسل في أداء رسالتهم ■

---

١) بحار الأنوار ج٤٤ ص٣٢٩

٢) ن. م.ص٣٨٣

٣) الفرزدق: أبو فراس بن غالب بن صعصعة، وفد أبوه إلى الإمام علي عليه السلام عام الجمل فقال إن ابني هذا من شعراء مضر وكان صبيًا، فقال له ناصحًا (علّمه القرآن) فيقول الفرزدق: بقيت كلمات الإمام في قلبي، وأصر في عودته إلى البيت ليحفظ القرآن الكريم استجابة لنصيحة الإمام، وكان جده صعصعة يفدي الموؤودات قبل الإسلام، والآن هو يلتقي بنجله الحسين عليه السلام، وهو خارج إلى حرب أجيال الجمل وصفين.

٤) الصفاح: موضع بين حنين وأنصار الحرم على مسيرة الداخل إلى مكة وهناك لقي الفرزدق الحسين بن علي عليه السلام لما عزم قصد العراق [معجم البلدان ياقوت ٤١٢/٣].

٥) تاريخ الطبري ٣٨٦/٥ ط دار المعارف بمصر، وانظر الأغاني ٤٧/١٩.

٦) الأغاني ٣٤/١٩.

٧) معج

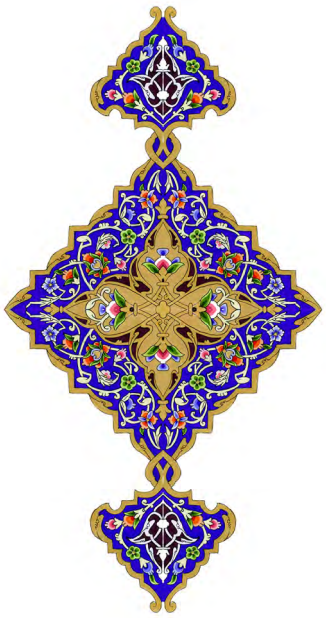

في الذاكرة

شهر محرم الحرام

يعتبر شهر المحرَّم الحرام، بداية السنة الهجرية.

١ رأس السنة الهجرية.

٢ وصول رَكبُ الإمام الحسين بن علي عليه السلام إلى أرض كربلاء سنة ٦١هـ.

٣ وصول عمر بن سعد بن أبي وقاص على رأس جيش الكوفة إلى أرض كربلاء لقتال الإمام الحسين عليه السلام وأصحابه.

٣ وفاة السيد محمد بن الحسين (الشريف الرضي) جامع خُطب وكلمات الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام في كتابه المعروف المُسمّى بـ(نهج البلاغة) عام ٤٠٦هـ.

٩ محاصرة الإمام الحسين مع أهل بيته عليهم السلام وأصحابه في أرض كربلاء عام ٦١هـ.

١٠ استشهاد الإمام الحسين عليه السلام سبط النبي المصطفى صلى الله عليه وآله وريحانته وسيد شباب أهل الجنّة في معركة الطف المروّعة غير المتكافئة، التي آلت إلى استشهاده وأهل بيته وأصحابه عليهم السلام، على يد المجرمين العتاة من بني أمية (عليهم لعائن الله)، وذلك في عام ٦١هـ.

١١ مسير جيش عمر بن سعد بن أبي وقاص بسبايا أهل بيت النبوة عليهم السلام وهم أسارى مُرَبَّطين بالحبال من كربلاء إلى الكوفة.

١٥ فتح قلعة خيبر اليهودية على يد الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام سنة ٤هـ.

١٥ ولادة السيد رضي الدين علي بن موسى بن جعفر قدس سره (ابن طاووس) عام ٥٨٩هـ.

١٧ ولادة الشيخ البهائي بهاء الدين محمد بن الحسين العاملي في مدينة بعلبك (لبنان) عام ٩٥٣ هـ.

١٧ نزول العذاب على جيش أبرهة (أصحاب الفيل) حينما أرادوا هدم الكعبة المشرفة فجعلهم الله (كعصف مأكول)، وذلك في العام الذي ولد فيه النبي الأكرم صلى الله عليه وآله عام ٥٣ قبل الهجرة.

١٨ تحوّل قبلة المسلمين من بيت المقدس إلى الكعبة المكرمة سنة ٢هـ.

٣٢ وفاة الشيخ أبو جعفر محمد بن الحسن بن علي الطوسي المعروف بشيخ الطائفة والشهير بالشيخ الطوسي عام ٤٦٠هـ.

٣٥ استشهاد الإمام زين العابدين علي بن الحسين عليهما السلام ودفن في البقيع بالمدينة المنورة عام ٩٥هـ.

٣٥ مقتل الخليفة العباسي الأمين في بغداد على يد أخيه المأمون عام ١٩٨هـ.

٣٦ وفاة علي بن الحسن المثلّث بن الحسن المثنّى بن الإمام الحسن المجتبى عليهم السلام في سجن المنصور العباسي عام ١٤٦هـ.

٣٨ سقوط الدولة العباسية على يد الجيش المغولي بقيادة هولاكو الذي دخل بغداد بعد محاصرتها فترة قصيرة، فأسر آخر خلفاء الدولة العباسية، (المستعصم بالله) ثم قتله مع أولاده، وبذلك انتهى الحكم العباسي عام ٦٥٦هـ.

في الذاكرة

شهر صفر الخير

١ بداية حرب صفين عام ٣٦ هـ.
١ دخول قافلة عيال الحسين عليه السلام سبايا إلى الشام عام ٦١هـ.
٢ شهادة زيد بن علي عليه السلام في الكوفة عام ١٢١هـ.
٣ ولادة الإمام الباقر عليه السلام عام ٥٧هـ (على رواية).
٤ صلب زيد بن علي عليهما السلام في الكوفة عام ١٢١هـ.
٧ استشهاد الإمام أبي محمد الحسن المجتبى عليه السلام سنة ٥٠هـ.
٧ ولادة الإمام موسى بن جعفر عليهما السلام في الأبواء عام ١٢٨هـ.
٨ وفاة الصحابي الجليل سلمان الفارسي رضي الله عنه في المدائن عام ٣٥هـ.
٨ وفاة المرجع الأعلى السيد أبو القاسم الخوئي قدس سره عام ١٤١٣هـ.
٩ استشهاد الصحابي عمار بن ياسر رضي الله عنه في معركة صفين عام ٣٧هـ.
٩ حرب النهروان بين أمير المؤمنين عليه السلام والخوارج عام ٣٨هـ.
١٣ اختيار التحكيم في صفين عام ٣٧هـ.

١٤ استشهاد محمد بن أبي بكر رضي الله عنه وحرق جثمانه بأمر عمرو بن العاص عام ٣٨هـ.

١٦ سقي السم للإمام الرضا عليه السلام على يد المأمون العباسي عام ٢٠٣هـ.

١٧ استشهاد الإمام الرضا عليه السلام عام ٢٠٣ هـ.

١٩ وصول الصحابي الجليل جابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنه وأصحابه إلى كربلاء عام ٦١هـ.

٢٠ أربعين الإمام الحسين عليه السلام وإرجاع الرأس الشريف إلى الجسد الطاهر عام ٦١هـ.

٢٤ اشتداد مرض النبي صلى الله عليه وآله عام ١١هـ.

٢٥ طلب النبي صلى الله عليه وآله دواة وكتفًا ليكتب لهم كتابًا لن يظلوا بعده أبدًا وامتناع القوم من ذلك عام ١١هـ.

٢٦ أمر النبي صلى الله عليه وآله لأبي بكر وعمر وعثمان وأكثر الصحابة بالالتحاق بجيش أسامة بن زيد عام ١١هـ.

٢٦ طلب النبي صلى الله عليه وآله من أمير المؤمنين عليه السلام إحضار دواة وكتف لكتابة أسماء الأوصياء من بعده أولهم الإمام علي عليه السلام وآخرهم بقية الله الأعظم عليه السلام عام ١١هـ.

٢٦ وفاة المرجع الكبير السيد عبد الأعلى السبزواري قدس سره في ظروف غامضة عام ١٤١٤هـ.

٢٨ عروج روح النبي صلى الله عليه وآله إلى الرفيق الأعلى عام ١١هـ.

٢٨ دفن النبي صلى الله عليه وآله في منتصف الليل عام ١١هـ.

عاشوراء الفاجعة والنهضة

محمد علي جعفر /باحث إسلامي وكاتب

ينابيع إن نهضة الإمام الحسين عليه السلام التغييرية لا ترقى في القياسات المادية إلى مصاف الحركات المعروفة في التاريخ من حيث العدة والعدد حسب ما هو متعارف عليه في القياسات العسكرية للحركات والثورات على مر العصور، وبالتالي فهي لا تستطيع أن تحقق أهدافًا مادية مرئية.

أما في الواقع الذي حدث وبالنتائج المستحصلة من هذه النهضة من استرجاع لكرامة الأمة وكشف الزيف والخداع عن طريق العطاء البالغ والسخاء أللامحدود الذي بذله الإمام الحسين عليه السلام إذ وجد في دمه ودماء أهل بيته وأصحابه المحفز الوحيد في خلق هزة الضمير وصحوته من الحالات التخديرية التي مورست من قبل السلطة الأموية لإماتة القيم وروح التطلع وانسلاخ الضمائر.

إن أساس الصراع بين الإمام الحسين عليه السلام ويزيد بن معاوية هو صراع بين منهجين متباينين بين الحق والباطل، بين طاغية فاسد فاسق قد أرهب وأفسد الأمة وبين سبط النبي صلى الله عليه وآله الذي يطمح لاسترجاع قيم الأمة وحقوقها وفق ما تعارفت عليه مبادئ الإسلام التي غيبها الفساد في الحكم عبر سلبه من صاحبه الشرعي والاستئثار به من أناس عادوا بالدين ونهجه إلى عصور الظلام والجاهلية.

والحسين عليه السلام في نهضته لم يطلب سلطاناً ولا مالاً ولا جاهاً فهو أبعد ما يكون عن طلب هذه الأمور السطحية التي يطلبها من الخارج وهو الذي يحتويها أصلاً فهو حفيد رسول الله صلى الله عليه وآله وابن علي وفاطمة عليهما السلام فأي مجد أعلى من هذا المجد وأي شرف أرفع منه يبتغيه من عتل زنيم إلا أنه قد وجد (إِنَّ الدُّنْيا قَدْ تَغَيَّرَتْ وَتَنَكَّرَتْ وَأَدْبَرَ مَعْرُوفُهَا، وَلَمْ يَبْقَ مِنْها إلاّ صُبابَةٌ كَصُبابَةِ الإِناءِ، وَخَسيسِ عَيْشٍ كَالْمَرْعَى الْوَبيلِ)[1]، هكذا يرى الإمام الحسين عليه السلام ما آلت إليه الدنيا في عصر الظالم وابن الظالم وهو يعاتب الذين طلبوا منه التريث في الخروج أو عدم الخروج لوجود (مخاطر) عليه، وخوف من غضب يزيد إن خرج عليه فيقول عليه السلام: (أَلا تَرَوْنَ أَنَّ الْحَقَّ لا يُعْمَلُ به، وَأَنَّ الْباطِلَ لا يُتَناهى عَنْهُ، لِيَرْغَبَ الْمُؤْمِنُ في لِقاءِ اللّه مُحِقّاً، فَإِنّي لا أَرَى الْمَوْتَ إلاّ سعادَةً، وَلاَ الْحَياةَ مَعَ الظّالِمينَ إلاّ بَرَماً)[2]. فأي فرق شاسع بين ما يرونه وبين ما يراه... هم ينظرون إلى سلامته وأمنه وأمانه من الطاغية وهو عليه السلام يرى أن الأجدر النظر إلى سلامة الدين وأمانه من أيدي المنحرفين المحرفين للقيم الإسلامية التي جاء بها

قال أبو عبد الله
الحسين عليه السلام

إِنّـي لا أَرى الْمَـوْتَ إِلّا سَـعادَة ،
وَالْحَياةَ مَعَ الظّالِمينَ إِلّا بَرَماً

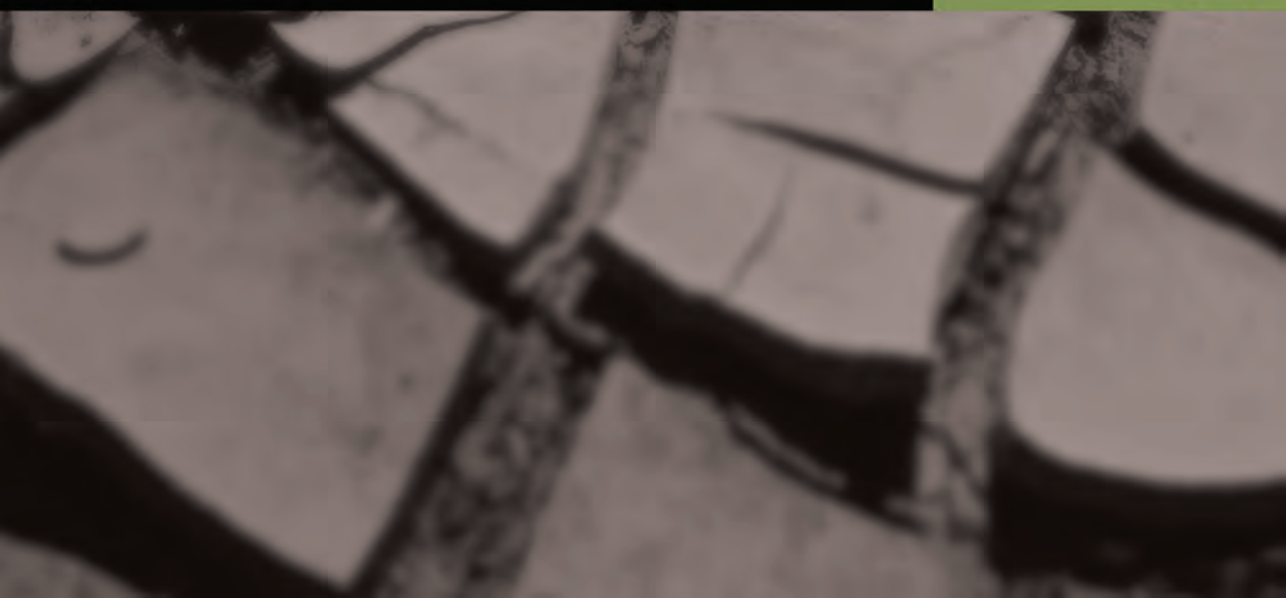

جده الرسول الأعظم محمدﷺ.

مملكة الخوف:

هكذا يريدها كل حاكم ظالم يطيح بالرؤوس كي تبقى التيجان مملكة للمُلك العقيم، وهكذا أسس لها معاوية وخلفها لابنه يزيد، نهج أخذوه ممن سبقهم، ووهبوه وتركوه لمن خلفهم، نهج تكمم فيه الأفواه، تكبل فيه الأيادي، يذبح فيه كل ذي صوت حر يرفض الجور والعبودية والخنوع. مملكة للسيوف فقط أن تتحدث وللهامات فقط أن تطأطئ وللفسقة الفسدة فقط أن تحكم وتتحكم في مصائر البلاد والعباد.

يقول أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام: واللّه إنَّ امْرَأً يُمَكِّنُ عَدُوَّه مِنْ نَفْسه يَعْرُقُ لَحْمَه، ويَهْشِمُ عَظْمَه، ويَفْرِي جِلْدَه لَعَظِيمٌ عَجْزُه ضَعِيفٌ مَا ضُمَّتْ عَلَيْه جَوَانِحُ صَدْره، أَنْتَ فَكُنْ ذَاكَ إنْ شِئْتَ، فَأَمَّا أَنَا فَوَاللّه دُونَ أَنْ أُعْطَيَ ذَلِكَ ضَرْبٌ بِالْمَشْرَفِيَّة تَطِيرُ مِنْه فَرَاشُ الْهَام وتَطِيحُ السَّوَاعِدُ والأَقْدَامُ . ويَفْعَلُ اللّه بَعْدَ ذَلِكَ ما يَشاءُ)[٣].

انظر إلى مدرسة الإمام عليعليه السلام كيف تجلت في فكر وسيرة سيد الشهداء أبي عبد الله الحسينعليه السلام كتجلي الشمس في رابعة النهار، قالها ثم ثبت عليها (هيهات... ثم هيهات). لقد رفض الإمام الحسينعليه السلام الاعتراف بهذه المملكة القائمة على الظلم واستلاب الحقوق والحريات والتحكم برقاب الأمة دون مراعاة لقدسية صاحب الرسالة محمدﷺ أو مداراة لمن حمل هموم الأمة منذ البدء ونهض بأعبائها الثقيلة وأرسى دعائمها الثابتة وأعلى أركانها السامقة، ذاك هو الإمام عليعليه السلام الذي كان لابن عمه حامياً وحارساً وهو صغير ومدافعاً ومجاهداً عن الدين وهو كبير. لم يترك سيفاً في غمد ولم يغمض جفناً على عين، حتى تحقق للأمة نصرها الكبير وخيرها الوفير مسنوداً بأخيه الرسولﷺ ومؤيداً بالعلي القدير. حتى كمل الدين بولايته ورضي الله للناس بدينه بعد إمارته (**الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِيناً**) (المائدة : ٣).

ويقف مرة أخرى الإيمان والحق كله بوجه الكفر والشرك كله. ويخرج من رحم الأمة المتهالكة الخاملة وليداً شديداً. ليس موجوداً في قاموسه المعنى الموجود للموت كما هو مدون في جميع قواميس الدنيا بل هناك كلمة أخرى حلت محلها تلك هي (السعادة) وذلك بإدراك الشهادة. فانبرى لها سيد الشهداءعليه السلام بقامة لا تعلو عليها كل القامات وإن اجتمعت وبعزم وبأس راسخ وصبر لا مثيل له منذ بدء الدنيا حتى آخر يوم فيها. قامة تعلو بالصوت المرعب المدوي لكل الظلمة: جئناك كربلاء... هيهات منا الذلة، أو السلة ولا الذلة.

وكان القرار السديد، الثابت على يقين شديد ونهج أكيد، إن المسير واجب بالأهل والأحباب والصحابة النجباء لمقارعة ومنازلة الفاسق والفاجر والفاسد يزيد. ومرة أخرى يدور الزمن دورته وتكاد الأدوار تتشابه والصور تتطابق.

انطلق أبو الشهداءعليه السلام بعد التوكل على الله نحو العزة والفخار من أجل تصحيح المسار المنحرف بعد أن وصل الانحراف أن يجعل يزيد (أميراً للمؤمنين) له بركة من خمر، وأن تلعب القيان والراقصات بين يديه، حال أصبح السكوت عليه هو الخزي

والعار بعينه.

وما أكثر الساكتين الخانعين الخاضعين الخائفين على لذائذ دنياهم بعد أن مشوا في ركب المصالح الدنيوية أو ربما الخوف من غضبة الحاكم. لذلك فضلوا اللوذ بالجبل، وياله من جبل للعار والشنار دفعوا من أجله الكثير من كرامتهم ورجولتهم من أجل أن يملؤوا بطونهم وجيوبهم بالسحت الحرام وأن يدعوا الخلق للخالق باستكانة وذل وأن ينتظروا لعل الله ينزل على عدوهم صاعقة من السماء!! وهيهات ذلك، فالحق المسلوب لابد أن يسترجع بالسيف من ظالم فاسد مثل يزيد.

وحتى حينما يعجز السيف لحسابات عسكرية عددية وتعبوية كما في نهضة الإمام الحسين عليه السلام في موارد وأسباب يعجز المقال في ضيق ذكره: فإن مثل هذا الظرف قد حول الإمام الحسين عليه السلام مساره إلى نصر عبر إدخال معادلة الدم بدل السيف وهو البديل الذي أدى فيما بعد إلى استرجاع الحقوق والإطاحة بالظلمة.

المعادلة الصعبة:

لم يكن ـ حتى قيام الإمام الحسين عليه السلام بنهضته المباركة ـ معروفاً بأن الانتصار الكبير ممكن أن يحدث لصاحبه بعد أن يقتل هو وجيشه (أصحابه) ثم تسبى نساؤه وعائلته من بعده. ولكن ذلك حدث فعلاً!. إذ أن الإمام الحسين عليه السلام بعد أن استشهد ورفع رأسه مع الآل والأصحاب على الرماح وسارت جحافل (المنتصرين) بالرؤوس والسبايا من النساء والأطفال نحو الكوفة ثم الشام أدرك هؤلاء المنحرفون القتلة سر هذا الدم وأنه ليس كغيره من الدماء.

لقد أصبح هذا الدم وعلى طول الطريق في المسير نحو الطاغية مشعلاً من النار والنور وصوتاً صارخاً مدوياً ابتدأ في حينه ولم يتوقف لحد الآن: أن أفيقوا أيها النيام أيها التائهون أيها الضالون أيها المخدوعون... أفيقوا من هذا السبات الطويل واعرفوا عدوكم وعدو دينكم وعدو نبيكم، هذا الامتداد الأموي المخزي لخط أبيه وجده وأسرته التي ما آمنت بهذا الدين ولا أحبت نبي هذا الدين يوماً... بل إنها ما صدقت هذا الدين ونبيه واعتبروه خدعة هاشمية جاءت من أجل الحكم ليس إلا ومصداقيته قول يزيد:

(لعبت هاشم بالملك فلا
خبر جاء ولا وحي نزل)[٤].

انهيار مملكة الخوف:

إن إمارة الخوف التي أسسها المنحرفون المنقلبون على رسول الله صلى الله عليه وآله الذين سلبوا الخلافة بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله وقوّى أسسها معاوية وابنه يزيد، قد زعزع أركانها وهز أسسها الإمام الحسين عليه السلام بنهضته العظيمة وإن دماءه الطاهرة قد أفشلت هذا المشروع وعاد بالأمة إلى الأمل في الإصلاح من خلال ما تلا ذلك من ثورات وانتفاضات حملت معالم وروح ومبادئ النهضة الحسينية المباركة.

لقد رفض الإمام الحسين عليه السلام الواقع المتردي للأمة الإسلامية من خلال إطلاقه مشروعه الإصلاحي الكبير، ولسان حاله يقول:

إن كان دين محمد لم يستقم
إلا بقتلي يا سيوف خذيني

حيث قدم على مذبح الشهادة الطاهر الصفوة من أهله وصحبه قرابين على طريق الحرية والحق لتقويض أسس الشر والخراب والهزيمة والباطل ثم قدم ووهب دمه الطاهر الزكي بضمير ملؤه اليقين

بأن هذا الدين (دين جده وأبيه) يستحق كل تلك التضحية الغالية من أجل أن تعود الأمة الإسلامية إلى سابق عهدها في زمن الرسالة ولكن هذه العودة ستكون محمية بالدم الزكي وشذاه الأبدي القادم من أرض البطولة والفداء أرض الطف (كربلاء) كي يبقى دين الله (محمدي الوجود حسيني البقاء)■

(١) تحف العقول /ابن شعبة الحراني ص ٢٤٥.
(٢) نفس المصدر.
(٣) نهج البلاغة/ج١ ص٨٣.
(٤) روضة الواعظين /الفتال النيسابوري ص١٩١.

الإمام الحسين عليه السلام في الانجيل

(يوحنا) يخبر عن المذبوح بكربلاء

فقد جاء في سفر يوحنا:

كي أتا نشحطتا وي بدمخا قانيتا لإيلوهيم من كل مشبحا وي لا شون وي كل عم وي گوي وي إيريه وا اشمع قول ملاخيم ربيم قورئيم عوشير وي حاخما وي گبورها وي هدار كاود وي براخا (يوحنا ٥: ٩ – ١٢ ص٤٦٣) (الأصل العبري)، العهد الجديد.

ويعني هذا النص : إنَّكَ الَّذِيْ ذُبِحْتَ وَقَدَّمْتَ دَمَكَ الطاهِرُ قُرْبانًا للرَّبّ وَمِنْ أجْلِ إنقاذِ الشعوبِ والأمَمِ وسينالُ هذا الذبيحُ المَجْدَ والعِزَّة والكَرامَةَ وإلى الأبَدْ لأنهُ جَسَّدَ البُطُولةَ والتَضحيةَ بأعلى مَراتِبها .

يشير النص العبري إلى الإمام الحسين عليه السلام من خلال ما جاء على لسان (يوحنا) بأنه المذبوح الذي ضحى بنفسه وأهل بيته من أجل الله، وأنه سينال المجد والعزة على مر العصور حيث نجد الإشارة إلى أنه (ذُبِحَ ، قُتِلَ) من خلال صيغة اسم الفاعل (نشحطتا) وهي مشتقة من الفعل (شاحط): (ذبح ، قتل) ثم نجد في النص العبري تأكيدًا آخر على أن المذبوح يشري دمه الطاهر قربة إلى الله وابتغاء مرضاته من خلال عبارة: (بدمخا قانيتا) فالفعل (قانيتا) هو بالأصل: (قانا): (اشترى ، باع) و (التاء) في (قانيتا) هي (تاء المخاطب) ثم الإشارة إلى نكتة مهمة وهي أن هذه التضحية وهذا القربان الذي قدمه الحسين عليه السلام لكل الشعوب والأمم على اختلاف لغاتهم وقومياتهم بقوله: (من كل مشبحا ولا شون وعم وگوي).

ثم يؤكد النص على أن الله سيجعل ـ لسيد الشهداء ـ المجد والكرامة والعزة بقوله: (وي اشمع قول ملاخيم ربيم قورئيم عوشر وي حاخما وي گبورا وي هدار كاوود). وهذا ما ينطبق على سيد الشهداء المذبوح بكربلاء ، الذي انفرد بهذه الخصوصية التي ميزته عن بقية الشهداء على مر التأريخ.

(أهل البيت عليهم السلام في الكتاب المقدس/ كاظم النصيري ص١١٣)

قال دعبل الخزاعي رحمه الله في رثاء الإمام الحسين عليه السلام

هلا بكيت على الحسين وأهله ... هـلا بكيت لمـن بكـاه محمد
فلقد بكته في السـماء ملائك ... زهـر كرام راكعون وسـجد
لم يحفظوا حـب النبي محمد ... إذ جـرعوه حرارة ما تبرد
قتلوا الحسـين فأثكلوه بسبطه ... فالثكـل من بعد الحسين مبدد
هذا حسين بالسيوف مبضـع ... متخضـب بدمـائـه مستشهد
عار بلا ثوب صريع في الثرى ... بين الحوافر والسنابك يقصد
كيف القرار وفي السبايا زينب ... تـدعو بفرط حرارة يا أحمد
يا جد إن الكلب يشـرب آمنا ... ريا ونحـن عـن الفرات نطرد
يا جد من ثكلي وطول مصيبتي ... ولمـا أعـاينه أقـــوم وأقـعد

(المناقب لابن شهراشوب/ ج٣ص٢٦٣)

قال عقبة بن عمرو السهمي من بني سهم بن عوف بن غالب :

إذا العين قـرَّت في الحيـاة وأنتم ... تخافـون في الدُّنيـا فأظلم نـورها
مررت على قبـر الحسين بكربلا ... ففاض عليه من دمـوعي غزيرها
فما زلت أرثيـه وأبكي لشـجوه ... ويسـعـد عيني دمعهـا وزفيرها
وبكيت من بعد الحسين عصائب ... أطافت بـــه من جانبيها قبـورها
سـلام على أهل القبور بكربـلا ... وقـل لهـا منّي سـلام يـــزورها
سلام بآصال العشي وبالضُّحى ... تؤديـه نكباء الريـاح وموهـا
ولا بـرح الوفّـاد زوار قبـره ... يفـوح عليـهم مسكها وعبيـرها

(أمالي الشيخ المفيد/ ص٣٢٤)

صبر الحسين عليه السلام وتحمله المصائب في واقعة كربلاء

الشيخ حسن العيساوي
باحث وخطيب

ينابيع

لم يعرف التاريخ شخصًا تحمل المصائب والرزايا مثل الإمام الحسين عليه السلام، فالذي جرى في كربلاء من مصائب وما حصل في العاشر من المحرم، من ويلات لا يستطيع أن يتحمله إنسان أو يصبر عليه مؤمن في مشارق الأرض أو مغاربها إلا الإمام الحسين عليه السلام، ولذلك جاء في زيارة الناحية المقدسة المروية عن الإمام الحجة (عج) مخاطباً جده الحسين عليه السلام: (لقد تعجبت من صبرك ملائكة السماء).

إن الذين يبحثون عن تعريف الصبر وتحديد مفهومه عليهم بمراجعة كربلاء والنظر بما جرى على الحسين عليه السلام وأهل بيته حتى يدركوا معنى الصبر على المصيبة، فالمصائب على الحسين عليه السلام كانت متنوعة وهو صلوات الله عليه صابراً محتسباً قد قاتل الأعداء إلى آخر قطرة دم في بدنه وجاهد بروحه وبذل مهجته باحثاً عن رضوان الله وفضله ولم يرَ الجزع والضجر على رغم كل المصائب بل سقط إلى الأرض بعد أن هجموا عليه بالسيوف والرماح والحجارة، وهو يقول: بسم الله وبالله وعلى سنة رسول الله صلى الله عليه وآله. لا يمكن للإنسان الموالي والمحب للحسين عليه السلام حصر ومعرفة حجم المصائب التي مرت على إمامنا الحسين عليه السلام في واقعة كربلاء لأن الحسين عليه السلام قتل بين أعدائه واستمر حكم بني أمية بعد استشهاده عليه السلام، وقد حاولوا أن يخفوا ذكر الحسين عليه السلام ويمنعوا أخباره، ولكن شاء الله سبحانه وتعالى أن يبقى ذكر الحسين عليه السلام وأن يستمر إلى يوم القيامة، فذكرت الأخبار والروايات وألّفت كتب في مقتل الحسين عليه السلام، وقد ألّفها العلماء وذكرها الخطباء وألّف الشعراء دواوين في مقتله ومصائبه. والحمد لله الذي جعل لنا الحسين عليه السلام من الأئمة الذين نهتدي بهم، قال تعالى: ﴿**وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ**﴾ (السجدة: ٢٤).

وإذا أردنا إحصاء المصائب التي صبر عليها الإمام الحسين عليه السلام، لتعذر علينا ذلك ولم يمكنّا الإحاطة بكل المصائب التي صبر عليها سيد الشهداء عليه السلام، وكما قيل مالا يدرك كله لا يترك جله، وعليه سوف نذكر بعض المصائب التي جرت على الحسين عليه السلام حسب ما وصلت إلينا من الأخبار والروايات.

أولاً: مصيبة فراق المدينة المنورة:

فارق الحسين عليه السلام مدينة جده رسول الله صلى الله عليه وآله ومرقده الشريف الذي كان يزوره الحسين عليه السلام ويتوسل به وكذلك قبر أمه

بسم الله الرحمن الرحيم

وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ (السجدة :٢٤).

الزهراء عليها السلام وأخيه الحسن عليه السلام متوجهاً إلى كربلاء، متحملاً ألم الفرقة والابتعاد عن الوطن الذي عاش وتربى وكبر فيه. وذلك بعدما وصل الإمام عليه السلام خبر صدور الأوامر من يزيد بن معاوية لواليه على المدينة عتبة بن أبي سفيان بأخذ البيعة منه عليه السلام أو قتله وإرسال رأسه إليه في الشام. (همّ عليه السلام بالخروج من أرض الحجاز إلى أرض العراق، فلما أقبل الليل راح إلى مسجد النبي صلى الله عليه وآله ليودع القبر، وصل إلى القبر سطع له نور من القبر فعاد إلى موضعه، فلما كانت الليلة الثانية راح ليودع القبر، قام يصلي فأطال، نعس وهو ساجد، فجاءه النبي صلى الله عليه وآله وهو في منامه، أخذ الحسين عليه السلام وضمه إلى صدره، وجعل يقبل بين عينيه، ويقول: بأبي أنت، كأني أراك مرملاً بدمك بين عصابة من هذه الأمة، يرجون شفاعتي، مالهم عند الله من خلاق، يا بني إنك قادم على أبيك وأمك وأخيك، وهم مشتاقون إليك، وإن لك في الجنة درجات لا تنالها إلا بالشهادة. انتبه الحسين عليه السلام من نومه باكيا، أتى أهل بيته، أخبرهم بالرؤيا وودعهم...)[1].

أسلم الحسين عليه السلام أمره لله سبحانه وتعالى ولم يعترض على ما قدره الله، بل تقبل ما يجري عليه صابراً محتسباً خرج من المدينة وقلبه متألم على فراق مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وقبره الذي طالما جلس وتعبد فيه ولكنه رضي بطريق الشهادة صابراً بذل مهجته في سبيل الدين والإسلام.وفي طريقه إلى العراق وصله خبر الغدر بمبعوثه إلى الكوفة ثقته وابن عمه مسلم بن عقيل عليه السلام وقتله شر قتلة، وكذلك قتل هاني بن عروة وهو زعيم مذحج ومن أكابر شيعته، فاحتسبهما عند الله وصبر على هذه المصيبة، واستمر في طريقه نحو العراق ليكمل الحجة عليهم.

ثانياً: مصيبة العطش وقتل الرضيع عليه السلام:

في يوم العاشر من المحرم اشتد العطش على الرضيع (وكان من أفجع وأقسى ما نكب به رزيته بولده عبد الله الرضيع، فقد كان كالبدر في بهائه، فأخذه وجعل يوسعه تقبيلاً ويودعه الوداع الأخير، وقد رآه مغمى عليه لشدة العطش، وقد غارت عيناه وذبلت شفتاه، فحمله إلى القوم ليستدر عواطفهم لعلهم يسقوه جرعة من الماء، وعرضه عليهم وهو يظلل له بردائه من حرارة الشمس، وطلب منهم أن يسعفوه بقليل من الماء، فلم ترق قلوب أولئك الممسوخين، وانبرى الباغي اللئيم حرملة بن كاهل فسدد له سهمًا، وجعل يضحك ضحكة الدناة وهو يقول مفتخرًا أمام اللئام من أصحابه: (خذ هذا فاسقه). واخترق السهم رقبة الطفل الرضيع وهو على يد والده الحسين عليه السلام، ولما أحس الطفل بحرارة السهم أخرج يديه من القماط، وجعل يرفرف على صدر أبيه كالطير المذبوح، وانحنى الطفل رافعًا رأسه إلى السماء فمات على ذراع أبيه... إنه منظر تتصدع من هوله القلوب، وتلجم الألسن.. ورفع الإمام يديه وكانتا مملوئتين من ذلك الدم الطاهر، فرمى به نحو السماء فلم تسقط منه قطرة واحدة إلى الأرض ـ حسبما يقول الإمام الباقر عليه السلام ـ وأخذ يناجي ربه قائلًا: (هون ما نزل بي أنه بعين الله تعالى.. اللهم لا يكون أهون عليك من فصيل، إلهي إن كنت حبست عنا النصر فاجعله لما هو خير منه، وانتقم لنا من الظالمين، واجعل ما حل بنا في العاجل

ذخيرة في الآجل)[٢].

ومن خلال هذه المصيبة نستطيع أن ندرك بعض الأمور التي أوصلها الإمام الحسين عليه السلام للمسلمين ولغيرهم، منها:

١- إن بني أمية ومن يسير على خطاهم ويعتقد بذلك ليس بمسلم، لأن الإسلام دين الرحمة، وهذا الدين لا يسمح بأي شكل أو حال من الأحوال قتل رضيع حتى ولو كان كافرًا من أبوين كافرين. ولكن بني أمية قتلوا هذا الرضيع - وهو حفيد نبي الإسلام صلى الله عليه وآله -، فهل يبقى لهم دين بعد ذلك، فضلاً عن دين الإسلام؟!!.

٢- إن الإمام الحسين عليه السلام أراد أن يعطي الفرصة الأخيرة لمعسكر عمر بن سعد أن يتوبوا ويرجعوا إلى الإسلام الحقيقي وأن يتركوا الولاء والطاعة ليزيد لأنه لا يمثل من الإسلام شيئًا بل دينهُ دين المنافقين الذين يظهرون الإسلام ويبطنون الكفر ولذلك قتلوا الرضيع عليه السلام بتلك الطريقة الوحشية.

٣- إن الحسين عليه السلام صبر على هذه المصيبة من دون جزع وهذا الصبر عبرة لكل مسلم يريد أن يسلم أمره إلى الله سبحانه وتعالى فيتعلم منه الصبر.

٤- إن الإمام الحسين عليه السلام فضح قسوة قلوب هؤلاء المنافقين فهم لم يرحموا الرضيع على الرغم من عطشه واحتياجه إلى الماء.

أما عطش الحسين عليه السلام فقد صبر عليه السلام على العطش القاتل الذي مر به محتسباً لله مهما حاول الأعداء إثارته ودفعه إلى فقدان الصبر أو التنازل عن مبادئه وإيمانه بالله سبحانه وتعالى، فكان يقول لكل من يشمت به إن الله سبحانه وتعالى: سوف يعطيني الماء. كما حصل مع المهاجر بن أوس التميمي الذي انبرى صوب الإمام رافعاً صوته يا حسين ألا ترى الماء يلوح كأنه بطون الحيات والله لا تذوقه أو تموت.

فرد عليه الحسين عليه السلام: (إنّي لأَرْجُو أَنْ يُورِدَنيه الله وَيَحْلَئَكُمْ عَنْهُ)[٣]، وهنا أظهر الحزب الأموي اللعين حقده الشديد على الحسين عليه السلام، فمنعوه من الماء وقتلوه عطشاناً وهم يعترفون بحقدهم وبغضهم للإمام الحسين عليه السلام لأنه صاحب الدين الإسلامي الحقيقي الذي جاء به النبي صلى الله عليه وآله والذي يأمر بالمعروف ونهى عن المنكر وهو مخالف لدين يزيد وبني أمية لأنه دين مزيف يأمر بالفساد والفجور وارتكاب المحارم والتظاهر بالدين وإخفاء الكفر من أجل الحصول على الحكم والتسلط، وهذا ما امتد بعد يزيد إلى يومنا هذا، وهكذا قتلوا الحسين عليه السلام عطشاناً وهو ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وهو لم يستسلم لهم لحظة بل استشهد صابراً محتسباً مظلوماً عطشاناً لينال جزاءه عند الله ومكانته في الدنيا والآخرة.

ثالثاً: مصيبة علي الأكبر والقاسم بن الحسين عليه السلام:

عندما أراد علي الأكبر عليه السلام المبارزة أخذه الحسين عليه السلام وضمّهُ إلى صدره ثم بكيا وأذن له بالقتال، (ورفع الحسين سبابته نحو السماء وقال: اللهم اشهد على هؤلاء القوم فقد برز إليهم غلام أشبه الناس خَلْقاً وخُلُقاً ومَنْطِقاً برسولك، كنا إذا اشتقنا إلى نبيك نظرنا إلى وجهه، اللهم امنعهم بركات الأرض، وفرقهم تفريقًا، ومزقهم تمزيقًا، واجعلهم طرائق قددًا، ولا ترض الولاة عنهم أبدًا، فإنهم دعونا لينصرونا ثم عدوا علينا يقاتلوننا)[٤].

وكان الحسين عليه السلام يحب ولده علي

الأكبر عليه السلام ـ إضافة لأنه ولده ـ كونه شبيه رسول الله صلى الله عليه وآله في الخلقة والأخلاق والمنطق، ولكن الحسين رآه مقطعاً بالسيوف في يوم العاشر من المحرم قد احتوشه الأعداء من كل جانب وهو يستغيث بأبيه الحسين عليه السلام حتى استشهد فأدمى مقتله قلب الحسين عليه السلام ولكنه صبر وتحمل هذه الرزية والمصيبة طلباً للثواب من الله سبحانه وتعالى.

وأما مصيبة ابن أخيه القاسم عليه السلام

فقد نظر إلى ابن أخيه اليتيم، هو يريد قتال معسكر يزيد وكان القاسم عليه السلام صغيراً لم يبلغ الحلم فأخذه الحسين عليه السلام واعتنقه باكياً حتى غشي عليهما، وأذن له في القتال فكان صاحب الشجاعة العلوية، فقد شعر معسكر الأعداء بأن هذا الغلام بطلٌ لا يهاب ولا يخاف من أعدائه حتى انقطع شسع نعله في المعركة فوقف لإصلاحه غير مكترث بالأعداء، شدّ عليه عمرو بن سعد الأزدي وضرب القاسم على رأسه فجاءه الحسين عليه السلام وهو يقول: (عَزَّ وَاللّه! عَلى عَمِّكَ أَنْ تَدْعُوهُ فَلا يُجيبُكَ، أَوْ يُجيبُكَ فَلا يُعينُكَ! أَوْ يُعينُكَ فَلا يُغْني عَنْكَ! بُعْداً لقَوْم قَتَلُوكَ، الْوَيْلُ لقاتلكَ)[٥] تألم الحسين عليه السلام على مقتله وبكى عليه وصبر محتسباً على هذه المصيبة.

رابعاً: مصيبة أخيه العباس عليه السلام:

كانت مصيبة العباس عليه السلام من أشد المصائب على الحسين عليه السلام لأنه كان أخاه ونائبه ووزيره وحامل لوائه وكبش كتيبته وظهره وظهيره وذخره وذخيرته وكافل أخته زينب عليها السلام وهو المعيل للعيال والأطفال من بعده.

لما رأى العباس عليه السلام كثرة القتلى من أهله قال لإخوته من أمه وأبيه عبد الله وعثمان وجعفر: تقدموا يا بني أمي حتى أراكم نصحتم لله ولرسوله، فقاتلوا بين يدي أبي الفضل حتى قتلوا بأجمعهم[٦]. عند ذلك جاء لأخيه الحسين عليه السلام يطلب الإذن للقتال قائلاً له: (قد ضاق صدري وسئمت من الحياة وأريد أن أطلب ثأري من هؤلاء المنافقين)[٧].

وعندما قتل العباس عليه السلام وقف عليه الحسين عليه السلام وقال: الآن انكسر ظهري وقلّت حيلتي[٨] ثم بكى عليه بكاءً شديداً، واشتد البكاء في مخيم الحسين عليه السلام والحسين عليه السلام صابرٌ على فقد أخيه العباس عليه السلام.

خامساً: مصيبة حرق الخيام وسبي النساء:

لقد شاهد الحسين عليه السلام حرق قسم من الخيام في حياته وهو يعلم أن بني أمية سوف يحرقون باقي الخيام بعد استشهاده وأن النساء سوف تسبى، وكان هذا ما يؤلم الحسين عليه السلام ويحزنه ولذلك لما هجموا على المخيم طلب منهم الحسين عليه السلام أن يقاتلوه ويتركوا العيال والنساء.

ولذلك في الوداع الأخير جمع الحسين عليه السلام عياله ونساءه وقال لهم (استعدوا للبلاء، واعلموا أن الله تعالى حاميكم وحافظكم، وسينجيكم من شر الأعداء، ويجعل عاقبة أمركم إلى خير، ويعذب عدوكم بأنواع العذاب، ويعوضكم عن هذه البلية بأنواع النعم والكرامة . فلا تشكوا، ولا تقولوا بألسنتكم ما ينقص من قدركم)[٩] ثم أمرهم باتباع وإطاعة ولده زين العابدين عليه السلام فقال بأعلى صوته: (يا زَيْنَبُ! وَيا أُمَّ كُلْثُوم! وَيا سَكينَةُ! وَيا رُقَيَّةُ! وَيا فاطِمَةُ! اسْمَعْنَ كَلامي وَاعْلَمْنَ أَنَّ ابْني هَذا خَليفَتي عَلَيْكُمْ، وَهُوَ إمامٌ مُفْتَرَضُ الطّاعَة .ثمّ قال له: يا وَلَدي! بَلِّغْ شيعَتي عنّي السَّلامَ، فَقُلْ

لَهُمْ: إنَّ أَبي ماتَ غريباً فانْدُبُوهُ، ومَضى شهيداً فَابْكُوهُ!)[١٠].

ثم ودع أهله وبرز للقتال وهو صابر محتسب لله يقاتل قتال الأبطال. مرت عليه المصائب والمحن الشديدة التي لا يتحملها إنسان في هذه الدنيا مهما كان صبره إلا إمامنا الحسين عليه السلام الذي قال قائلهم: (فو الله ما رأيت مكثورًا (الذي أحاط به الكثير) قط قد قتل ولده وأهل بيته وأصحابه أربط جأشًا ولا أمضى جنانًا منه عليه السلام، إن كانت الرجّالة لتشدّ عليه فيشدّ عليها بسيفه، فتنكشف عن يمينه وشماله انكشاف المعزى إذا شدّ فيها الذئب)[١١].

فسلام عليك يا صاحب الصبر العظيم الذي عجبت منه ملائكة السماء أنت والله نورٌ ومصباحٌ يهتدي به المؤمنون وسفينة نجاة لكل من يريد الفوز في الدنيا والآخرة■

---

١) الأمالي/الشيخ الصدوق ص٢١٧.

٢) من أخلاق الإمام الحسين عليه السلام للمهتدي البحراني ص٢٤٤ .

٣) أنساب الأشراف/ البلاذري ج٣ ص١٨١.

٤) بحار الأنوار/ المجلسي/ ج٤٥ ص٤٢.

٥) مقتل الحسين/ الخوارزمي ج٢ص٢٧.

٦) مقاتل الطالبيين/ أبو الفرج الأصفهاني/ ص٣٢.

٧) بحار الأنوار: ج٤٥ ، ص ٤١.

٨) م.ن.

٩) الأخلاق الحسينية/ جعفر البياتي ص٥١ / نقلا عن جلاء العيون للمجلسي.

١٠) الدمعة الساكبة ٤: ٣٥١، معالي السبطين ٢: ٢٢، ذريعة النجاة: ١٣٩.

١١) الإرشاد/الشيخ المفيد ج٢ ص١١١.

القلق والاضطراب النفسي عند أعداء الإمام الحسين عليه السلام

أ.م.د. نجم عبدالله غالي الموسوي
كلية التربية – جامعة ميسان

ينابيع

القلق النفسي Anxiety كما هو واضح حالة نفسية تعني سوء تكيف الإنسان مع المجتمع الذي يعيش فيه وشعوره بالاضطراب وعدم الاطمئنان، وهو حالة انفعالية سلبية قد تكون وقتية وقد تتحول إلى حالة متلازمة دائمية، وكلما زادت حدة القلق أصبح الإنسان غير مستقر خائف يشعر بالحيرة والتردد والخوف من المجهول وهو المرحلة الأولى من مراحل سوء التكيف وتكوين الاضطراب النفسي لدى الفرد.

(وتتميز حالة القلق بمشاعر موضوعية ومدركة شعوريا من التوتر وتوقع الشر، وإثارة الجهاز العصبي، وهي انفعالات عاطفية معقدة يدركها الأفراد كتهديد شخصي، وهو شعور عام غير سار وغامض مصحوب، بالتوتر والخوف والتحفز وتوقع الخطر والسوء وحدوث كل ما هو مهدد للشخصية، ويخبره الناس بدرجات مختلفة من الشدة وفي مظاهر متباينة من السلوك، مصحوبا ببعض المظاهر الجسمية والانفعالية المتكررة وهو أكثر الأمراض النفسية شيوعا)[1].

ومن الحقائق المهمة التي لا بد من الإشارة إليها والانتباه لها أن الظروف البيئية التي يعيش فيها الإنسان وتصرفاته اليومية لها انعكاسات وآثار جانبية على شخصيته لأن شخصيته هي نتاج لتفاعله مع مجتمعه

وأن سلوكه هو أساس هذا التفاعل وكلما كانت تصرفاته سيئة كانت أعباؤها ثقيلة وتخلق له أزمة نفسية وظروفا قاسيةً في وضعه الراهن والمستقبلي وتجعله يعيش حالة القلق والخوف وعدم التوافق.

ولا شك أن القلق النفسي قد تعمق وتجذر في نفوس الكثير من أفراد المجتمع الذي قاتل الإمام الحسين عليه السلام وأصبح جزءًا مهماً من سلوكياتهم اليومية المتتابعة سواء في أسرهم وفي مجتمعهم، ومن خلال ملاحظة ما صدر من أعداء الحسين عليه السلام من العدائية والعنف والإرهاب وسلوك اللامبالاة والفراغ الروحي والمشكلات النفسية والاجتماعية والانفعالية وعدم القدرة على تقدير الذات الإنسانية خلال مجريات الأحداث في كربلاء وبعد ما جرى فيها، نلاحظ فيه مدى الاضطراب والتلوث النفسي الذي عمل على تدمير شخصياتهم وسلبها الاستقرار والهدوء النفسي.

إن الأشخاص الذين لم ينصروا الإمام الحسين عليه السلام عاشوا نادمين وأدركوا مدى الحسرة والشعور بالذنب والغصة بفوات الفرصة الحقيقية للشهادة والنصرة والعزة والرفعة فكيف بالأعداء الذين نصبوا له وتابعوا على قتاله وأصروا على قتله.

إن القلق قد أثر تأثيراً سلبياً على أداء الشخصيات المعادية للإمام الحسين عليه السلام بشكل عام وعلى الأشخاص الذين اشتركوا في محاربته بشكل خاص، الأمر الذي أثر وبصورة سلبية على سلوكهم الفردي فجعل منهم أشخاصاً يقضون ما تبقى من حياتهم بأجواء مشحونة بالخوف وعدم الرجاء والقنوط والتشاؤم وشعورهم الأكيد أن وجودهم سوف يتحطم وأنهم سوف يفقدون أنفسهم وما يخبئه القدر المحتوم

لهم من أمور .

كما أن الكثير من أعداء الإمام الحسين عليه السلام عاشوا حالة من المرض النفسي الذي أرقهم في ما بقي من حياتهم ولا سيما أن المجتمع الذي يعيشون فيه لم يتقبلهم ولم يتكيف معهم وبذلك فقدوا صفة مهمة لحياة الإنسان وهي مسايرة الجماعة الصالحة والتوافق الاجتماعي وبالتالي عاشوا حالة مؤذية من الوجل وارتقاب وقوع حوادث مؤذية لهم نتيجة القناعة بالعمل السلبي الذي قاموا به.

من هنا نجد أنه من الضرورة ذكر بعض الصور العامة للقلق والاضطراب النفسي لدى أعداء الإمام الحسين عليه السلام، وهي على سبيل الاختصار مبتعدا عن ذكر الشواهد التاريخية والأسماء لضيق المقام، وهي كما يأتي:

١. إيمان أعداء الإمام الحسين عليه السلام إيماناً تاماً أن الإمام الحسين عليه السلام له شخصية مميزة على المستوى الإيماني والاجتماعي والعقائدي والإعجازي وأن التعرض له سيجلب لهم خزي الدنيا وعار الآخرة، لكن عمي البصرة والسعي وراء الصفقة الخاسرة هو ما جعلهم يصرون على قتاله ومعاداته، فنلاحظ ان أعداءه حرصوا أيما حرص على عدم السماح للجيش الأموي بالاستماع لخطب وتوجيهات الإمام الحسين عليه السلام خوفا من الانقلاب وإيقاظ الضمائر وتنبيه البصيرة، وهذا الأمر شكل هاجسا قوياً لدى أعدائه وقلقاً مفرطا تجاهه.

٢. إن تركيبة جيش الإمام الحسين عليه السلام كان يحمل في طياته الشخصيات الاجتماعية البارزة ذات الأثر الإيماني الطيب والأخلاق الحميدة والروح السامية والتي اكتملت سجاياهم بإدراكهم الفوز بالشهادة، فمنهم صحابي جليل، ومنهم قارئ للقرآن، ومنهم من هو سيد قومه وذو دين وسمو ورفعة وإقدام، ومنهم ذو خلق رفيع معروف بتقواه وورعه، هذه التركيبة الطيبة للجيش الناجح الذي يقوده الحسين الإمام عليه السلام جعلته يزلزل الأرض تحت أقدام الجيش الأموي ،الذي مع كثرة عدده وقوته إلا أنه كان ضعيفاً من الناحية النفسية، ومع انتصاره عسكرياً، لكنه يقر ويعترف بداخله أنه مهزوم معنويا وخاسر لكل مبادئ القتال والقيم والرجولة فضلاً عن إقراره بالذنب العظيم الذي ارتكبه، ولا سيما أنه جيش غير عقائدي وغير مؤمن بعدالة قضيته إنه جيش جلبه الطمع والحرص والجشع والنظرة المادية الضيقة والمنفعة الشخصية.

٣. أن الإنسان بطبيعته لا يستطيع الاستغناء عن الأفراد الآخرين فإنه بحاجه إلى العيش والتألق معهم والانتماء إليهم، لتحقيق شعوره بالاطمئنان وعدم الخوف من المستقبل والثقة به وأن أعداء الإمام الحسين عليه السلام عاشوا النقيض من ذلك بل إن منهم من تعرض للنبذ الاجتماعي والمحاربة الاجتماعية من أقرب الناس إليه دليلاً على عدم المقبولية والرفض وشناعة العمل الذي قام به، فمنهم من رفضته أسرته ومنهم من رفضه أهله ومنهم من رفضته زوجته وهي أقرب الناس إليه من الناحية الجسدية والنفسية والروحية.

٤. ما يؤكد حالة القلق في قيادة الجيش الأموي هو استمالة أعداء الإمام الحسين عليه السلام بالمال والإغداق عليهم بالهدايا الثمينة وشراء ذممهم لتأكيد ولائهم للمعسكر الأموي من جانب ولكسبهم في المعركة من

جانب أخر.

٥. من الملاحظ في أحداث كربلاء أن بعض الأشخاص حرصوا على مبدأ (لا لكم ولا عليكم) أي التزام النظر والتفرج، هؤلاء وإن لم يدركهم الفتح إلا أنهم أدرك أغلبهم فيما بعد الشعور بالخيبة والقلق والحزن وتأنيب الضمير، ومن المتوقع أنهم لم يسلموا من ردود أفعال أنفسهم وأهليهم والمجتمع تجاههم فكيف بأعداء الإمام الحسين عليه السلام.

٤. إن ما يؤكد مبدأ القلق النفسي لدى أعداء الإمام الحسين عليه السلام هو حرصهم الدائم على عدم النزول إلى المعركة بصورة فردية وذلك لإيمانهم التام والمطلق بضعفهم وانهزامهم النفسي وقوة عدوهم الذي يملك القناعة التامة بالمبدأ الذي يقاتل من أجله والعقيدة التي ينتمي إليها.

٦. الذي صعد القلق عند أعداء الإمام الحسين عليه السلام هو مشاهدتهم النهاية المؤلمة للعديد منهم في أثناء سير المعركة وبعدها كنتيجة حتمية للذنب الذي اقترفوه، والمتتبع للسيرة التاريخية يجد نماذج عديدة تعرضت للخزي في الدنيا ونالها عذاب عظيم، كما أن الإمام الحسين عليه السلام دعا على العديد من الشخصيات العدائية والتي نالت حظها الوافر من هذا الدعاء ونزلت بها العقوبة الإلهية بصورة آنية.

٧. كما يقال أن الأمراض الروحية والنفسية هي مظهر من فقدان الصحة الروحية والنفسية، قال تعالى: (**مَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى**) (طه:١٢٤)، إن ضنك العيش الذي تعرض له أعداء الإمام الحسين عليه السلام جعل بعضهم يعيش عدم الثبات النفسي وعدم الاستقرار واللوم الزائد للنفس والشعور بعدم الأمن وعدم حصول الفائدة، لأن كل من اشترك وأخذ لم ينعم بما أخذه، وكل من اشترك لوعد ولمثوبة وعد بها من السلطة الحاكمة، لم ينل مطلبه وخسر ما سعى إليه جاهدا، وهدم بنيانه بيديه، كما وأنه من الناحية العلمية فإن هذه الضغوط تجعل الإنسان عرضة للانهيار العصبي والوقوع فريسة للاضطرابات النفسية والجسمية التي تسبب له الكثير من الاضطرابات السيكوسوماتية والأمراض النفسية التي يعاني منها وتشير الدراسات النفسية إلى أن الضغط إذا كان شديداً أو مستمراً إلى مدة طويلة فأنه ينهك ويقتل الكائن الحي .

٨. إن شخصية الإمام الحسين عليه السلام لم تكن خافية عن عقول ونفوس أعدائه، فمع ما يتمتع به من كونه ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله من جانب ولاتخاذه الحق سبيلاً من جانب آخر، إلا أن أعدائه أصروا على قتله بأبشع صورة وأوقح فعل والتشفي به بعد شهادته، وهذا يعطينا دليلًا واضحًا على مدى الحقد الذي يستقر في نفوسهم ومدى القلق الكبير والخوف العظيم من شخصيته المباركة.

٩. حرص قادة السوء في الجيش الأموي على عدم حصول أية حالة تعاطف وميل تجاه الإمام الحسين عليه السلام أو أي احد من أهل بيته وأصحابه، مهما كان الأمر ومهما احتوى الموضوع من حالة إنسانية، خوفاً وقلقاً من تحول بعض الأشخاص أو تأثرهم أو تعاطفهم مع المعسكر الحسيني، فنلاحظ هجوم وقت الصلاة، منع الماء حتى عن الأطفال، قتل الطفل الرضيع عبد الله عليه السلام بعد حالة الجدل التي صارت في المعسكر الأموي بين مؤيد ومعارض لسقيه

منعا من السلطة الحاكمة لحالة الانشقاق داخل الجيش الأموي الملعون.

في الختام لا بد أن نشير إلى أن الساحة البحثية النفسية والتربوية في مسيرة أحداث كربلاء بأمس الحاجة إلى دراسات (تربوية ونفسية) على وفق منهج البحث العلمي لفهمها والإحاطة بأبعادها ومكوناتها كافة، إذ تبحث هذه الدراسات في الكشف عن الظروف الحقيقية المختلفة بين المعسكرين الأموي والحسيني ومدى الاختلاف في البناء النفسي والتربوي والاجتماعي بين المعسكرين ثم بيان أسرار النجاح الدائم الذي حصل عليه الإمام الحسين عليه السلام وأصحابه رضي الله عنهم ومن ثم نضع أيدينا على المقومات الأساسية لهذا النجاح والإفادة منه في حياتنا اليومية، ومن الله السداد.

المصادر:

١- الصحة النفسية/نعيم الرفاعي، ص : ١٢١.

نساء مع الحسين عليه السلام في طفوف كربلاء

أ.طالب علي الشرقي
كاتب وباحث

ينابيع حينما تختفي الحقيقة تحت ركام الزيف ودعاوى التديّن تضيق على الخيّرين الحياة، وتسود موجة من القلق المشروع. فبعد أربعة عقود من عمر الإسلام، الدين القيّم الذي شيدته العقول والعرق والدماء تسرقه الفئة الباغية، وباسمه تتحكم برقاب الرعية وأرزاقها، وتخرج بشكل سافر على حدود الله وشرعه، حتى لم يبق في القوس منزع، فلابد من عمل يعيد للإسلام هيبته، ويحمي الناس من جور المتسلطين وقد حان الحين، وتوفر المنقذ فهو وحده المؤهل والمعني بالوقوف بوجه الإنحراف إنّه الإمام الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام، ولأن الدوافع اكتملت يوم خيّر عليه السلام بين البيعة ليزيد بن معاوية الفاجر الفاسق وبين الموت، وقد تهيّأ الناصر، فلم يبقَ الّا أن يصدع بالأمر ويباشر بالنهضة، فكانت مقدمات ... ثم خرج عليه السلام حاجاً ولكنه رأى الخطر بعينه فغادر مكة ومعه الصفوة من الأبناء والإخوة والأصحاب والعيال والأطفال، وكان القرار خطيراً وكانت وجهته الكوفة، مما أقلق محبيه، فقد أتاه أخوه محمد بن الحنفية وقال له: عرفت غدر أهل الكوفة بأبيك وأخيك وإني أخاف أن يكون حالك حال من مضى، فأقم هنا فإنك أعز مَن في الحرم وأمنعه . فوعده الإمام الحسين عليه السلام في النظر في هذا الرأي، وفي سحر تلك الليلة ارتحل الإمام الحسين عليه السلام، فأتاه ابن الحنفيه وأخذ

بزمام ناقته ـ وقد ركبها ـ وقال: ألم تعدني النظر فيما سألتك؟ قال عليه السلام: بلى ولكن بعدما فارقتك أتاني رسول الله صلى الله عليه وآله وقال: ياحسين اخرج فإن الله تعالى شاء أن يراك قتيلاً، فاسترجع (محمد) وحينما لم يعرف الوجه في حمل العيال معه وهو على مثل هذا الحال، قال له الإمام الحسين عليه السلام: قد شاء الله تعالى أن يراهنَّ سبايا[١].

وتكررت محاولات صرفه عليه السلام عن التوجّه إلى الكوفة، وسأله جماعة من أهل بيته وغيرهم التريث عن هذا السفر، وكان يجيب كل واحد بما يسعه ظرفه وتتحمله معرفته وأبى إلّا أن يمضي[٢]. وفي زرود أُخبر عليه السلام بقتل مسلم بن عقيل وهاني بن عروة في الكوفة، وأشير عليه بالرجوع وأنه ليس لك بالكوفة ناصر[٣] وذُكّر بما عليه أهل الكوفة من الغدر والخيانة، فقال عليه السلام: ليس يخفى عليَّ الرأي وإن الله لا يُغلب على أمره[٤].

وكان الركب الحسيني رجالاً ونساءً لا يعلمون علم اليقين ماذا يكسبون غداً وماذا يُخبئ لهم القدر. ولما تأكد الإمام الحسين عليه السلام من خبر خذلان أهل الكوفة لمسلم وهاني وعبد الله بن يقطُر أخ الإمام الحسين من الرضاعة قال لمن معه: قد خذلتنا شيعتنا، فمن أحب منكم الانصراف فلينصرف، ليس عليه منّا ذمام. فتفرق الناس عنه حتى بقي في أصحابه الذين جاءوا معه من المدينة[٥] واستمر الموكب بالمسير متوجها إلى الكوفة ولكنه اصطدم بمقدمة جيش بني أُميّة بقيادة الحر بن يزيد التميمي، ومنعه من الدخول إلى الكوفة[٦] إلّا أن يقدمه على عبيد الله بن زياد، فقال الإمام الحسين عليه السلام: الموت أدنى إليك من ذلك... فأمر الحسين أصحابه بالمسير والتياسر والحر يسايره حتى انتهى إلى قصر بني مقاتل فنزل ... ولما كان آخر الليل أمر عليه السلام التزوّد بالماء والرحيل، وبينما هم سائرون إذ خفق الإمام الحسين عليه السلام خفقة وهو على ظهر جواده، فانتبه قائلاً: إنّا لله وإنّا إليه راجعون والحمد لله رب العالمين. فقال علي الأكبر عليه السلام: يا أبة جعلت فداك مم حمدت الله وأسترجعت؟ فقال الإمام الحسين عليه السلام: يابني إني خفقت برأسي خفقة فعن لي فارس فقال: القوم يسيرون والمنايا تسري ـ أوتسيرـ إليهم، فعلمت أن أنفسنا نُعيت الينا. فقال علي الأكبر: يا أبة لا أراك الله سوءاً، ألسنا على الحق ؟ قال الحسين عليه السلام: بلى والذي إليه مرجع العباد، فقال علي الأكبر: يا أبة إذاً لا نبالي نموت محقين[٧].

وهكذا تتضح بعض معالم المصير، وهي عند الإمام الحسين عليه السلام حتميّة التحقق بدليل قوله عليه السلام عندما وصل إلى كربلاء: هذا موضع كرب وبلاء انزلوا ههنا محط رحالنا ومسفك دمائنا وهنا محل قبورنا، بهذا حدثني جدّي رسول الله صلى الله عليه وآله[٨] كما تبيّن للنسوة قرب الخطر. يقول ابن طاووس: وجلس الإمام الحسين عليه السلام يصلح سيفه ويقول:

يا دهرُ أفٍ لك من خليـــل
كمْ لك بالإشراق والأصيـل
من طالب وصاحب قتيـــل
والدهـــر لا يـنفـــع بالبديل
وكل حيّ ســـالك سبيل
ما أقرب الوعد من الرحيل
وإنّمـا الأمـر إلى الجليل

قال الراوي: فسمعتْ زينب بنت فاطمة عليها السلام ذلك فقالت: يا أخي هذا كلام من أيقن القتل، فقال عليه السلام: نعم يا أختاه. فقالت زينب: واثكلاه، ينعى الحسين اليّ

نفسه . قال الراوي: وبكت النسوه ولطمن الخدود وشققن الجيوب، وجعلت أم كلثوم تنادي وا أحمداه وا عليّاه وا أُمّاه وا أخاه وا حسيناه، وا ضيعتنا بعدك يا أبا عبدالله. قال: فعزاها الإمام الحسين عليه السلام وقال لها يا أُختاه تعزي بعزاء الله، فإن سكان السماء يفنون وأهل الأرض كلهم يموتون وجميع البرية يهلكون . ثم قال: يا أُختاه يا أُم كلثوم وأنت يازينب وأنت يافاطمة وأنت يارباب انظرن: إذا أنا قتلت فلا تشققن عليَّ جيباً ولا تخمشن عليَّ وجهاً ولا تقلن هجراً... وروي من طريق آخر: إن زينب لما سمعت مضمون الأبيات الشعرية وكانت في موضع آخر منفردة مع النساء والبنات، خرجت حاسرة تجر ثوبها حتى وقفت عليه وقالت: وا ثكلاه... فنظر إليها الإمام الحسين عليه السلام وقال: يا أُختاه لا يذهبنَّ بحلمك الشيطان ...[٩]

إن الموقف رهيب، والإحساس بالهزيمة لا تقوى على تقبلِه النساء وقد عُرفن برقة العواطف وسرعة الانفعال، فالحوراء زينب التي عُرفت بالأقوى شكيمة وكان عليها المعوَّل في تدبّر الأُمور وتهدئة العيال قبل وبعد المنازلة (قد شقت جيبها وخرّت مغشياً عليها، فقام عليه السلام وصب عليها الماء حتى أفاقت، ثم عزّاها (صلوات إلهي عليه) بجدّه وذكّرها المصيبة بموت أبيه ....)[١٠].

ويوم أحاطت جيوش الطاغية عبيد الله بن زياد بن أبيه ... بمعسكر الإمام الحسين عليه السلام، وقف عليه السلام خطيباً فيهم قائلاً: انشدكم الله هل تعرفوني؟ قالوا: نعم... وأخذ يذكّرهم بعلاقته برسول الله صلى الله عليه وآله وبعلي عليه السلام وبفاطمة عليها السلام وبحمزة رحمه الله و...[١١] قالوا: قد علمنا ذلك كله، ونحن غير تاركيك حتى تذوق الموت عطشاً . فلما سمعت بناته وأخته زينب كلامه، بكين وندبن ولطمن، وارتفعت أصواتهن، فوّجه إليهن أخاه العباس وعلياً ابنه وقال لهما أسكتاهن ولعمري ليكثر بكاؤهن[١٢].

وبدأت المعركة، والحقيقة هي ليست كالمعارك التقليدية بين جيشين متكافئين ومتقاربين في العدّة والعدد ولكنها معركة بين الحق والباطل، بين حماة الشريعة من آل محمد صلى الله عليه وآله وأنصارهم من جانب، وحماة الردّة من آل أبي سفيان وعبيدهم الذين جاهروا بالنكوص عن جادة الإسلام، مما وجب على ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله الإمام الحسين بن علي عليه السلام النهوض للإصلاح وكشف زيف الأدعياء، وقد استبسل أنصار الدين حتى نالوا شرف الشهادة.

وكان لنساء بعضهم مواقف بطولية، فعندما برز وهب بن حباب الكلبي للقتال وأحسن في الجلاد وبالغ في الجهاد كان معه امرأته وأمّه فرجع إليهما وقال يا أُماه أرضيت أم لا؟ فقالت ما رضيت حتى تقتل بين يدي الحسين عليه السلام فتنال شفاعة جدّه صلى الله عليه وآله يوم القيامة، فرجع فلم يزل يقاتل حتى قطعت يداه، فأخذت امرأته عموداً فأقبلت نحوه وهي تقول: فداك أبي وأُمّي قاتل دون الطيبين[١٣].

وقيل أنها قُتلت... وقاتِلُها هو رستم غلام شمر فإنه ضربها بعمود[١٤].

ومرّت على النسوة في المخيم الحسيني مواقف يصعب تصورها وهن يستقبلن أزواجهن وإخوانهن وأبناءهن قتلى، ولا يملكن إلّا الصراخ واللطم، وليس أمامهن إلّا الصبر والاحتساب. ولعل أشد المواقف كان من حصة الحوراء زينب عليها السلام فهي المسؤولة عن احتواء الأُمور قدر المستطاع

فتواسي الثكلى والأرامل وبينهن الرباب أُم علي الأكبر وسكينة بنت الحسين ورملة أُم القاسم بن الإمام الحسن عليه السلام، وأم فلان وفلان من أُمهات وزوجات بعض الأنصار، إضافة إلى رعاية وحماية العليل الإمام علي بن الحسين السجاد عليه السلام والأطفال الذين كانوا يعانون الجوع والعطش والبكاء خوفاً ورعباً، وينفعل بعض الصبيان فينزل إلى ساحة المعركة للذود عن الإمام الحسين عليه السلام وأهل بيته. قال الراوي:.... وخرج غلام كأن وجهه شقة قمر فجعل يقاتل فضربه ابن نفيل الأزدي على رأسه ففلقه، فوقع الغلام لوجهه وصاح يا عماه... ومثله فعل عبدالله بن الحسن بن علي عليه السلام وهو غلام لم يراهق فقتله حرملة بن كاهل[١٥]. ولقد كان الأمر عظيماً على الإمام الحسين عليه السلام فكيف هو على أُمهاتهم؟.

ومن أشد وأخطر المواقف وأقساها على الإمام الحسين عليه السلام ساعة استشهد أخوه أبو الفضل العباس عليه السلام حامل اللواء وساقي العطاشى حتى عبّر عليه السلام عن ذلك المصاب بقوله: الآن انكسر ظهري وقلّت حيلتي[١٦] وبقي وحيداً، فعاد إلى المخيّم ليودّع عياله؛ يقول السيد عبد الرزاق المقرّم رحمه الله: إن عقائل النبوة تشاهد عماد أخبيتها وسياج صونها وحمى عزها مؤذناً بفراق لا رجوع بعده، فلا يدرين بمن يعتصمن من عادية الأعداء، فلا غرو إذا أجتمعن عليه وأحطن به وتعلقن بأطرافه بين صبّي يئن ووالهة أذهلها المصاب، وطفلة تطلب الأمن وأُخرى تنشد الماء، فما حال سيد الغيارى وهو ينظر إلى ودائع وحرائر بيت العصمة وهن لا يعرفن إلّا سجف العز وحجب الجلال.. فإن فررن فعن السلب وإن تباعدن فمن الضرب ولا محام لهن...[١٧].

وقُتل الإمام الحسين عليه السلام... وتسابق الرعاع على حرق خيامه ونهب ممتلكاته حتى جعلوا ينتزعون ملحفة المرأة عن ظهرها، قال حميد بن مسلم: فوالله لقد كنت أرى المرأة من نسائه وبناته وأهله تنازع ثوبها عن ظهرها حتى تُغلب عليه فيُذهب به منها[١٨].

ومن المفارقات التي يرويها حميد بن مسلم: رأيت امرأة من بني بكر بن وائل، كانت مع زوجها في أصحاب عمر بن سعد، فلما رأت القوم قد اقتحموا على نساء الإمام الحسين عليه السلام فسطاطهن وهم يسلبوهن، أخذت سيفاً وأقبلت نحو الفسطاط وقالت: يا آل بكر بن وائل بنات رسول الله صلى الله عليه وآله لا حكم الّا لله، يالثارات رسول الله صلى الله عليه وآله فأخذها زوجها وردها إلى رحله.[١٩] دون أن تاخذه شهامةٌ أو دين، فقد كان مخدّر الوجدان.

وأرخى الليل سدوله، فكانت ليلة الحادي عشر من المحرم ليلة عقيم يعجز أهل الأرض عن وصف دقائقها، فيها بنات الرسول صلى الله عليه وآله يمسين في خيمة ظلماء، وأمام نواظرهن سادة الأمّة وأبناء الأئمة وأشراف العرب ونبلاء الناس صرعى مخضبين بالدماء، وحولهن القَتَلة الغادرين تهزهم نشوة الغلبة . فهل كان ذلك خارج حسابات النهضة؟ يقول ابن طاووس: ومما يكن أن يكون سبباً لحمل الإمام الحسين عليه السلام لحرمه وعياله فإنه لو تركهن لكان يزيد بن معاوية قد أنفذ ليأخذهن إليه وصنع بهن من الاستئصال وسيئ الأفعال ما يمنع الإمام الحسين عليه السلام من الجهاد والشهادة[٢٠].

وهناك رأي يقول: وفي اصطحابه للأطفال والنساء يؤسس للثوار نهجاً تُلغى فيه الذرائع والأعذار، كما أن الإمام

الحسين عليه السلام أدرك بثاقب فكره أنّ جند الشيطان سيسدلون الستار على تضحياته ويضيع الهدف من نهضته فاصطحب معه عقيلة بني هاشم زينب الكبرى أُخته لتكون الشريك والمتمم واللسان المعبر بصدق عن الحقيقة وفضح الأكاذيب، ولتعرّف المسلمين بهوية الضحايا والسبايا وعلاقتهم برسول الله محمد صلى الله عليه وآله، وكان كما توقع حيث أشاع القتلة أن القتلى والسبايا خوارج[٢١].

لقد أعاد الحسين بنهضته الفتح المبين وأوقف العبث بأُسس الدين، وهزّ أركان دولة بني أُميّة وحقق النصر الذي اشتراه بدمه الزكي ودم أهل بيته وأصحابه ومعاناة أطفاله وعياله في الأسر والإذلال، فسلام على الإمام الحسين وعلى أصحاب الحسين وعلى زينب وأخواتها ومن يلوذ بها. والعاقبة للمتقين■

---

١) مقتل الإمام الحسين/السيد عبد الرزاق المقرّم / ص١٧٠ عن بحار الأنوار ١٠:١٨٤.

٢) الشيخ المفيد / الإرشاد / ص ٢٧٦.

٣) مقتل الإمام الحسين/ السيد عبد الرزاق المقرّم / ص ١٨٢.

٤) تاريخ الطبري /الطبري/٥:٣٩٩.

٥) المصدر السابق/ ٥:٣٩٨.

٦) وهذا هو قدر الإمام الحسين عليه السلام الذي أخبره به جدّه رسول الله صلى الله عليه وآله بقوله عليه السلام كأني بأوصالي تقطعها عسلان الفلاة بين النواويس وكربلاء وليس في الكوفة.

٧) الكامل في التاريخ/ ابن الأثير /٤:٥١.

٨) اللهوف في قتلى الطفوف/ابن طاووس / ص٣٣.

٩) المصدر السابق /ص٣٣-٣٤.

١٠) المصدر السابق /ص٣٤.

١١) يقول الشيخ محمد مهدي شمس الدين: إنّ بعض أدعياء البحث العلمي يرون أن الحسين وقف هذا الموقف ليستدر الرحمة... ولكنهم بعيدون جداً عن فهم هذا اللون من مواقف الأبطال العقائديين، فلو أراد الحسين أن يستدر الرحمة وينجو بحياته لأكتفى بأدنى من هذا، ليبايع يزيد.. ولكنه توجه بخطابه إلى الجنود الذين يعلم أنهم مأمورون، ليؤكد في أذهانهم ومشاعرهم الحقيقة التي سترعبهم بأنه ومن معه أبناء رسول الله، نبي الدين الذي يحكم باسمه الأمويون، إنه ومن معه متحدّرون من هذه الأصول العريقة في تاريخ الإسلام ... إنه يقرر في أذهانهم أنهم لا يطلبونه بقتيل ولا بمال وإنما يطلبونه لأنه ثار على الحكم الأموي الفاسد، هذا الحكم الذي يصُر على قتله باسم الدين، وهو هو في مركزه الديني العظيم. (ثورة الحسين ص١٧٤)

١٢) اللهوف في قتلى الطفوف/ابن طاووس ص٣٦-٣٧.

١٣) المصدر السابق /ص٤٤.

١٤) الوثائق الرسمية لثورة الحسين/عبد الكريم القزويني/القسم الأول ص١٧١.

١٥) اللهوف في قتلى الطفوف/ابن طاووس/ص٤٨.

١٦) مقتل الإمام الحسين/ السيد عبد الرزاق المقرّم ص٢٨٢/عن بحار الأنوار١٠: ٢٥١.

١٧) المصدر السابق/ ص٢٩٠.

١٨) الشيخ المفيد / الإرشاد / ص٣٠٣.

١٩) اللهوف في قتلى الطفوف/ابن طاووس/ ص٥٥

٢٠) المصدر السابق / ص٣٥.

٢١) الكوفة والنهضة الحسينية/ طالب علي الشرقي/ ص١٤١.

الشاعر: محمد علي الأعسم

القصيدة: (المقبولة):
المشهور منها: (تـبـكيكَ عيني لا لأجلِ مثوبةٍ)

هذه القصيدة العصماء من نظم. العالم الكامل المرحوم الشيخ محمد علي الأعسم رحمه الله مواليد النجف ١١٥٤هـ، توفي في النجف الأشرف سنة ١٢٣٣هـ، ودفن في المقبرة التي هي لآل الأعسم في الصحن الشريف.

وآل الأعسم أسرة نجفية كبيرة عريقة في العلم والفضل والأدب، أصلها من الحجاز من نواحي المدينة المنورة وجاء جدهم الأعلى إلى النجف الأشرف وتوطنها[1].

كان صاحب الترجمة عالماً فاضلاً فقيهاً ناسكاً أديباً شاعراً له ديوان شعر وله مراث كثيرة في الحسين عليه السلام ومدائح في أهل البيت عليهم السلام.

جاء في معارف الرجال أنه تتلمذ على الشيخ جعفر الكبير صاحب كشف الغطاء، وكان من أخلص أصحابه ومدح الشيخ أستاذه بعدة قصائد ومدح أنجاله الأعلام أيضاً، حج مكة المكرمة سنة ١١٩٩ هـ مع أستاذه كاشف الغطاء بركابه مع العلماء الأعلام، وحضر الفقه على السيد مهدي بحر العلوم كما أجازه أن يروي عنه. وقد عرضت على المترجم له منظومة بحر العلوم المسماة بـ (الدرة) فقرضها.

قصة القصيدة:

نقل السيد جواد شبّر عن الطليعة ، أنّه لمّا نظم الشيخ محمد علي الأعسم قصيدته في الإمام الحسين عليه السلام التي مطلعها:

قَدْ أوْهَنَتْ جَلَدِيْ الدّيَار الخَالِيَهْ
مِنْ أَهْلِهَا مَا لِلدّيَارِ وَمَالِيَهْ

عرضها على ولده الشيخ عبد الحسين، فقال: انظرها. فنظرها، ثمّ قال: هذه قافية قاسية، فتركها ناظمها تحت مصلاّه. فما كان إلاّ أن طُرق البابُ سحراً، وإذا بالخطيب الشيخ محمد علي القاري الشهير ـ وكان ممتازاً بإنشاد الشعر الحسيني في محافل الحسين عليه السلام ـ قال: إنّي رأيت البارحة كأني دخلت الروضة الحيدرية، فرأيت أمير المؤمنين جالساً، فسلّمت عليه،فأعطاني ورقة فيها قصيدة، وقال: اقرأ لي هذه القصيدة في رثاء ولدي الحسين، فقرأتها، وهو يبكي، فانتبهت وأنا أحفظ منها:

قست القلوب فلم تلن لهداية
تبّاً لهاتيك القلوب القاسية

فبهت الشيخ، وأخرج له الورقة التي تحت مصلاّه، فدهش الشيخ محمّد علي القاري، وقال: واللّه إنّها نفس الورقة، بل هي هي التي أعطانيها أمير المؤمنين[2].

فعرف أن قصيدته هذه مقبولة عند الإمام عليه السلام، فسميت (القصيدة المقبولة).

قال : والمشهور أنّ هذه القصيدة لولده الشيخ عبد الحسين..

وهذه هي القصيدة[٣]:

قد أوهنت جَلَدي الدّيارُ الخالية ... من أهلها ما للدّيارِ ومالِيه
ومتى سألتُ الدّارَ عن أربابها ... يُعِدُ الصّدى منها سؤالي ثانيه
كانت غياثاً للمنوب فأصبحت ... لجميعِ أنواعِ النّوائبِ حاويه
ومعالمٌ أضحت مآتمَ لا تَرى ... فيها سوى ناعٍ يجاوِبُ ناعيه
وردَ الحسينُ إلى العراقِ وظنّهم ... تركوا النِّفاقَ إذا العراق كما هيه
ولقد دعَوهُ للغَنا فأجابهم ... ودعاهُمُ لهدى فردُّوا داعيه
قسَتِ القلوبُ فلم تَمِلْ لهداية ... تبّاً لهاتيكَ القلوب القاسيه
ما ذاقَ طعمَ فراتِهِمْ حَتّى قضى ... عطشاً فغُسِّلَ بالدّماء القانيه
يا بنَ النبيّ المصطفى ووصيِّهِ ... وأخا الزكيّ ابنَ البتولِ الزاكيه
تبكيكَ عيني لا لأجلِ مثوبة ... لكنّما عيني لأجلِكَ باكيه
تبتلُّ منكم كربلا بدم ولا ... تبتلُّ منّي بالدّموعِ الجاريه
أَنْسَتْ رزيتُكُم رزايانا التي ... سلفت وهوّنت الرزايا الآتيه
وفجائعُ الأيام تبقى مدّة ... وتزولُ وهي إلى القيامة باقيه
لهفي لِرَكبٍ صُرعُوا في كربلا ... كانت بِها آجالُهُم مُتدانِيَه
تَعْدُو على الأعداءِ ظاميَةَ الحَشى ... وَسُيوفُهم لِدَمِ الأعادي ظامِيَه
نَصروا ابنَ بنت نبيّهُم طُوبى لَهُم ... نالُوا بنصرتِهِ مَراتِبَ سامِيه
قَدْ جاوروه هاهُنا بقبورِهم ... وَقُصُورُهُم يومَ الجَزا مُتَحاذِيَه
وَلقدْ يَعِزُّ عِلى رَسولِ اللّهِ أن ... تُسبَى نِساهُ إلى يَزيدَ الطاغِيَه
وَيَرَى حُسيناً وَهوَ قُرّة ُ عَينِه ... وَرِجالُهُ لم تَبْقَ مِنهُم بَاقِيَه
وَجُسومُهُم تَحتَ السَنابِكِ بِالعَرَى ... وَرُؤوسُهُم فَوقَ الرِمَاحِ العَالِيَه
وَيَرى دِيارَ أُمية معمورة ... وديارُ أهلَ البيتِ مِنهُم خَالِيَه
وَيَزيدَ يَقْرَعُ ثَغْرَهُ بِقَضيبِهِ ... مُتَرَنّماً مِنْهُ الشّماتَة بادِيَه
أبني أُمَيَةَ هَلْ دَرِيَتْ بِقُبْحِ ما ... دَبّرَتْ أمْ تَدرينَ غَيرَ مُبالِيَه
أوَ ما كَفاكَ قِتالَ أحمدَ سابقاً ... حَتى عَدَوْتَ على بَنيهِ ثانِيَه
أيْنَ المَفَرُ ولا مَفَرَ لَكُمْ غَدًا ... فالخَصْمُ أحمدَ والمصيرُ الهاوِيَه
تاللّهِ إنَكَ يا يزيدَ قَتَلْتَهُ ... سِرًّا بقتلِكَ لِلحُسينِ عَلانِيَه
تَرقى مَنابِرَ قُوِّمَتْ أعوادُها ... بِظُبى أبيهِ لا أبيكَ مُعاوِيَه
وإذْ أَتَتْ بِنتُ النَبِيّ لِرَبّهَا ... تَشكُو وَلا تَخفَى عَليهِ خَافِيَه
رَبِّ انتَقِم مِمَنْ أَبَادُوا عِترَتِي ... وَسَبَوا عَلى عُجُفِ النِياقِ بَنَاتِيَه
وَاللّه يَغضَبُ لِلبَتولِ بِدونِ أنْ ... تَشكُو فَكيفَ إذَا أَتَتهُ شَاكِيَه

دور العقيلة زينب عليها السلام في مواجهة الإرهاب الفكري خلال فاجعة الطف

م.م. حلا عبد الكريم احمد
جامعة ميسان / كلية التربية

ينابيع إن أهم ما يميز الإسلام في موقفه من المرأة هو إعطاء حقها، فكان لها الدور المؤثر في مختلف المجالات السياسية، والاقتصادية، والاجتماعية، والثقافية، والعسكرية، ونجد أن التاريخ الإسلامي زاخر بالكثير من النساء اللواتي اعتلين قمم العظمة في كافة المجالات، ولعبن دورا كبيرا وحافظن على مكانتهن في المجتمع الإسلامي، وكان على رأس القائمة لتلك النسوة عقيلة الطالبيين السيدة زينب بنت أمير المؤمنين عليها السلام ودورها التاريخي في تعميق أهداف النهضة الحسينية ونشر تلك الأهداف، مع بيان ظلم بني أمية وجرائمهم وإرهابهم الفكري الذي اقترفوه ضد الإسلام والمسلمين.

وقد انتشر الإرهاب في التاريخ الإسلامي من خلال مظاهر العنف والقتل، وهذا واضح من خلال الاغتيالات السياسية على يد بعض الجماعات التي كانت تهدف إلى تحقيق غايات سياسية مختلفة[1].

مواجهة العقيلة عليها السلام للإرهاب في الكوفة.

ساندت السيدة زينب عليها السلام الركب الحسيني لحظة خروجه من الحجاز إلى العراق، وصولا إلى الشام، ومسيرتها التضحوية التي كانت عن يقين بأحقية النهضة الحسينية على قلاع البغي والفساد، فطرزت التاريخ الإنساني بصفحات مشرقة من الإباء والكبرياء استنادا إلى قوله تعالى: (**إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا**) (الأحزاب: ٣٣)، وأكملت عليها السلام رسالتها لمواجهة الإرهاب بكل أشكاله، الذي نهجه الأمويون، حيث تجلى بمنهجية التضليل الإعلامي الفكري الذي اتبعه الأمويون لتضليل الرأي العام حتى ينصاع لهم ولسياستهم المنحرفة، فجاءت نهضة الإمام الحسين عليه السلام لتتحدى السلطة الحاكمة، وان يضحي بحياته ويقدم دمه الطاهر، ليقضي على الإرهاب الأموي بكل أشكاله.

إذ زيّف الأمويون الحقائق التاريخية في قتلهم للإمام الحسين عليه السلام وأهل بيته وأصحابه عليهم السلام ببثهم الدعايات بأنهم ضد السلطة الحاكمة وبأنهم خوارج خرجوا على الخليفة، وليفرقوا كلمة الأمة ويشقوا عصا الطاعة، وسعى إعلامهم المضلل لترسيخ هذه الفكرة في أذهان الناس كما أعلن ابن زياد في الكوفة بأنهن أسرى ترك[٢] محاولين إخفاء هويتهم، فاتسمت خطبها المؤثرة في بلاد الشام بإسقاط مزاعم السلطة الأموية بمعنى تجريد الحملة الإعلامية التضليلية للنظام الأموي فألهبت مشاعر الرأي العام من خلال تعريف الناس بالمنطلقات الفكرية الحقيقية لنهضة الإمام الحسين عليه السلام وأهدافها، وتجرؤ البيت الأموي الحاكم على قتل أهل بيت الرسول صلى الله عليه وآله وبيان مدى الإساءة لذرية الرسول صلى الله عليه وآله بقتل أولاده وأهل بيته عليهم السلام، ومن ثم سبي عياله وانتهاك حرماتهم، فما كان أمام الإمام الحسين عليه السلام إلا اصطحابه للنساء والأطفال معه في مسيرته إلى كربلاء، لكي لا يدع أي مجال للسلطة الأموية للتبرؤ من قتله وإرهاب الأمويين لأهل البيت عليهم السلام[٣].

ومن المواقف التي واجهتها عقيلة بني هاشم عليها السلام عندما شاهدت الإمام الحسين عليه السلام مقتولا ومسلوب العمامة والردا، فقد صاحت عليها السلام بابن سعد بقولها: (ويحك أيقتل أبو عبد الله وأنت تنظر أليه؟ فصرف وجهه عنها ودموعه تسيل على وجهه ولحيته)[٤] فعند ذلك صاحت عليها السلام: (ويحكم أما فيكم مسلم؟ فلم يجبها أحد)[٥].

ففي هذا الموقف أرادت العقيلة عليها السلام أن تذكره بأن هناك وجه قربى بينه وبين الإمام الحسين عليه السلام لكنه تناسى ذلك، فقد شغله الطمع بحكم الري عن معرفة ما يصح وما لا يصح ،كذلك أرادت أن تذكر القتلة بأنهم مسلمون على ملة الإسلام فلو لم يكونوا كذلك ماذا كانوا يفعلون؟.

ومن المحطات التاريخية التي واجهت فيها بنت أمير المؤمنين عليهما السلام إرهاب بني أمية عندما دخلت إلى الكوفة مع النساء والعيال، يحيط بها الجند، وقد خرج الناس للنظر إليهم وكانوا على جمال بغير وطاء، فأخذت الكوفيات بالبكاء والصراخ، فأومأت عليها السلام إلى الناس أن أسكتوا، فارتدت الأنفاس، وسكنت

الأصوات، فقالت كأنها تفرغ عن لسان أمير المؤمنين عليه السلام. قال: وقد أومأت إلى الناس أن اسكتوا، فارتدت الأنفاس وسكتت الأصوات فقالت: الحمد لله والصلاة على أبي رسول الله، أما بعد يا أهل الكوفة، ويا أهل الختل والخذل، فلا رقأت العبرة، ولا هدأت الرنة، فما مثلكم إلا (كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَاثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ). ألا وهل فيكم إلا الصلف النطف، والصدر الشنف؟....، فبئس ما قدمت لكم أنفسكم أن سخط الله عليكم، وفي العذاب أنتم خالدون. أتبكون؟! إي والله فابكوا كثيرا، واضحكوا قليلا، فلقد فزتم بعارها وشنارها، ولن تغسلوا دنسها عنكم أبدا. فسليل خاتم الرسالة، وسيد شباب أهل الجنة، وملاذ خيرتكم، ومفزع نازلتكم، وأمارة محجتكم، ومدرجة حجتكم خذلتم وله قتلتم!!!...[٦].

وعندما أنهت فخر المخدرات عليها السلام خطبتها ضج الناس بالبكاء، وبهتوا، وظلوا في حيرة من أمرهم، لا يعرفون ما يصنعون، و أقترب الإمام علي بن الحسين عليه السلام من عمته زينب عليها السلام قائلا لها: (أسكتي يا عمة فأنت بحمد الله عالمة غير معلمة، وفهمة غير مفهمة)[٧] ويبدو لنا أن الإمام السجاد عليه السلام قد اضطر إلى إسكات عمته، بعد ازدياد الهياج بين الناس، وجاء أمر إسكاتها من قبل شرطة ابن زياد عندما نظر إلى ذلك الهياج نتيجة خطبتها عليها السلام أمر برفع الرؤوس أمامها فقطعت كلامها ولم تستطع أن تستمر بخطبتها بل روي أنها ضربت بجبينها مقدم المحمل حتى سال الدم من جبهتها[٨].

وتثير العقيلة زينب عليها السلام أهل الكوفة بقولها: (أتدرون أي كبد لرسول الله فريتم؟ وأي كريمة له أبرزتم؟ وأي دم له سفكتم؟ وأي حرمة له انتهكتم؟ ولقد جئتم بها صلعاء عنقاء سوداء فقماء خرقاء كطلاع الأرض وملاء السماء. أفعجبتم إن مطرت السماء دماً ولعذاب الآخرة أخزى وانتم لا تنصرون فلا يستخفنكم المهل فأنه لا يحفزه البدار ولا يخاف فوت الثار وإن ربكم بالمرصاد)[٩].

فخطبتها عليها السلام في الكوفة أول توضيح وتصريح على واقعة كربلاء، بعد حدوثها، فهي موجهة للسلطة الأموية وسياسيتها المتمثلة بالظلم، والقهر، والجبروت، والإرهاب.

وعندما جاء ابن زياد ليبين للملأ انتصاره في واقعة الطف ويدعي أن الله تعالى فضح الإمام الحسين عليه السلام محاولا طمس الحقائق بقوله: (الحمد لله الذي فضحكم وقتلكم وأكذب أحدوثتكم)[١٠] فهو يعمد إلى تزيف حقيقة أنهم أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله وعمل على إخفائها عن المسلمين، فما كان أمام العقيلة عليها السلام إلا أن تواجهه وترد عليه بقولها: (الحمد لله الذي أكرمنا بنبيه محمد صلى الله عليه وآله وطهرنا من الرجس تطهيرا، وإنما يفتضح الفاسق ويكذب الفاجر، وهو غيرنا والحمد لله)[١١].

فقد أرادت عليها السلام أن تذكرهم بنبوة النبي محمد صلى الله عليه وآله وقربها منه وأنها من بيت النبوة الذي أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا.

ومن محطات الإرهاب الفكري التي أثارت كل عدو وصديق وبينت مدى ظلم بني أمية وتعسفهم، عندما خرج أهل

البيت عليها السلام من الكوفة طلبت النسوة أن يمروا بهن على القتلى فلما نظرن أليهم وهم مقطعوا الأوصال صِحْنَ وضربن الوجوه، وقالت عليها السلام: (يا محمد صلى عليك ملائكة السماء وهذا الحسين بالعراء مرمل بالدماء مقطع الأعضاء وبناتك سبايا وذريتك مقتلة تسفي عليها الصبا فأبكت كل عدو وصديق)[١٢]، لقد هزت هذه المرأة جيش عبيد الله بن زياد، وأسقطت نشوة النصر من رؤوسهم إذ كان يحسب أن الإمام الحسين عليه السلام قد انتهى بمقتله.

العقيلة زينب عليها السلام في مجلس يزيد.

إن موقف عقيلة بني هاشم عليها السلام في مجلس يزيد بن معاوية الذي يعد من أروع المواقف في الدفاع عن الحق وتحدياً لإرهاب بني أمية وجبروتهم ،فيزيد كان متربعا على كرسي ملكه ،وفي أوج قوته وزهوه بانتصاره بما قدمه في سفك الدم النبوي الطاهر، فكان مجلسه حف بقيادات جيشه ورجالات حكمه وزعماء قبائل الشام وظهوره بأعلى درجات القوة والقسوة والسيطرة وتهوره في القمع والإرهاب، فليس له من رادع من دين أو عقل، فكان على بنت علي عليه السلام أن ترد عليه وتقف بوجه سلطته وزيفه وتحريفه للأحداث التاريخية، بالرغم من ظروفها البالغة في القسوة والشدة جسديا ونفسيا وهي لا تزال تحت وطأة الفاجعة العظيمة والسبي .

ومن محطات الإرهاب التي تعرضت لها العالمة غير المعلمة عليها السلام عندما حاول يزيد في مجلسه إظهار فرحه وانتصاره على أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله، وما حقده وكرهه لهم إلا دليلٌ قاطعٌ على قتله للإمام الحسين عليه السلام حيث يقول متمثلًا بأبيات ابن الزبعرى:

ليت أشياخي ببدر شهـــدوا
جزع الخزرج من وقع الأسل
لأهلـــوا واستهلـــوا فرحـا
ثم قالـــوا يا يزيـــد لا تشـــل
قد قتلنا القـــرم من ساداتكم
وعدلنـــا ميل بدر فاعتـــدل
لست من خندف إن لم أنتقم
من بنى أحمـــد ما كان فعـــل
لعبت هاشـــم بالملك فـــلا
خبر جاء ولا وحي نزل[١٣]

فترد عليه بقولها عليها السلام: (لعمري لقد نكأت القرحة، واستأصلت الشأفة، بإراقتك دم سيد شباب أهل الجنة، وابن يعسوب العرب، وشمس آل عبد المطلب، وهتفت بأشياخك وتقربت بدمه إلى الكفرة من أسلافك، ثم صرخت بندائك ولعمري قد ناديتهم لو شهدوك ووشيكا تشهدهم ويشهدوك ولتود يمينك كما زعمت شلت بك من مرفقها وأحببت أمك لم تحملك، وأباك لم يلدك، حين تصير إلى سخط الله، ومخاصمك رسول الله صلى الله عليه وآله)[١٤].

لقد خطبت عليها السلام بكل قوة وشجاعة ورباطة جأش في مجلس يزيد خطبة عصماء ظلت تتناقلها الاجيال، ومما قالته عليها السلام: (الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على محمد وآله أجمعين، صدق الله سبحانه حيث يقول: **(ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَ أَسَاءُوا السُّوأَى أَنْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِئُونَ)** (الروم : ١٠) أظننت يا يزيد حيث أخذت علينا أقطار الأرض وآفاق السماء، فأصبحنا

نساق كما تساق الأسارى أن بنا على الله هوانا وبك عليه كرامة؟ وأن ذلك لعظم خطرك عنده؟ فشمخت بأنفك، ونظرت في عطفك، جذلان مسرورا، حين رأيت الدنيا لك مستوسقة والأمور متسقة، وحين صفا لك ملكنا وسلطاننا، مهلا مهلا أنسيت قول الله تعالى: (**وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِأَنْفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ**) (ال عمران: ١٧٨))[١٥].... إلى آخر خطبتها.. فأبكت كل عدو وصديق.

فكان لهذه الخطبة وللمأساة التي تعرض لها أهل البيت عليهم السلام باستشهاد الإمام الحسين عليه السلام، دور كبير في إثارة بعض كبار الصحابة الذين كانوا في الشام ضد يزيد[١٦].

فتلك المرأة السبية الأسيرة التي سيقت إلى مجلس يزيد مكتفة بالحبال، تقف أمام الحاكم المتغطرس المتجبر صارخة به بقولها عليها السلام: (يا ابن الطلقاء) ومنذرة له بقولها عليها السلام: ولتودن أنك شللت وبكمت، ولم يكن قلت ما قلت وفعلت ما فعلت (اللهم خذ بحقنا، وانتقم من ظالمنا، وأحلل غضبك بمن سفك دماءنا وقتل حماتنا)[١٧].

وتتحداه قائلة: (فو الله ما فريت إلا جلدك ولا حززت إلا لحمك) وتكرر تحديها له هاتفة: (فكد كيدك واسع سعيك)[١٨].

وبصراحة أوضح تبدي احتقارها له وأنها أكبر وأسمى من أن تكلمه أو تخاطبه لولا ما فرضته عليها الظروف فتقول: (ولئن جرت عليّ الدواهي مخاطبتك إني لأستصغر قدرك، وأستعظم تقريعك، وأستكثر توبيخك)[١٩].

وأوضحت عليها السلام لمن كان قد حضر في مجلس يزيد مهنئا بالانتصار على الخارجين عن حكمه، أن هذه السبايا هم أبناء الرسول صلى الله عليه وآله، لا كما أخبر يزيد أنهن خارجيات عن الإسلام لذا قامت العقيلة زينب عليها السلام خاطبة بقولها: (أمن العدل يا ابن الطلقاء تخديرك حرائرك وإماءك وسوقك بنات رسول الله سبايا قد هتكت ستورهن وأبديت وجوههن تحدو بهن الأعداء من بلد إلى بلد ويستشرفهن أهل المناهل والمناقل، ويتصفح وجوههن القريب والبعيد، والدني والشريف، ليس معهن من رجالهن ولي، ولا من حماتهن حمي؟ وكيف يرتجى مراقبة من لفظ فوه أكباد الأزكياء، ونبت لحمه بدماء الشهداء؟ وكيف يستبطئ في بغضنا أهل البيت من نظر إلينا بالشنف والشنآن، والإحن والأضغان؟)[٢٠].

فانقلب المجلس من فرح وشماته إلى بكاء وعويل ومأتم على آل الرسول صلى الله عليه وآله.

فكانت عليها السلام تواجه التحريفات والإشاعات التي أطلقها الأمويون فكانت الإعلام الصادق والمضاد ضد ما اقترفه الأمويون من إرهاب فكري فأخذت تقوم بتعبئة الجماهير، وكانت نتائجها أن أججت روح الثورات في المسلمين ضد السلطة الجائرة ولم تترك العقيلة زينب عليها السلام فرصة لفضح يزيد إلا استغلتها لصالح الدين الإسلامي فهي واصلت الطريق في أن يبقى ذكر أهل البيت عليهم السلام خالدا ومحو يزيد وآل أميه من ذاكرة التاريخ وبث روح الثورة ضد الظلم وإرهاب الأمويين■

١) مفهوم الإرهاب في الشريعة الإسلامية، ص٨٩-٩٣.
٢) المرجع نفسه،ص١٢٦.
٣) المرجع نفسه ،ص١٥٩ .
٤) مقتل الحسين/أبو مخنف ،ص١٩٥ .
٥) المصدر نفسه ،ص١٩٥ .
٦) أمالي الشيخ المفيد/ص٣٢٢.
٧) الاحتجاج /الطبرسي ،ج ٢/ص١٩٦.
٨) بحار الأنوار/المجلسي ،ج ٤٥/ص١١٥.
٩) اللهوف على قتلى الطفوف/ابن طاووس، ص١٩٣ .
١٠) الكامل في التاريخ/ ابن الأثير،ج٤/ ص٨١ .
١١) تاريخ الرسل والملوك/الطبري،ج٤/ ص٣٤٩.
١٢) البداية والنهاية/ ابن كثير ، ج٨/ ص٢١٠.
١٣) ابن طاووس ،الملهوف، ص٢١٤.
١٤) بحار الأنوار/ المجلسي/ ج٤٥ ،ص١٥٩.
١٥) م.ن/ ص١٣٣.
١٦) ينظر: تاريخ الرسل والملوك/الطبري، ج٤/ص٥٥٢.
١٧) بحار الأنوار/ المجلسي/ ج٤٥ ،ص١٣٤.
١٨) م. ن، ص١٣٥.
١٩) ابن طاووس، الملهوف ،ص١٠٦.
٢٠) بحار الأنوار/ المجلسي/ج٤٥ ، ص١٣٤.

مع خطبة زينب عليها السلام في الكوفة

م.م .حسن جميل الربيعي
جامعة الكوفة/كلية الآداب

ينابيع

استشهد الإمام الحسين عليه السلام بعد أن قام منتفضاً منتصراً للإسلام المحمدي الأصيل لإحقاق الحق ودحض الباطل، وكان هذا المعنى واضحاً في كلماته الخالدة في طريقه إلى كربلاء منذ لحظة خروجه، فكان عليه السلام واعظاً ناصحاً مذكّراً بالله، ومخوّفاً من استمرار أعمال السلطة القائمة المخالفة لشرع الله وسنة رسوله صلى الله عليه وآله.

وكان النظام الحاكم يظن أنه بقتل الحسين عليه السلام سيطيب له العيش، وتصفى له الأمة، ويستتب الأمر له، ولكن ما أن انقضى اليوم العاشر من محرم الحرام حتى بدأت أسباب زوال الدولة الأموية بالظهور؛ فهنا ثورة، وهناك أخرى، وهنا ولاية سقطت، وهناك خلافة قامت... كلّ هذه الأمور وغيرها نخرت في جسد الدولة الأموية حتى لم ينقضِ على مقتل الحسين عليه السلام عقود من الزمن حتى سقطت الدولة الأموية لتقوم على أنقاضها دولة بني العباس.

ونستطيع القول بضرس قاطع: إن أول عامل لسقوط الدولة الأموية بعد عامل قتل الحسين عليه السلام هو الإعلام العلوي المتمثل بالإمام زين العابدين وزينب الحوراء وبنات الرسالة الذين قاموا بهذا الإعلام

منذ لحظة مقتل الحسين عليه السلام، فها هي زينب الحوراء عليها السلام تذهب إلى جسد أخيها وهو مضرّج بدمه الزكي، مقطوع الرأس، مرضوض الصدر بحوافر الخيول، مطروح بين أخوتها وبنيها وأصحابه المقتولين، وفي موقف تتهدّ له الجبال الراسيات لتضع يديها تحت جسده الطاهر وترفعه إلى السماء وتقول لربها: ((اللهمّ، تقبل منا هذا القربان))، وهي بنفسها تحاول لململة عيالها والحفاظ على الأطفال بعد أن شردوا في العراء إذ حرقت خيامهم، وهي نفسها التي لم تترك وردها حتى ليلة الحادي عشر.

إن زينب الكبرى عليها السلام بهذا أوصلت رسالتها الإعلامية الأولى أن قتل الحسين عليه السلام هو فداء للإسلام، وأن دمه الزكي هو قربان لله تعالى؛ فالإسلام عندها أغلى من كل شيء والحسين فداء له ودمه هو الزيت المحرك للثورة، وبهذا الموقف وبحفاظها والتزامها وتماسكها واتزانها في حالة أبكت السماء دماً أوصلت رسالة ثبات الإسلام واستقراره وعدم الانكسار والانهزام مع عظم الفجيعة وهولها؛ وقد قدّمت هذا الموقف عملياً حين سألها اللعين ابن زياد: ((كيف رأيت صنع الله بأخيك وأهل بيتك؟)) فأجابت سلام الله عليها: ((ما رأيت إلا جميلاً، هؤلاء القوم كتب الله عليهم القتل فبرزوا إلى مضاجعهم، وسيجمع الله بينك وبينهم يا بن زياد، فتحاجون وتخاصمون، فانظر لمن الفلج يومئذ! ثكلتك أمك يا بن مرجانة))[1]، فحطّمت كبرياءه وزهوه وغروره، وتكلّمت بمنطق القوة والعزة العلوية لا بمنطق الانكسار والضعة كما كان يتصور ابن زياد ومن حوله.

وزينب عليها السلام بقيامها الليل وحفاظها على وردها أوصلت رسالة الاعتزاز بالإسلام وعباداته، واجباته ومستحباته، والتوحيد لله تعالى في أحلك الظروف وأصعبها، والشكر له مع كل ما يصيب الإنسان، وأنّها امتداد للخط الرسالي من جدّها رسول الله إلى أبيها أمير المؤمنين وأمها الزهراء، وأخوتها صلوات الله عليهم أجمعين، وهي عكست بهذا المفهوم الإيجابي للدين بتطبيق عملي، فبعملها هذا كانت داعية ناصحة مذكرة بالإسلام الذي أراد الطغاة تحريفه وعكسه عن المسار الصحيح له، يصف الشيخ محمد جواد مغنية حالها في تلك اللحظات فيقول: ((رجالها بلا رؤوس على وجه الأرض، تسفي عليهم الرياح، ومن حولها النساء والأطفال، في صياح وبكاء، ودهشة وذهول، وجيش العدو يحيط بها من كل جانب.. إن صلاتها في مثل هذه الساعة، تماماً كصلاة جدّها رسول الله صلى الله عليه وآله في المسجد الحرام، والمشركون من حوله يرشقونه بالحجارة، ويطرحون عليه رحم شاة، وهو ساجد لله (عزّ وعلا)، وكصلاة أبيها أمير المؤمنين، في قلب المعركة بصفين، وصلاة أخيها سيد الشهداء يوم العاشر، والسهام تنهال عليه كالسيل.. ولا تأخذك الدهشة إذا قلتُ: إنّ صلاة السيدة زينب، ليلة الحادي عشر من المحرم، كانت شكراً لله على ما أنعم، وإنّها كانت تنظر إلى تلك الأحداث على أنّها نعمة خصّ الله بها أهل بيت النبوة، من دون الناس أجمعين، وأنّه لولاها لما كانت لهم هذه المنازل والمراتب عند الله والناس))[2].

فزينب عليها السلام في كل موقف من مواقفها تلك كانت ضاربة للكيان الأموي، مزلزلة أركانه، محطمة بنيانه، بكلماتها وسكناتها،

بعزتها وإبائها، بصبرها وتحديها، ولله درُّ الدكتورة بنت الشاطئ إذ تقول: ((لم تمضِ زينب إلا بعد أن أفسدت على ابن زيادَ ويزيد وبني أمية لذة النصر وسكبت قطرات من السم الزعاف في كؤوس الظافرين! فكانت فرحة لم تطل.. وكان نصراً مؤقتاً لم يلبث أن أفضى إلى هزيمة قضت آخر الأمر على دولة بني أمية))[٣].

ولعلَّ من أبرز جوانب الإعلام الزينبي هو البلاغة التي تميّزت بها زينب، وكانت تخرج منها بسلاسة وسهولة دون تكلّف ولا مبالغة؛ لأنها أصبحت ملكة راسخة عندها ورثتها من جدّها وأبيها وأمها وإخوتها، وحسبها بأبيها إذ كان عليه السلام (مشرع الفصاحة وموردها، ومنشأ البلاغة وموردها، ومنه عليه السلام ظهر مكنونها، وعنه أخذت قوانينها، وعلى أمثلته حذا كل قائل خطيب، وبكلامه استعان كل واعظ بليغ)[٤].

وقد وصف المبرد (٢٨٥هـ) زينب عليها السلام حين دخلت على ابن زياد قائلاً: ((وكانت أسنَّ من حمل إليه منهنّ، وقد كلمته، فأفصحت وأبلغت، وأخذت من الحجة حاجتها))[٥]، وحين رأى ابن زياد بلاغتها التي تكمّ الأفواه وتدهش العقول انبرى قائلاً: ((هذه سجاعة، ولعمري لقد كان أبوها سجاعاً شاعراً))، فقالت له الحوراء:((ما للمرأة والسجاعة؟! إن لي عن السجاعة لشغلاً، ولكن نفث صدري بما قلت))[٦]، وهي بقولها هذا دلّت على الملكة الراسخة في بيانها البليغ.

ومن بلاغتها العالية خطبتها في الكوفة في مجلس ابن زياد التي أدهشت الأسماع، فسكت القوم وكأن على رؤوسهم الطير، وبهت الطغاة بما كان، ولم يكن من أمر إلا أن سليلة علي عليها السلام تخطب في الناس؛ فلنستمع للراوي كيف كانت الحوراء في ذلك الموقف الصعب،قال بشير بن حذيم الأسدي: ((نظرتُ إلى زينب بنت علي يومئذٍ، ولم أرَ خفرة[٧] قطّ أنطق منها كأنما تنطقُ عن لسان أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وتُفرغ عنه، أومأت إلى الناس أن اسكتوا! فارتدّت الأنفاس، وسكنت الأجراس، فقالت:

الحمدُ لله، والصلاة على أبي محمّد رسول الله، وعلى آله الطيبين الأخيار آل الله.

وبعد؛ يا أهل الكوفة، ويا أهل الختل، والخذل، والغدر! أتبكون؟ فلا رقأت الدمعة، ولا هدأت الرنّة، إنما مثلكم كمثل التي ((نَقَضَتْ غَزْلَها مِنْ بَعْد قُوَّة أَنْكاثاً تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلاً بَيْنَكُمْ)) (النحل: ٩٢)، وهل فيكم إلا الصلف، والطنف، والشنف، والنطف[٨]، وملق الإماء، وغمز الأعداء، أو كمرعى على دمنة[٩]، أو كقصة على ملحودة[١٠]!

ألا ساء ما قدَّمت لكم أنفسكم أن سخط الله عليكم وفي العذاب أنتم خالدون، أتبكون وتنتحبون؟ أي والله، فابكوا كثيراً، واضحكوا قليلاً، فلقد ذهبتم بعارها وشنارها، ولن ترحضوها بغسل بعدها أبداً.

وأنّى ترحضون قتل سليل خاتم الأنبياء، وسيد شباب أهل الجنّة، وملاذ حيرتكم، ومفزع نازلتكم، ومنار حجتكم، ومدرة[١١] ألسنتكم، ألا ساء ما تزرون، وبعداً لكم وسحقاً! فلقد خاب السعي، وتبّت الأيدي، وخسرت الصفقة، وبؤتم بغضب من الله، وضربت عليكم الذّلة والمسكنة.

ويلكم، يا أهل الكوفة، أتدرون أيّ كبد لرسول الله صلى الله عليه وآله فريتم، وأيّ دم له سفكتم، وأيّ كريمة له أبرزتم، وأيّ حريم له أصبتم،

وأيّ حرمة له انتهكتم؟ (**لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئاً إِدّا * تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدّا**)(مريم: ٨٩-٩٠)، إنّ ما جئتم بها لصلعاء، عنقاء، سوداء، فقماء، خرقاء، شوهاء، كطلاع الأرض، وملاء السماء، أفعجبتم أن قطرت السماء دماً؟ ولعذاب الآخرة أشدّ وأخزى، وأنتم لا تنصرون، فلا يستخفنّكم المهل فإنّه عز وجل لا يحفزه البدار، ولا يخاف فوت الثار، كلا إنّ ربكم لبالمرصاد، فترقبوا أوّل النحل[١٢] وآخر صاد[١٣]))[١٤].

قال الراوي: ((فو الله، لقد رأيتُ الناس يومئذٍ حيارى، كأنّهم كانوا سكارى، يبكون ويحزنون، ويتفجّعون ويتأسّفون، وقد وضعوا أيديهم في أفواههم)).

إذا دققنا النظر في بنية هذه الخطبة العصماء خرجنا بعدة نقاط:

أولاً: القوة الخطابية لدى عقيلة بني هاشم عليها السلام، فهي قد بيّنت قوّتها الخطابية عندما بدأت بخطبتها العصماء ارتدت الأنفاس وسكنت الأجراس كما يصف الراوي، وأثناء الخطبة يرتفع البكاء والنحيب من الجمهور كما هو واضح من كلامها عليها السلام، وهذا يدلّ على مدى التأثير العالي الذي أحدثته الخطبة في نفوسهم، ويكمل الراوي الوصف بعد انتهاء الخطبة فوصف حالهم بالحيرة وكأنهم سكارى يبكون ويحزنون، ويفجعون ويتأسفون، فمن هول المصاب لا يدرون ما يفعلون، أما الحوراء وإن كان المصاب مصابها إلا أن قوتها الخطابية حازت على قوتهم النفسية.

ومما يؤكد هذه القوةَ الألفاظُ والصيغُ والتراكيبُ العالية في بنائها ومضمونها والتي لا يستطيع أي خطيب أن يأتي بها، هذا إذا نظرنا إلى حال زينب الحوراء عليها السلام وهي فاقدة لإخوتها وبنيها وأحبتها، وهي في حال السبي والأسر، والأغلال في يديها، وهي واقفة بين يديّ العتاة المجرمين.

ثانياً: الأسلوب الخطابي المثالي؛ لقد جاءت الخطبة بأسلوبها المثالي المتبع عند العرب في الإسلام مبتدئة بحمد الله والصلاة على رسوله وآله، منتقلة في ما بعد إلى قولها (وبعد) وفي رواية (وأما بعد)، وهذه العبارة ترد في بدايات خطب العرب، فقد أثر عن سحبان - الذي يضرب به المثل في الخطابة - قوله: [من الطويل]

لقد علم الحي اليمانون أنني
إذا قلت (أما بعد) أني خطيبها

فالواضح من القول أن هذه العبارة تفتتح بها الخطبة بعد الحمد والثناء؛ ومن ثم بدأت زينب الحوراء عليها السلام بنداء الحاضرين، وقد جددت النداء لاحقاً لكي تعيد إلى الأذهان الانتباه إلى الخطبة، هذا مع الانتقال بين الأساليب بين نداء واستفهام وخبر، إلى أن أنهت الخطبة، والمستقبل مستشعر بنهايتها غير محتاج إلى مزيد.

وقد كانت الخطبة معتدلة في طولها، فلم تكن قصيرة مخلة ولا طويلة مملة.

ثالثاً: كان الاستشهاد بالقرآن الكريم حاضراً في جميع الخطبة من بدايتها إلى نهايتها، والألفاظ والأساليب القرآنية هي الحاكمة في النص، فقد اقتبست في كلامها مرتين بآيتين نصاً كما هو واضح في الخطبة، وخمس مرات أوردت الألفاظ القرآنية في أثناء الخطبة، وهي في قولها:

١- ((ألا ساء ما قدّمت لكم أنفسكم أن سخط الله عليكم وفي العذاب أنتم

خالدون)) وقد استوحته من قوله تعالى: (**لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ**) (المائدة: ٨٠).

٢- ((ابكوا كثيراً، واضحكوا قليلاً)) وقد استوحته من قوله تعالى: (**فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلاً وَلْيَبْكُوا كَثِيراً**) (التوبة: ٨٢).

٣- ((وبؤتم بغضب من الله، وضربت عليكم الذّلة والمسكنة)) وقد استوحته من قوله تعالى: (**وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ**) (البقرة: ٦١).

٤- ((ولعذاب الآخرة أشدّ وأخزى، وأنتم لا تنصرون))، وقد استوحته من قوله تعالى: (**وَلَعَذَابُ الآخِرَةِ أَخْزَى وَهُمْ لا يُنْصَرُونَ**) (فصلت: ١٦).

٥-((إنَّ ربكم لبالمرصاد)) وقد استوحته من قوله تعالى: (**إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ**) (الفجر: ١٤).

إضافة إلى الإشارة في آخر الخطبة إلى بداية سورة النحل وآخر سورة ص.

ومن خلال هذا الاستشهاد القرآني نستنتج أن زينب الحوراء عليها السلام عاشت مع القرآن، فامتزج القرآن بروحها وقلبها وضميرها حتى أنه يجري على لسانها كشلال متدفق من أعالي الجبال بسلامة طبع، وبلاغة تعبير، وعمق معانٍ، وشمول جامع مانع لكل مقتضيات الحال، وهذا موافق إلى ما ذهب إليه النقدي ناقلاً عن كُتّاب السير (أنَّ العقيلة عليها السلام كان لها مجلس خاص لتفسير القرآن تحضره النساء)[١٥]، ولا عجب من هذا فقد نزل القرآن في البيت الذي تربّت فيه، فتشربت بالقرآن.

والاقتباس القرآني الذي استخدمته زينب الحوراء عليها السلام هو أحد فنون البلاغة العربية، وله (أهمية مشهودة في السمو بأساليب المقتبسين ورفعة فنون قولهم؛ لأن المقتبس من القرآن الكريم الذي هو أعلى رتبة من البلاغة يزيد قدر ثمار قريحته ويزينها بأجمل العبارات وأبلغ الصياغات)[١٦].

رابعاً: كانت زينب الحوراء عليها السلام مبيّنة لمنزلة أهل البيت عليهم السلام، فقد ابتدأت كلامها بالصلاة على (أبيها) رسول الله، فبينت الانتماء النسبي إلى الرسول المصطفى، وثم صلّت على آله الطيبين الأخيار وهم آل الله، وهي بهذا بيّنت عظم الجريمة التي ارتكبها النظام القائم بقتلهم الطيّبين الأخيار آل الله من ذرية رسول الله صلى الله عليه وآله، وقد بيّنت منزلة الحسين الشهيد بالنسبة للأمة فهو إضافة إلى كونه ابن رسول الله الوحيد آنذاك فهو سيد شباب أهل الجنّة، وملاذ خيرتهم، ومفزع نازلتهم، ومنار حجتهم، ومدرة ألسنتهم؛ وفي هذا تقريع وتأنيب لهم على ما اقترفوه من ذنب لا يغفر لهم، بكت عليه السماء والأرض دماً، (وإن السماء اسودّت اسوداداً عظيماً حتى رؤيت النجوم نهاراً، ولم يرفع حجر إلا وجد تحته دم عبيط)[١٧].

خامساً: تعدد الألفاظ والصياغات والتراكيب وتنوعها مما يدل على المنزلة العلمية والأدبية لها عليها السلام، فهذا الكمُّ من المفردات المتنوعة والصياغات المختلفة والاستشهاد بالقرآن لا يستطيع أيّ خطيب أن يلمّ به إلا إذا كان موسوعياً جامعاً للمعارف والعلوم، وهذا يذكرنا بقول الإمام زين العابدين عليه السلام لعمته: (أنت بحمد الله عالمة غير مُعَلَّمَةٌ، فَهِمَة غير مُفَهَّمَة)[١٨].

سادساً: الفنون البلاغية العالية والمتنوعة في أرجاء الخطبة مما لا يأتي به

إلا النادر من كبار أدباء زمانها؛ فهي عليها السلام على نهج أبيها في خطبتها تفيض بلاغة وأدباً جماً؛ فقد تنوعت الأغراض البلاغية على لسانها بكل يسر، فمن الاقتباس القرآني كما تقدم، إلى أسلوب الاستفهام الاستنكاري في قولها: (أتبكون)، و(أتبكون وتنتحبون)، و(أنّى ترحضون قتل سليل خاتم الأنبياء)، إلى أسلوب الحصر والقصر (وهل فيكم إلا الصلف، والنطف...)، إلى أسلوب المقابلة (ابكوا كثيراً واضحكوا قليلاً)، كما تضمن القول الأخير أسلوب الأمر، إلى السجع الخالي من التكلف والتصنع، المتنوع كيلا تمل الأسماع من التكرار، إلى التشبيه في عدة مواضع من الخطبة كقولها (كمثل التي نقضت غزلها...) إضافة إلى كونه تشبيهاً قرآنياً مما يزيده جمالاً على جمال، وتشبيهها (كمرعى على دمنة) و(كقصة على ملحودة)، إضافة إلى غيره من الأساليب والأنواع مما يحتاج إلى بحوث كاملة لبيانها وبيان بلاغتها.

سابعاً: الاستخدام الدقيق للمفردات والصيغ؛ فهي عليها السلام عندما قالت: (فلا رقأت الدمعة ولا هدأت الرنة) جاءت بالدمعة والرنة التي هي الصيحة الحزينة عند البكاء مفردتين، وكان باستطاعتها أن تقول (فلا رقأت الدموع ولا هدأت الرنات)، ولكنها بقولها هذا زادت التقريع والتأنيب عليهم، ودعت عليهم أن لا تجف دمعة واحدة منهم ولا تهدأ لهم صيحة واحدة بل تزداد وتستمر، ولو قالتها جمعاً لم يكن لها الوقع الذي هي عليه بهذه الصورة، وحينما قالت (تبت الأيدي) فهي أشارت إلى اجتماع القوم على خذلان الحسين عليه السلام، وهذا ما نستفيده من قولها (فريتم، أبرزتم، سفكتم، انتهكتم...) فهي تتكلم بالصيغة الجمعية؛ لتبين أن المتخاذلين عن القتال مع الحسين هم مشتركون مع ابن زياد والشمر وابن سعد في الجريمة.

هذا غيض من فيض بحر بلاغة زينب بنت علي عليها السلام جاد به القلم، لعلّ الله يسهل لهذا الخزين الهائل من يستخرج لؤلؤه ومرجانه، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين■

---

١) الفتوح لابن أعثم: ١٢٢/٥.
٢) الحسين وبطلة كربلاء: ١٩٠-١٩١.
٣) السيدة زينب عقيلة بني هاشم: ١٥٨.
٤) من كلام الشريف الرضي في مقدمة نهج البلاغة.
٥) الكامل للمبرد: ١١٨٥-١١٨٦.
٦) كشف الغمة للأربلي: ٢٧٦/٢.
٧) الخفرة: شديدة الحياء.
٨) الأول: الوقاحة، والثاني: فساد الأخلاق، والثالث: الكراهية، والرابع: النجاسة.
٩) مرعى على دمنة، أي مكان اجتمع فيه دمن الحيوانات وفيه خضار قليل ظهر لونه، فهو لا يصلح للرعي بل هو وبيء المرعى منتن الأصل.
١٠) القصة: وهي الجص، فما فائدة الجص على القبر؟ وفي رواية (فضة على ملحودة)، وهاتان الصورتان جميلتان إذ أن ما فائدة الجص أو الفضة على ملحودة بعد أن يموت الإنسان ويبقى جثة هامدة تأكلها الديدان.
١١) مدرة: كنبر المقدم في اللسان.
١٢) أي: (أَتَى أَمْرُ اللّه).
١٣) أي: (وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِين).
١٤) الخوارزمي، مقتل الحسين عليه السلام: ٤٥/٢-٤٧.
١٥) النقدي، زينب الكبرى: ٥٩.
١٦) البلاغة والتطبيق: ٤٤٣.
١٧)ابن حجر العسقلاني، الصواعق المحرقة: ١٩٢، والدم العبيط: الطري غير النضيج.
١٨) الشيخ الطبرسي، الاحتجاج: ٣٤٨/٢، وبحار الأنوار: ١٦٤/٤٥.

ثمرات انعقاد المجلس الحسيني

أ.م.د. رزاق حسين الموسوي
كلية الفقه/جامعة الكوفة

ينابيع

ونحن نعيش أيام المحرم الحرام ، أيام عاشوراء، ذكرى استشهاد الإمام الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام، ابن الزهراء عليها السلام ريحانة المصطفى صلى الله عليه وآله[١]: (حسين مني وأنا من حسين أحبَ الله من أحبَ حسيناً، حسين سبط من الأسباط)[٢].

فنعيش أيام نهضة الإمام الحسين التي قامت ضد نظام بني أمية المتمثل آنذاك بنظام الطاغية يزيد، شارب الخمور، اللاعب بالقرود والفهود، المعلن بالفسق والفجور، كما يروي المؤرخون. كابن حجر وغيره[٣].. ويكفي يزيد (لع) خزياً وعاراً ما قاله ابنه (معاوية الثاني) عندما مات والده يزيد واصفاً إياه بقوله: (..... ومن أعظم الأمور علينا علمنا بسوء مصرعه، وبؤس منقلبه وقد قتل عترة الرسول، وأباح الخمر، وضرَبَ الكعبة)[٤].

ونحن إذ نعيش هذه الذكرى الأليمة الحزينة، وهذه الحالة المأساوية الفظيعة وهذا الانحطاط الشديد في نفوس المسلمين، إذ بَعْدُ لم تبلَ ملابس رسول الله صلى الله عليه وآله وما زال صوته يُدَوي في أسماعهم: (إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي)[٥] وقوله صلى الله عليه وآله: (حسين مني وأنا من حسين أحبَ الله من أحبَ حسيناً، حسين سبط من الأسباط)[٦].

أليست هذه نكبة تصيب المسلمين إذ يُقتل ابن بنت نبيهم ويُفعل به هذا الفعل الشنيع الذي تأباه كل المبادئ الإنسانية فضلاً عن المبادئ الإسلامية، ولم ينكر منهم أحد، إلا أفراد على عدد أصابع اليد، فأي انحطاط وصلت إليه النفوس، وأي

موت أمات تلك القلوب، وأي ذُلٍّ وخنوع عاشته تلك الجموع ؟!.

فنحن إذ نرفض هذا الخنوع والذل وهذا الانحطاط السحيق أولاً، ونعلن عن ولائنا لرسول اللهﷺ ولآله وخصوصاً لولده الحسينعليه السلام ولموقفه الأبي موقف العز والإباء موقف السمو والشموخ ثانياً. وإنه ليتم إعلان ولائنا ونصرتنا للحسين عليه السلام ورفضنا لانحطاط تلك النفوس وخنوعها وذلتها ولمن يمشي على ركبهم على مر الأزمان والدهور، رفضنا التام لذاك النظام الأموي المستهتر بكل مبدأ أقرته الأديان والإنسانية. ومن يسير على نهجه، وذلك عبر عدة موارد من أهمها : عقد مجالس العزاء على الحسينعليه السلام وذكر ما جرى عليه وعلى أهل بيته وأصحابه وما أصابهم ونبكي ونتباكى على ذلك، وعقد هذه المجالس تجنى منها ثمرات عديدة :

١- إعلان منا عن الولاء والمحبة والنصرة للإمام الحسينعليه السلام ابن بنت نبيناﷺ وهو إعلان عن نصرة الإسلام ونصرة نبي الإسلام وهو جد الحسينعليه السلام.

٢- إعلان منا عن السير على دينه ودين أبيه وجده المصطفى ﷺ مهما كلفنا من ثمن.

٣- بيان ما جرى عليهعليه السلام وعلى أهل بيته وصحبه وعياله وأطفاله من انتهاكات وجرائم مأساوية تتنافى مع كل المبادئ الإنسانية والدينية وإدانتها بأشد إدانة وإيصالها إلى كل الأجيال جيلاً بعد جيل .

٤- رفض الخنوع والذل والخضوع للظلم والاضطهاد مهما عظمت قوته واشتد ساعده.

٥- التمسك بمبادئ الدين والتضحية من أجله بالغالي والنفيس وفق الموازين الشرعية.

٦- التبري من النظام الأموي وممن يسير على دربه ونهجه.

٧- إظهار دجل الأمويين وانحرافهم ونفاقهم وكيفية وحشيتهم وعدائهم لرسول

الله ﷺ قبل فتح مكة وبعد استسلامهم بعد فتح مكة.

٨- كشف مؤامرات الأمويين ضد الإسلام والمسلمين .

٩- رفض الظلم والظالمين وكل الأنظمة الظالمة مهما عظمت شوكتها واستحكمت هيمنتها وسطوتها، اقتداء بالحسين عليه السلام، وعقد المجالس على الحسين عليه السلام تبقيه حيًا في القلوب وتنشر مبادئه التي ثار من أجلها وشعاراته التي هتف بها، كشعاره (وإن الدعي بن الدعي قد ركز بين اثنتين، بين السلة والذلة وهيهات منا الذلة .....) ولو قالوا: إن الإسلام لا يُجوّز البكاء على الميت، وإن البكاء على الميت يؤذيه فإن بكاءكم على الحسين يؤذيه ويُبعدكم عن رضا الله تعالى. فما هو جوابنا على هذه الشبهة أو على هذا الإشكال؟.

والجواب على ذلك:

أولاً: من قال إن الإسلام لا يُجوّز البكاء على الميت. فإنه لا دليل على ذلك.

ثانياً: لدينا أدلة كثيرة على رجحانه واستحبابه، فضلًا عن إباحته وجوازه.

ودليلنا على نحوين. دليل قرآني ودليل سنتي.

وقبل عرض الأدلة، ننبه إلى أن البكاء حالة غريزية في الإنسان متأصلة فيه، لا أنها حالة عارضة، وهو تعبير عن صفة الرحمة. ولهذا نقرأ عند علماء النفس والأخلاق أنهم لم يجدوا بين الصفات الإنسانية كلها صفة أفضل وأشرف من الرحمة ورقة القلب على الآخرين.

ولذا نجد القرآن الكريم يبين منة الله

سبحانه ولطفه ونعمته على الذين اتبعوا عيسى عليه السلام أن جعل في قلوبهم الرأفة والرحمة، فهذا قرآننا الكريم ينطق عن الحكيم جل وعلا: (**وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً**.....) (الحديد: ٢٧). ولذا استدعى هذا الأمر بعض الفلاسفة أن يعدلوا عن تعريف الإنسان بالحيوان الناطق إلى أنه (حيوان ذو عطف) وعليه فلا إنسانية مطلقاً بدون العطف على مصائب الآخرين وبدون الرحمة والرقة على آهات وأنات المظلومين . إذن البكاء على المظلومين والشهداء وعلى رأسهم الحسين عليه السلام أمر طبيعي وعقلائي وظاهرة فطرية في مقابل قسوة القلب والغلظة وموت الضمير. وهي أخطر الأمراض النفسية المعبر عنها بموت القلب وقسوته. وهذا ما ينطق به القرآن الكريم كذلك إذ هو يصف الأنبياء وذراريهم وأتباعهم أصحاب القلوب الحية المتنورة بالإيمان والتقوى بأنهم إذا سمعوا آيات القرآن الكريم يخرون ساجدين باكين، يقول سبحانه : (**أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَّةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِنْ ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا**) (مريم: ٥٨).

فالبكاء إذن حالة طبيعية غريزية في الإنسان تعبر عن صفة الرحمة والرقة وعن حياة القلب دون قسوته وغلظته. ولذا نجد القرآن الكريم ينكل باليهود ويعبر عن تنكيله وذمه لهم بأنهم قساة القلوب يقول سبحانه : (**ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ**

ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً.....) (البقرة: ٧٤).

ولنعد إلى بيان أدلة إباحة وجواز البكاء بل على رجحانه ومحبوبيته قرآناً وسنةً:

أولاً: الدليل القرآني على جواز البكاء على الحسين عليه السلام:

١- ما نص عليه القرآن الكريم من بكاء يعقوب لفراق ولده يوسف وهو حي في دار الدنيا حتى ذهب بصره وحتى قيل له: (**قَالُوا تَاللَّهِ تَفْتَأُ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ**) (يوسف: ٨٥). و(تَفْتَأُ) أي لا تزال ومعناه أنك دائماً تلهج بذكر يوسف عليه السلام[٧].. (حتى تكون حرضاً) والحرض المرض والهزال والإشراف على الهلاك أي حتى تصير مريضاً مهزولاً مشرفاً على الهلاك، أو المدنف الهالك من شدة الوجع[٨]. أو يُذيبك الهم[٩].

وأما الآية التي سبقت هذه الآية أي آية ٨٤ من (سورة يوسف) تبين عمق الألم وشدته حتى فقد يعقوب عليه السلام بصره من شدة بكائه على يوسف. يقول سبحانه: (**وَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسَفَى عَلَى يُوسُفَ وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ**) (يوسف: ٨٤). وابيضت عيناه: أي انقلب سواد عينيه بياضاً من كثرة البكاء[١٠]، أو انمحق سوادهما وبدل بياضاً من بكائه[١١].

ولذا روى الطبري في تفسيره عدة روايات مسندة فيها: أن يوسف عليه السلام سأل جبرئيل ما بلغ من حزن أبيه يعقوب؟ قال: حزن سبعين مثكلة أو ثكلى، والثكلى هي التي لديها ولد واحد ثم مات[١٢]. وروى الطبري في تفسيره أيضاً بسنده عن الحسن البصري قال : كان منذ خرج يوسف من عند يعقوب إلى يوم رجع ثمانون سنة لم يفارق الحزن قلبه، حتى ذهب بصره[١٣].. إن ملك الموت دخل على يعقوب عليه السلام فقال له أجئت لتقبضني قبل أن أرى حبيبي؟ فقال:لا. ولكن جئتُ لأحزن لحزنك وأشجو لشجوك[١٤].

وجاء في الكشاف و تفسير النيشابوري قيل : ما جَفت عينا يعقوب من وقت فراق يوسف إلى حين لقائه ثمانين عاماً، وما على وجه الأرض أكرم على الله من يعقوب[١٥].

وفي تفسير النيشابوري نقل أن جبرئيل عليه السلام دخل على يوسف حينما كان في السجن فقال: إن بصر أبيك ذهب من الحزن عليك. فوضع يوسف يده على رأسه فقال: ليت أمي لم تلدني، فلم أكن حزناً على أبي[١٦].

فهذا يعقوب المتبع لملة جده إبراهيم عليه السلام قد بكى على فراق يوسف السنين المتطاولة حتى ابيضت عيناه، وابنه حي في دار الدنيا وقد أُعطي ملك مصر.

٢- بكاء يوسف عليه السلام على أبيه يعقوب على ما لقي من وجد على فراقه وتمنيه إن لم يولد ـ كما سمعت آنفاً في رواية الطبري ـ أنه بكى لما كان في السجن ولم يلق أباه بعد. ورواية النيشابوري أنه وضع يده على رأسه فقال ليت أمي لم تلدني فلم أكن حُزناً على أبي.

٣- حزن ملك الموت لحزن يعقوب، وشجواه لشجوه، كما مر آنفاً في رواية الرازي فملك الموت حزن ليعقوب لما بكى على ولده وهو حي في دار الدنيا.

وياهل ترى البكاء على الحي أولى من البكاء على الميت أو البكاء على الميت أولى! وأيُ ميت هو! وأي قتيل هو! وأي شهيد هو!؟ هو الحسين ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسيد شباب أهل الجنة كما قال

الرسولﷺ: (الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة)[١٧]. فإنه لا يدل على جواز البكاء وحسب بل يدل على رجحانه و محبوبيته، وذلك لأننا نقتدي بالرسل والأنبياء، كما نستدل به على استمراريته، أي استمرار البكاء على الحسينعليه السلام ذلك لأنه مازال يعقوبعليه السلام بكى على ابنه ثمانين عاماً فإذا صح في الثمانين صح في المائة وإذا صح في المائة صح في المائتين وهكذا في الألف وفي الألفين.

ولهذا استدل الإمام زين العابدينعليه السلام على بكائه على أبيه الحسينعليه السلام كل تلك الفترة التي عاشها بعد أبيه الحسينعليه السلام ببكاء يعقوبعليه السلام على ولده يوسفعليه السلام وهو حي، فقد روي أنه سأله أحد أصحابه مشفقاً على الإمام زين العابدينعليه السلام مما رآه من شدة وجده وبكائه على الحسين عليه السلام فقال: (يا سيدي أما آن لحزنك أن ينقضي، ولبكائك أن يقل؟ فقال عليه السلام له: (ويحك إن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيمعليه السلام كان نبياً ابن نبي، كان له اثنا عشر ابناً، فغيبَ اللّه سبحانه واحداً منهم، فشاب رأسه من الحزن، واحدودب ظهره من الغم، وذهب بصره من البكاء، وابنه حي في دار الدنيا، وأنا رأيتُ أبي وأخي وسبعة عشر من أهل بيتي صرعى مقتولين، فكيف ينقضي حزني ويذهب بكائي؟!)[١٨] وأحب أن أنبه أن كل ما ذكرته من الروايات هي تفسير وتأييد للدليل القرآني■

---

١) (الحسن والحسين ريحانتاي من الدنيا). وهو رَوْحٌ من رسول اللّهﷺ. صحيح البخاري ج٣ ص١٣٧١ ح٣٥٤٣ . سنن الترمذي ج٥ ص٦٥٧.

٢) صحيح ابن حبان ج١٥ ص٤٢٨، المستدرك على الصحيحين . ج٣ ص١٩٤ حد٤٨٢٠.

٣) الصواعق المحرقة لابن حجر. ص١٣٤.

٤) نفس المصدر السابق.

٥) حلية الأولياء. ج١ ص٣٥٥.

٦) المستدرك على الصحيحين: ج٣ ص١٩٤ ح٤٨٢٠.

٧) صحيح البخاري الجزء الخامس في التفسير ٤ ص١٧٢٧.

٨) الإتقان ج١ ص٣٦٨.

٩) صحيح البخاري الجزء الخامس في التفسير ص١٧٢٧، ولسان العرب ج٧ ص١٣٤.

١٠) فتح القدير ج٣ ص٤٨ .

١١) السيوطي، تفسير الجلالين ج١ ص٣١٦، والآلوسي، روح المعاني. ج٣ ص٤٠ وص٨٠.

١٢) الطبري، تفسير الطبري ج١٣ ص٣٠، والسيوطي، الدر المنثور. ج٤ ص٥٠٧ .

١٣) الطبري، تفسير الطبري ج١٣ ص٣٢، والآلوسي، روح المعاني. ج١٣ ص٤٠.

١٤) تفسير الرازي في تفسيره. ج٥ ص ٢٣٨.

١٥) الزمخشري،الكشاف. ج٢، ص٤٥٠، بهامش تفسير الطبري. ج١٣ ص٤٢.

١٦) النيشابوري، تفسير النيشابوري. ج١٣ ص٤٤.

١٧) صحيح الترمذي ج٢ ص٣٠٦-٣٠٧، صحيح ابن ماجة ج٣ ص١٦٧، فضائل أصحاب النبي، والمستدرك على الصحيحين . ج١٣ ص١٦٧، ومسند احمد. ج٣ ص٨٢،٦٢،٣، خصائص النسائي . ص. ٣٦ .

١٨) بحار الأنوار ج٣ ص ٢٨٢ ج٥ ص١٤٩، وسائل الشيعة ج٣ ص ٢٨٢، اللهوف للسيد ابن طاووس. ص٢٠٩، مسكن الفؤاد. ص١٠٠ الباب الرابع من البكاء.

أثر الإعلام في انهيار جيش الإمام الحسن عليه السلام

بقلم :كريم جهاد الحسّاني/ مركز الأمير(ع) لإحياء التراث الإسلامي

ينابيع

في خضم الصراع العنيف القائم بين الحق والباطل على هذه الأرض الذي كانَ ولا يزال قائماً؛ وذلك للتنافر الواضح بينهما، وإن من أهم أدوات هذا الصراع (الإعلام) الذي هو بطبيعة الحال يُوَظّف لخدمة فكرة معينة يؤمن بها أصحابها أو يرون أنها وسيلة جيدة يتحقق بها وجودهم وتقوى شوكتهم وبذلك تتأكد مصالحهم.

وحيثُ أن الإعلام كان له تأثير مهم في جميع ميادين الحياة، فقد اتخذنا من بحثنا هذا تأثيره على الصعيد العسكري في ميدان الحروب، ودوره في تفتت وانكسار الجيوش مهما كانت الشخصيات القيادية التي تتصدر تلك الجيوش، وكان أنموذجنا على حقبة مهمة من تاريخ الحروب الإسلامية جمع بين الجيش العراقي بقيادة الإمام الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام في العراق، والجيش الشامي بقيادة معاوية بن أبي سفيان في الشام.

وليس من المبالغة القول بأنَّ الإعلام لعبَ دوراً كبيراً في تمزيق جيش الإمام الحسن عليه السلام وانكساره؛ إذ فرضَ نفسه على الرغم من القيادة الإمامية الإلهية المتمثلة بالحسن بن علي عليه السلام ذلك الإمام الهُمام حفيد رسول الله محمد عليه السلام، الوريث والخليفة الحقيقي لهذه الأُمة التي خذلته في ساحة الحرب أمام جيش الشر والطغيان الأموي، ممّا أدى بالإمام عليه السلام أن يمضي الصلح المعروف وينهي تلك الحرب حفاظاً على البقية الباقية.

المنظومة الإعلامية الأموية ضد الإمام الحسن عليه السلام

يُقال إنّ الوسائل الإعلامية تُشكّل في آنٍ واحد صناعة وخدمة عامة ومؤسسة سياسية[١]. وفي الواقع جميعها. لذلك فإنّ السياسة الأموية لم تدّخر وسعاً في ولادة هذه الصناعة والعمل على تشكيل هذه المؤسسة ودعمها بكل الوسائل؛ لأنها تقوم بتثبيت عرشها على وجه الأرض. وقد عمدت هذه المنظومة إلى اتخاذ عدة وسائل مهما كانت النوعية لإجهاض كل من يقف أمام مصالحها.

وكانت الدعاية هي إحدى أهم أدوات هذه المنظومة التي كان من المفترض أن تعتمد على الحقائق إلاّ أنها كانت تعتمد على خطط وأُسس ومناهج غير واقعية غايتها التسقيط. فكانت الركيزة التي تعتمدها أجهزة الدعاية الأموية توحيد الجهد الدعائي نحو (التضليل) الذي دأبت من خلاله دوماً إلى طرق كافة السبل لتحقيق الأهداف، وقد حذّرَ الإمام علي عليه السلام المسلمين من الدعايات المُضللة التي تبثها أجهزة الإعلام الأموي الداعية إلى إبعاد الناس عن أهل البيت عليهم السلام، وقد جاء ذلك في إحدى خطبه الرائعة قائلاً: (نحن حزب الله الغالبون، وعترة رسوله الأقربون وأهل بيته الطيبون الطاهرون، وأحد الثقلين اللذين خلفهما رسول الله صلى الله عليه وآله في أمته، والثاني كتاب الله فيه تفصيل كل شيء لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، فالمعول علينا في تفسيره لا نتظنّى تأويله بل نتيقن حقائقه فأطيعونا، فإن طاعتنا مفروضة إذ كانت بطاعة الله عز وجل وبرسوله مقرونة قال الله تعالى: **(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللهِ وَالرَّسُولِ)** (النساء: ٥٩)، **(وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُوْلِي الأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ)** (النساء:٨٣)، وأحذركم الإصغاء لهتاف الشيطان فإنه لكم عدو مبين)[٢]. أليس هذا الإعلام هو الذي بثَّ في الناس

أنّ علياً لا يُصلي، وأنه قتل عثمان ؟ لقد أخذ هذا الإعلام مداه حتى إن الأمر قد التبس عند عدد من الصحابة، فهذا زيد بن الأرقم يقول لأمير المؤمنين عليه السلام، أنشدك الله، أنت قتلت عثمان؟ فأطرق علي ساعة، ثم قال: والذي فلق الحبة وبرأ النسمة ما قتلته ولا أمرت بقتله[٣].

لذلك فإن من الصفات الواضحة التي ارتكزت عليها الدعاية الأموية هي صفة (الكذب)، وحاولوا من خلال الإذاعة النفاقية تمرير الأحاديث المُلّفقة والمزورة في أذهان المسلمين، وكان اعتمادها الأساس في ذلك هو التأثير على الجماهير من خلال إظهار صورة الحدث دون إعطاء تعليل له وإبراز المحسوس العنيف على ما هو خاضع للعقل، فإنها لا تقوم على أساس علمي؛ بل تقوم على لفت السواد الأعظم من خلال التوجيه إلى قلوب الناس قبل عقولهم .

ولم يكتفِ الإعلام الأموي باللعب على أوتار البدعة ولزوم الباطل بل بعث إلى الأمصار من الجواسيس والعيون مَن يحملون إذاعته ويخبرونه باتجاه المجتمع ونيّاته، ومدى إخلاصه لآل البيت عليهم السلام، كما يقومون بعمليات الإرهاب والتخويف من أجل شق صف الأمة والوقوف ضد الإسلام الحقيقي المتمثل بمحمد وآل محمد صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، ولم يألوا جهداً في سبيل توجيه الضربات الماحقة لهم، ولكل ما يتصل بهم من قريب أو بعيد.

الوصف العام للجيش العراقي: (معسكر الإمام الحسن عليه السلام)

يوصف الجيش بأنه العماد الذي يقوم عليه عرش الدولة، وهو السياج الواقي للشعب من أي اعتداء خارجي، وكذلك المعوّل عليه في حفظ النظام وسيادة الأمن، هذا إذا كان مخلصًا في دفاعه ومؤمناً بحكومته، أما إذا كان خائناً، فإنه سوف يُهزم أمام أي إعلام مُضلل من قبل الأعداء .

لذلك فقد وصفَ الجيش العراقي الذي كان تحت مظلة الإمام الحسن عليه السلام إنه جيش قد رَكَزَ في الفتنة، وماجَ في الشقاء، إذ وصفه الشيخ المفيد رحمه الله وقسمّهُ إلى عناصر، قائلاً: (واستنفر الناس للجهاد فتثاقلوا عنه، ثم خفَّ معه أخلاطٌ من الناس بعضهم شيعة له ولأبيه عليه السلام، وبعضهم محكمّة يؤثرون قتال معاوية بكل حيلة، وبعضهم أصحاب فتن وطمع في الغنائم، وبعضهم شكاك، وبعضهم أصحاب عصبية اتبعوا رؤساء قبائلهم لا يرجعون إلى دين) [٤].

سقوط القائد الأول:

حاول الإعلام المضلل الأموي تكثيف جهوده من أجل إيجاد حالة التدابر وانشطار المواقف في صفوف جيش الإمام الحسن عليه السلام، كما استطاع الإعلام أن يستميل بعض عناصر هذا الجيش إلى الصف الأموي.

كان الإمام الحسن عليه السلام قد أسند القيادة العامة إلى عبيد الله بن العباس؛ لما له من القدرة والحزم ما يجعله أهلاً لهذا المنصب الرفيع، فهو قد تربّى في مدرسة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام وحريٌّ بأن يخلص ويبذل قصارى جهوده في المعركة؛ لأنه موتورٌ من قِبل معاوية فلقد قتل ولديه بسر بن أبي أرطأه. وجعلَ الإمام عليه السلام إلى جانب عبيد الله مشاورين

من خلّص أصحابه الباسلين والماهرين وهم : قيس بن سعد بن عباده، وسعيد بن قيس الهمداني، وجهزه بجيش قدره اثني عشر الفاً[٥].

وانطلق عبيد الله يطوي البيداء مع الجيش حتى انتهى إلى منطقة (شينور)[٦]، ومنها خرج إلى (شاهي)[٧]، فلزم الفرات والفلوجة حتى وصل إلى مسكن، فاستقام فيها وقابل العدو وجهاً لوجه، هنالك قام معاوية بدوره من خلال عملياته الإعلامية التخريبية من أجل تمزيق وحدة الصف العسكري، فكانت باكورة الدسائس الخطيرة في إفساده مقدّمة جيش الإمام عليه السلام أن بعثَ الجواسيس، ونشر العيون ليذيعوا الذعر والإرهاب، وبث فيها العصيان والتمرّد، ويقومون بخذلان الجيش[٨].

وكانت دعايتهم ذات طابع واحد وهي: (إنّ الحسن يُكاتب معاوية على الصلح فَلِمَ تقتلون أنفسكم؟)[٩]. وتركت هذه الموجه من الافتراء الإعلامي اضطراباً فظيعاً، وخوفاً بالغاً في النفوس، وأحدثت تمرّداً شاملاً في جميع الوحدات العسكرية.

وبعد أن أخذ التمرّد يسري في جيش عبيد الله عَمِلَ معاوية لاستكمال خطته الإعلامية علَى مد أسلاك مكره لإسقاط قائد المعسكر عبيد الله بن العباس بأن راسله ليخدعه ويمكر به، فكانت رسالته التي بعثها إليه تنمُّ عن الغدر والخديعة، وهذا ما نصه: (إن الحسن راسلني في الصلح، وهو مُسلّم الأمر إليَّ، فإن دخلت في طاعتي الآن كنت متبوعاً، وإلّا دخلت وأنت تابع، ولك إن أجبتني الآن أن أُعطيك ألف ألف درهم، أُعجّل لك في هذا الوقت نصفها، وإذا دخلت الكوفة النصف الآخر)[١٠].

وتمثلَ الكذب الصريح، والمكر السافر في قوله: (إن الحسن قد راسلني في الصلح). إن الإمام متى راسله في الصلح!!. فغزا معاوية برسالته مشاعر عبيد الله، فقد أخذ يُطيل التفكير في ارتكاب الجريمة والخيانة، وتمثّلت أمامه المغريات التي عرضها عليه معاوية، فسوّلت له نفسه الأثيمة بالغدر ونكث العهد، وقد خان بذلك ثُقل رسول الله صلى الله عليه وآله، وترك حكومة الحق والهدى، فتسلل في غَلس الليل إلى معاوية ومعه ثمانية آلاف من الجيش[١١]. فقد أدت خيانته إلى زعزعة الجيش وتفلل وحداته واضطرابه.

إن هذه الخطة الإعلامية الخبيثة التي سلكها معاوية كانت من أهم الأسباب التي مهدت نجاحه وفوزه بالموقف، وتغلّبه على الأحداث، فقد سببت اندحار الجيش العراقي، وقضت على عزائمه، وفتح هذا السلوك الإعلامي باب الخيانة والغدر على مصراعيها.

الإذاعة الأموية واضطراب الجيش:

بعد هذا الاندحار المفاجيء للجيش أصبحت البقية الباقية منه تُفتش عن قائدها ليُصلّي بها صلاة الصبح، ولمّا علمت خيانته وغدره والتحاقه بالعدو اضطربت أشد الاضطراب، وماجت في الفتن، وارتطمت بالنزاع والخلاف. ولمّا رأى قيس بن سعد بن عباده المستشار الأول للقائد الخائن آثار الغدر والخيانة من الفتن السود قد ضربت أطنابها على الجيش قام فصلى بهم صلاة الصبح، وانبرى الجيش بجميع كتائبه فأعلن التأييد والخضوع له، وتسلّم قيس القيادة بنص

الإمام عليه السلام، وبالترشيح من جميع القوات المسلحة[١٢]. ولمّا عَلِمَ معاوية بإسناد قيادة الجيش العراقي إلى قيس بن سعد فتح إذاعته الإعلامية من جديد؛ لكي يُنهي على القطعات العسكرية المتبقية، فأرسل عيونه وخواصّه ينشرون الأكاذيب، ويبثّون الإرهاب في جميع كتائب الجيش، سواء المقيمة في المدائن أو في مسكن، وكانت تلكم الإشاعات ذات صور وهي:

أولا: إذاعتهم في (المدائن) أن قيس بن سعد قد صالح معاوية وصار معه[١٣]، ولم يشك الجيش في صدق هذه الدعاية، فإن عبيد الله بن العباس الذي هو أقرب الناس رَحماً بالإمام الحسن عليه السلام قد غدر به وخانه، فكيف بغيره.

ثانيا: الإعلان في (مسكن) عن قيام الإمام الحسن عليه السلام بالصلح مع معاوية[١٤].

ثالثا: نشر الدعايات الكاذبة في (المدائن) أن قيس بن سعد قد قُتل فانفروا[١٥].

ومزّقت هذه الصور الإعلامية الثلاث أعصاب الجيش، وأماتت نشاطه العسكري، وأصبح متفككاً تسوده الفتن والأهواء، فأوجبت انهياره، وأصبح لا لياقة له في مواجهة الأحداث، ولا قابلية له على الدفاع ورد العدوان الأموي الذي يتمتع بأحسن القابليات وأضخم الطاقات.

الإمام عليه السلام يودّع الكوفة للقتال:

حينما انتهى إلى الإمام الحسن عليه السلام كل هذه الأنباء المؤسفة من الخيانة والغدر واضطراب جيشه اُترعت نفسه الشريفة بالآلام والهواجس، فنزحَ من عاصمته الكوفة مع نفر من أخلاط الناس، وأخذ في مسيره حتى أتى دير كعب في (مُظلم ساباط)[١٦] فاستقوا فيه، ولمّا عَلِمَ معاوية وصول القطعات العسكرية بقيادة الإمام الحسن عليه السلام إلى هذه المنطقة، أخذ يعبث فساداً في الجيش من خلال استمرار قنواته الإعلامية الفاسدة، فأرسل عبد الله بن عامر ليبث الخوف والجزع في نفوس العراقيين، فانطلق عبد الله فنادى بأعلى صوته بين صفوف الجيش العراقي: (يا أهل العراق، إنّي لم أرَ القتال، وإنما أنا مقدّمة معاوية، وقد وافى الأنبار في جموع أهل الشام، فأقرئوا أبا محمد ـ يعني الإمام الحسن عليه السلام ـ عني السلام وقولوا له : أنشدك الله في نفسك، وأنفس هذه الجماعة التي معك)[١٧]. وحينما سمعوا ذلك داخلهم الخوف والرهبة إلى حد لا سبيل إلى تصويره، وأخذ بعضهم يخذل بعضًا، وسئموا القتال، وكرهوا الحرب. بعدها اتجّه معاوية إلى قناة إعلامية أخرى، وهي مراسلة جمع من الأشراف والوجوه البارزين في العراق لشراء ضمائرهم، فاستجابت تلك النفوس المريضة إلى دعوى معاوية، وانجرفت بدنياه الحلوة، وانخدعت بوعوده المعسولة، فأخذت تتهاوى على أعتابه مُلبّية طلباته، وممتثلة لأمره في الفتك بالإمام عليه السلام وتسليمه له سراً أو جهراً، واغتياله وقتله متى أراد ذلك. ولكي يكمل معاوية مُسلسلهُ هذا بعث بتلكم الرسائل إلى الإمام عليه السلام ليطلّع فيها على خيانة جيشه، وعندما عرضت عليه تلك الرسائل أيقن بفسادهم وتخاذلهم وسوء نياتهم؛ لذلك كان الإمام الحسن عليه السلام حينها لا يتقدم للصلاة إلّا وهو متقلداً درعه خشيةً من الفتك به[١٨]، إذ دسّ معاوية عيونه في جيش الإمام عليه السلام ليذيعوا أن الزعيم قيس بن سعد قد

قُتلَ، فإنهم حينما سمعوا ذلك نهب بعضهم بعضاً حتى انتهبوا سرادق إمامهم وقائدهم الإمام الحسن عليه السلام، فنزعوا بساطاً كان الإمام عليه السلام جالساً عليه واستلبوا منه رداءه[١٩].

ولمّا أرسل معاوية المغيرة بن شعبة وعبد الله بن عامر وعبد الرحمن بن الحكم إلى الإمام عليه السلام ليفاوضوه في أمر الصلح، وعند خروجهم من عنده أخذوا يبثّون بين صفوف الجيش الدعايات المغرضة لإيقاع الفتنة فيه قائلين: (إنّ الله حقن الدماء بابن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله، وقد أجابنا إلى الصلح)، ولمّا سمعوا بمقالتهم اضطربوا اضطراباً شديداً، ووثبوا على الإمام عليه السلام فانتهبوا مضاربه وأمتعته[٢٠]. وخيّم الجهل على قلوب ذلك الجيش، وبلغ من طيشه وجهله أنّ بعضهم حكم بتكفير حفيد نبيّهم وقائدهم، فلقد انبرى له الجراح بن سنان الذي أراد قتله قائلاً:

(أشركت يا حسن كما أشرك أبوك من قبل!).

لذلك فإن القنوات الإعلامية الفاسدة التي فتحها معاوية ضد قائد القوات المسلحة للجيش العراقي الإمام الحسن عليه السلام كانت كفيلةً بأن تحصل على الغلبة في المعركة، وتحصد الكثير من الانتصارات، وتعمل على انحلال الجيش مهما كان حجمه وقوته والقضاء على أصالته، ومن البديهي أن القوى العسكرية قلب الدولة ومصدر حمايتها، فإذا أُصيب بمثل هذه الخطوب والأخطار فهل يتمكن القائد الأعلى أن يُحقق أهدافه أو يفتح باب الحرب مع القوى المعادية له؟! ■

---

١) برتراند، كلودجان، أدبيات الإعلام، ترجمة: رباب العابد، ص٧ .
٢) المفيد، محمد، الأمالي، ص٣٤٩.
٣) النيسابوري، أبي عبد الله الحاكم، المستدرك، ج٣، ص ١٠٦.
٤) المفيد، محمد، الإرشاد، ج، ص١٠.
٥) آل ياسين، راضي، صلح الحسن، ص٩٦.
٦) شينور : بالكسر، موضع تقع بين بابل والكوفة. معجم البلدان، ج٣، ص٣٨٦.
٧) شاهي: موضع قرب القادسية. المصدر نفسه، ج٣، ص٣١٦.
٨) للاطلاع ينظر: الإمام الحسن بن علي، القرشي، ج١١، ص٩٤-٩٥.
٩) شرح ابن أبي الحديد، ج١٦، ص٤٢.
١٠) المصدر نفسه، ج١٦، ص٤٢.
١١) ينظر: تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص١٩١.
١٢) الإمام الحسن بن علي عليه السلام، القرشي، ج١١، ص٩٨.
١٣) البداية والنهاية، ج٨، ص١٤.
١٤) تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص١٩١.
١٥) الدميري، كمال الدين، حياة الحيوان الكبرى، ط الثانية، ج١، ص٨٨.
١٦) مظلم ساباط: موضع بالقرب من المدائن في العراق. معجم البلدان، ج٥، ص١٥٢.
١٧) الدينوري، أحمد، الأخبار الطوال، ص٢١٧.
١٨) ينظر: ابن شهر اشوب، محمد، مناقب آل ابي طالب، ج٣، ص١٩٥. أيضا: الأربلي، علي، كشف الغمة في معرفة الأئمة، ج٢، ص١٣٨. الصدوق، محمد، علل الشرائع، ج١، ص٨٤.
١٩) تاريخ الأمم والملوك، ج٤، ص١٢٢. البداية والنهاية، ج٨، ص١٤.
٢٠) تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص٢١٥. شرح ابن أبي الحديد، ج١٦، ص٤١.

الإمام الرضا عليه السلام وذكر الإمامة

بقلم سكرتير التحرير

ينابيع من مصادر دراسة تاريخ وفكر الإمام الرضا عليه السلام وتتبع آثاره كتاب (عيون أخبار الرضا) للشيخ الأقدم والمحدث الأكبر الشيخ الصدوق محمد بن علي بن بابوية القمي (ت ٣٨١هـ)، حيث جمع هذا الكتاب المرويات الخاصة في تاريخ الإمام عليه السلام وحياته سواء من الناحية المذهبية أو الفقهية أو السياسية والاجتماعية، ودور الإمام في توجيه الأمة الإسلامية، والموقع الذي احتله الإمام عليه السلام وغير ذلك الروايات الدالة على سعة علمه عليه السلام وفي بيان خصائص الإسلام والدفاع عن العقيدة، فترى في هذا الكتاب مواضيع متفرقة ضمت علوماً مختلفة وآثاراً صدرت منه عليه السلام، فتلاحظ أحاديث في التوحيد، أو مناظرته مع أهل الأديان، أو هناك مجالس للإمام عليه السلام مع أهل الملل والمقالات في عصره، أو حديثه عليه السلام عن عصمة الأنبياء، أو حديثه عن مسائل فقهية أو روايات تشير إلى رده عليه السلام على الغلاة والمفوضة، وغير ذلك من أبواب الكتاب المختلفة التي تشير إلى علم الإمام عليه السلام ومرتبته ومخزونه الثري لأجل حاجة الدين وإسعاد الناس وتنظيم حياة المجتمع الإنساني ما بين المبدأ والمعاد.

ومن المواضيع التي وقفنا عليها لأجل هذا البحث هو الرواية الواردة في باب (٢٠) من ج١، ص٢١٦ من كتاب عيون الرضا عليه السلام في (ما جاء عن الرضا عليه السلام في وصف الإمامة والإمام وذكر فضل الإمام ورتبته) حيث أن مسألة الإمامة من الأمور المهمة التي ورد بيانها والدفاع عنها في تاريخ الموروث الشيعي ومنظومته الفكرية، وهي من المسائل المهمة التي

حدث الاختلاف فيها بعد رسول الله صلى الله عليه وآله، وقد ألّف علماء الإمامية فيها المؤلفات والكتب في الدفاع عن هذه العقيدة سواء من القدماء أو المتأخرين، وعلماء الإمامية بدورهم استلهموا ما ورد عنهم عليهم السلام في بيان ذلك. ونحن هنا إذ نذكر بعض المقاطع من هذه الرواية لبيان بعض المطالب التي تنسجم مع مساحة هذا البحث.

وردت هذه الرواية بسند الشيخ الصدوق إلى (عبد العزيز بن مسلم) بطريقين ذكرهما بنفس الباب، والثاني منهما وقع في إسناده الشيخ محمد بن يعقوب الكليني بطريقه أيضاً إلى عبدالعزيز بن مسلم، وعلى هذا فالكليني يكون راوياً لتلك الرواية ونقلها في كتابه أصول الكافي (ج١ ص١٩٨ الباب: ١٥، من كتاب الحجة الحديث[1]. وعبدالعزيز بن مسلم يقول فيه السيد الخوئي قدس سره: (من أصحاب الرضا عليه السلام رجال الشيخ(٤٧)... روى هو عن الرضا عليه السلام رواية مبسوطة شريفة فيها بيان مقام الإمام عليه السلام وإن منزلة الإمامة منزلة الأنبياء وأنها خلافة الله وخلافة الرسول صلى الله عليه وآله ومقام أمير المؤمنين عليه السلام وميراث الحسن والحسين عليهما السلام، وفيها الاستدلال بالآيات على انحصار الإمامة في المعصومين(صلوات الله عليهم أجمعين))[1].

ومما ورد في تلك الرواية عن عبدالعزيز بن مسلم قال: (كنا في أيام علي بن موسى الرضا عليه السلام بمرو، فاجتمعنا في مسجد جامعها في يوم الجمعة في بدء مقدمنا، فإذا رأى الناس أمر الإمامة وذكروا كثرة اختلاف الناس فيها، فدخلت على سيدي ومولاي الرضا عليه السلام فأعلمته ما خاض الناس فيه).

هنا قول الراوي (فدخلت) لعل الفاء هنا هي العاطفة للتعقيب، وهي الرابطة للكلام لما قبلها بما بعدها، وما قبلها فيه نوع من الغموض، فالراوي يقول: (فإذا رأى الناس أمر الإمامة... فدخلت على سيدي ومولاي) وقصدي من ذلك أن هذا السياق غير

واضح وما في أصول الكافي أوضح منه حيث العبارة هناك: (فأرادوا أمر الإمامة وذكروا كثرة اختلاف الناس فيها)[٢].

ومدينة مرو المذكورة في هذه الرواية لعلها هي (مرو الشاهجان) ومعنى الشاهجان روح الملك، وهي على مقربة من نيسابور مسيرة اثني عشر يوماً، وهذه المدينة كانت مقام المأمون لما كان بخراسان، ومنها ظهرت دولة بني العباس[٣].

ثم قال الراوي (فتبسم عليه السلام ثم قال: يا عبدالعزيز جهل القوم وخدعوا عن أديانهم، إن الله تبارك وتعالى لم يقبض نبيه صلى الله عليه وآله حتى أكمل له الدين وأنزل عليه القرآن فيه تفصيل كل شيء، بين فيه الحلال والحرام والحدود والأحكام وجميع ما يحتاج إليه كاملاً، فقال عزّوجلّ: (**مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ**) (الانعام:٣٨)، وأنزل في حجة الوداع وهي آخر عمره صلى الله عليه وآله: (**الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا**) (المائدة: ٣)، وأمر الإمامة من تمام الدين، ولم يمض صلى الله عليه وآله حتى بين لأمته معالم دينهم وأوضح لهم سبيلهم وتركهم على قصد الحق وأقام لهم علياً عليه السلام علماً وإماماً وما ترك شيئاً تحتاج إليه الأمة إلا بينه، فمن زعم أن الله عزّوجلّ لم يكمل دينه فقد رد كتاب الله عزّوجلّ، ومن ردّ كتاب الله تعالى فهو كافر، هل يعرفون قدر الإمامة ومحلها من الأمة فيجوز فيها اختيارهم، إن الإمامة أجلّ قدراً وأعظم شأناً وأعلى مكاناً وأمنع جانباً وأبعد غوراً من أن يبلغها الناس بعقولهم أو ينالوها بآرائهم أو يقيموا إماماً باختيارهم)، وقوله عليه السلام: (جهل القوم وخدعوا عن أديانهم) ففي أصول الكافي ورد (وخدعوا عن آرائهم)، وفي هذا المقطع الذي نقلناه أشار الإمام عليه السلام إلى مفهومين: (إكمال الدين، وأن الإمامة من تمام الدين)، وإذا لم يكن كاملاً أو تاماً فهو ناقص، فالنقص يطرح تارة مقابل التمام وتارة مقابل الكمال، والنقص مقابل التمام يعني فقدان بعض الأجزاء، فالكتاب الناقص هو الذي فقد بعض الأجزاء، فالكتاب الناقص هو الذي فقد بعض فصوله أو بعض صفحاته، وكما هو الحال في الصلاة الناقصة أو التامة، فالنقص في مقابل التمام يستخدم حينما يكون المورد والموضوع فيه فقدان لبعض أجزائه، ولكن النقص مقابل الكمال يدل على شيء آخر بمعنى أن ذلك الشيء حتى يكون كاملاً عليه أن يطوي ويستوفي جميع مراحله وإمكانياته، فمثلاً الوليد يولد وهو تام الخلقة لأن أعضاءه لم ينقص منها شيء إلا أنه ينتظر منه في المستقبل أن يطوي مراحل المشي والتكلم وأن يتعلم حتى يتكامل، فهو فاقد لهذه الأمور الآن، بمعنى أنه لم يصل إلى مرحلة كماله الممكنة ومن هنا يتضمن مفهوم الكمال مفهوم الارتقاء، ويبدو أن الآية الشريفة (**الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي**) استخدمت كلمة (الكمال) و(التمام) بحكم صدق المفهومين معاً، فمن حيث أن الدين بوصفه حقيقة متكاملة قد تكامل ووصل إلى أوج كماله من خلال تعيين حكم القيادة المعنوية والاجتماعية التي تمثل روح الدين، هذا من ناحية، ومن حيث أن الدين مجموعة من الأحكام والتكاليف، وموضوع القيادة والإمامة أحد هذه الأحكام والتكاليف، فقد تم الدين بمجيء وتحديد هذا التكليف ولم يبق هناك تكليف آخر[٤].

والإمامة في اللغة هي الرئاسة، وكل من

يتصدى لرئاسة جماعة يسمى الإمام سواء كان في طريق الحق أو الباطل، والقرآن استعمل مصطلح (أئمة الكفر) وأطلقه على رؤساء الكفار.

وفي مصطلح علم الكلام الإمامة هي الرئاسة والقيادة العامة الشاملة على الأمة الإسلامية في كل الأبعاد والجوانب الدينية والدنيوية[٥].

وهذه الرئاسة في رأي الشيعة إنما تكون شرعية فيما لو كانت من قبل الله تعالى ولا يكتسب أي شخص مثل هذا المقام إلا إذا كان معصوماً عن الخطأ في بيان الأحكام والمعارف، ومنزهاً عن الذنوب والمعاصي، وفي الواقع أن الإمام المعصوم يمتلك كل مناصب النبيصلى الله عليه وآله سوى تلقي الوحي والإتيان بالشريعة، وأحاديثه حجة في بيان الحقائق والأحكام والمعارف الإسلامية، وكذلك تجب طاعة أوامره وأحكامه في مختلف القضايا، ومن هنا فإن خلاف الإمامية مع غيرهم يدور في ثلاث محاور:

(١) لابد من نصب الإمام وتعيينه من قبل الله تعالى.

(٢) أن يكون مصاناً من الخطأ وله العلم الموهوب من الله تعالى.

(٣) أن يكون معصوما من المعصية[٦].

ومن هنا نرى التأكيد الواضح في هذه الرواية على أهمية تلك المسألة، وأنها من تمام الدين ولا يمكن التفريط بها وإن اختيار الناس لها ونصبهم الخليفة من خلال إمكانياتهم البشرية والعقلية لا يمكن أن يكون، وأنها خلافة إلهية، كما أشار الإمامعليه السلام إلى علم الإمام ومواهبه وفضله وعصمته وغير ذلك من الأمور.

لقد كان للنبيصلى الله عليه وآله منصب النبوة والرسالة وتعليم الأحكام وتبيانها وقيادة الأمة الإسلامية والولاية عليها، والقضاء والقيادة والعسكرية وغيرها، ومعروف أن الدين الإسلامي كما اشتمل على العبادات والمعارف الأخلاقية فهو مشتمل على الأحكام الحقوقية والاقتصادية والسياسية وغيرها والنبيصلى الله عليه وآله كان مكلفاً من الله تعالى بتنفيذ الأحكام والتشريعات وتطبيقها، ومن البديهي أن الدين الذي يدعي قيادة البشرية كلها حتى نهاية العالم لا يمكنه أن يهمل تلك المسائل والقضايا ولا يمكن للمجتمع القائم على أساس هذا الدين أن يفقد هذه الأمور والمسؤوليات، ومن هنا كان عنوان الإمامة شاملاً لها جميعاً لقيادة البشرية وإيصال الناس وهدايتها إلى المطلوب[٧].

ثم يقول الإمام الرضاعليه السلام في تلك الرواية: (إن الإمامة خص الله بها إبراهيم الخليلعليه السلام بعد النبوة والخِلّة مرتبة ثالثة وفضيلة شرفه وأشاد بها ذكره، فقال عزّ وجل: **(إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَاماً)** فقال الخليلعليه السلام سروراً بها: **(وَمِن ذُرِّيَّتِي)** قال الله عزّوجل: **(لاَ يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ)** (البقرة:١٢٤)، فأبطلت هذه الآية إمامة كل ظالم إلى يوم القيامة، وصارت في الصفوة، ثم أكرمه الله عزّوجل بأن جعلها في ذريته أهل الصفوة والطهارة، فقال عز وجل: **(وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَكُلّاً جَعَلْنَا صَالِحِينَ* وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلاَةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ)** (الأنبياء:٧٢-٧٣) فلم يزل في ذريته يرثها بعض عن بعض قرناً فقرناً حتى ورثها النبي الخاتم صلى الله عليه وآله فقال الله عزّوجل: (إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ

لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَـذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُواْ وَاللّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ) (آل عمران: ٦٨) فكانت له خاصة فقلدها ﷺ علياً بأمر الله عزّوجل على رسم ما فرضها الله عزّوجل).

هنا في هذا المقطع يشير إلى أن الإمامة من أهم الحقائق التي وقف عندها القرآن وأولاها عناية خاصة، حيث بيّن أنها المقام الإلهي الذي لم ينله إبراهيم عليه السلام إلا بعد مقام النبوة والخلّة، وهذه الإمامة كما وضحها القرآن وبينتها النصوص الروائية هي غير الإمامة السياسية التي انطلق منها جمهور المسلمين من غير الشيعة، أي تتحكم بها العوامل الاجتماعية ويقوم الناس بتعيين تلك الخلافة والإمامة، حين يقوم الخليفة بتصدر هرم السلطة في النظام الإسلامي. ولكن من أهم خصائص الإمامة في القرآن أن القرآن كلما تعرض لها تعرض معها لذكر الهداية (**وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا**) (الأنبياء: ٧٣)، فهذه الهداية لا تقع إلا بأمر الله تعالى فكما أن النبي ﷺ رابط بين الناس وبين ربهم في أخذ الشرائع الإلهية وتنشر منه إلى الناس فيكون دليلاً إلى الإعتقادات الحقة والأعمال الصالحة، والإمام أيضاً فهو الرابط بين الناس وبين ربهم في إيصال الناس إلى المطلوب والتبليغ لأحكام الله تعالى لأن عصر التشريع انتهى بوفاة النبي ﷺ.

ثم يقول الإمام عليه السلام: (فصارت في ذريته الأصفياء الذين آتاهم الله العلم والإيمان بقوله عزّوجل: (**وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ اللهِ إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ**) (الروم: ٥٦) فهي في ولد علي عليه السلام خاصة إلى يوم القيامة، إذ لا نبي بعد محمد ﷺ فمن أين يختار هؤلاء الجهّال؟!

إن الإمامة هي منزلة الأنبياء وإرث الأوصياء، إن الإمامة خلافة الله عزّوجل...)

هنا يشير الإمام عليه السلام إلى أن الإمامة هي خلافة الله عزّوجل وهذا المعنى وردت فيه الرواية عن النبي ﷺ بحق الإمام المهدي عليه السلام، منها: أخرج أبو نعيم عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: (يخرج المهدي وعلى رأسه عمامة فيأتي منادٍ ينادي: هذا المهدي خليفة الله فاتبعوه)[٨] ■

---

١) معجم رجال الحديث ج١١ ص٣٩ رقم ٦٥٧٨.
٢) أصول الكافي كتاب الحجة ج١ص١٩٨ الباب(١٥) الحديث(١).
٣) انظر أوضح المسالك إلى معرفة البلدان والمسالك، محمد بن علي البروسوي (ت٩٩٧هـ).
٤) انظر أصول الفلسفة والمنهج الواقعي للسيد الطباطبائي تعليق مرتضى المطهري، ج٢ ص٣٨٥.
٥) انظر محاضرات في الإلهيات جعفر السبحاني ص٣٤٣ موسعة الإمام الصادق عليه السلام.
٦) دروس في العقيدة الإسلامية/ محمد تقي مصباح اليزدي ص٢٧٦.
٧) م.ن/ ص٢٧٤.
٨) العرف الوردي في أخبار المهدي السيوطي نقلاً عن الإمام المهدي عند أهل السنة ص٣٥٩.

الريان بن شبيب

عن الريان بن شبيب ، قال : دخلت على الرضا عليه السلام في أول يوم من المحرم ، فقال لي :... يا بن شبيب ، إن المحرم هو الشهر الذي كان أهل الجاهلية فيما مضى يحرمون فيه الظلم والقتال لحرمته، فما عرفت هذه الأمة حرمة شهرها ولا حرمة نبيها صلى الله عليه وآله، لقد قتلوا في هذا الشهر ذريته ، وسبوا نساءه ، وانتهبوا ثقله ، فلا غفر الله لهم ذلك أبدا .

يا بن شبيب، إن كنت باكيا لشيء ، فابك للحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام، فإنه ذبح كما يذبح الكبش ، وقتل معه من أهل بيته ثمانية عشر رجلا ما لهم في الأرض شبيه، ولقد بكت السماوات السبع والأرضون لقتله ، ولقد نزل إلى الأرض من الملائكة أربعة آلاف لنصره فوجدوه قد قتل ، فهم عند قبره شعث غبر إلى أن يقوم القائم، فيكونون من أنصاره ، وشعارهم: يا لثارات الحسين.

يا بن شبيب، لقد حدثني أبي، عن أبيه، عن جده عليهم السلام: أنه لما قتل جدي الحسين (صلوات الله عليه)، مطرت السماء دما وترابا أحمر.

يا بن شبيب، إن بكيت على الحسين عليه السلام حتى تصير دموعك على خديك غفر الله لك كل ذنب أذنبته، صغيرا كان أو كبيرا، قليلا كان أو كثيرا .

يا بن شبيب، إن سرك أن تلقى الله عز وجل ولا ذنب عليك، فزر الحسين عليه السلام.

يا بن شبيب، إن سرك أن تسكن الغرف المبنية في الجنة مع النبي وآله صلى الله عليه وآله، فالعن قتلة الحسين.

يا بن شبيب، إن سرك أن يكون لك من الثواب مثل ما لمن استشهد مع الحسين عليه السلام فقل متى ما ذكرته: يا ليتني كنت معهم فأفوز فوزا عظيما.

يا بن شبيب، إن سرك أن تكون معنا في الدرجات العلى من الجنان ، فاحزن لحزننا وافرح لفرحنا، وعليك بولايتنا، فلو أن رجلا تولى حجرا لحشره الله معه يوم القيامة.

(أمالي الشيخ الصدوق/ ص١٩٣)

أجوبة مسابقة العدد (٦٤)
وأسماء الفائزين

السـؤال الأول: أ- المقداد بن الأسود

السـؤال الثاني: ب- دعاء الافتتاح

السـؤال الثالث: ب- الموطن الخامس

السـؤال الرابع: أ- حذيفة النخعي

السؤال الخامس: أ- ثلاث

السؤال السادس: ج- ١٥/ شوال/ ٢٥٢هـ

السـؤال السابع: أ- ليلة النصف من رمضان

السـؤال الثامن: ب- المزدلفة

السـؤال التاسع: ج- أبو هريرة العجلي

الفائز بالجائزة الأولى: محمد علي كاظم/ بغداد ـ الكاظمية

الفائز بالجائزة الثانية: مهند سليم صالح/ بغداد ـ البياع

الفائز بالجائزة الثالثة: كريمة هادي رسول/ النجف ـ حي الحنانة

على الفائزين مراجعة مقر المؤسسة لاستلام جوائزهم
ويسقط حق المطالبة بالجوائز بعد مرور ثلاثة أشهر من صدور العدد.

مسابقة العدد (٦٦)

١ عجباً لمصقول علاك فِرِنْده
يوم الهياج وقد علاك غبار
ولأسهم نفذتك دون حرائر
يدعون جدك والدموع غزار

أبيات أنشدها رجل حضر في مجلس إمام من أئمة أهل البيت عليهم السلام، فمن هو الإمام؟

أ- الإمام جعفر الصادق عليه السلام.
ب-الإمام موسى الكاظم عليه السلام.
ج- الإمام محمد الجواد عليه السلام.

٢ (إنهم لن يدعوني حتى يستخرجوا هذه العلقة من جوفي فإذا فعلوا ذلك سلط الله عليهم من يذلهم حتى يكونوا أذل فرق الأمم) من كلام توجه به الإمام الحسين عليه السلام لشخص أشار عليه بالرجوع إلى المدينة، ففي أي موضع دار هذا الكلام؟

أ- الشقوق ب- زبالة ج- بطن العقبة

٣ استدعى والي المدينة الوليد بن عتبة الإمام الحسين عليه السلام بناء على طلب يزيد، فاصطحب الإمام الحسين عليه السلام ثلة من قومه وأصحابه لملاقاة الوليد، فكم كان عددهم؟

أ- ٢٥ شخصاً ب- ٣٠ شخصاً
ج- ٣٥ شخصاً

٤ لما التقى عبدالله بن عمر بالإمام الحسين عليه السلام وعرف إصراره عليه السلام على مغادرة المدينة والنهضة في وجه أتباع الضلال، قبّل الحسين عليه السلام في موضع كان رسول الله صلى الله عليه وآله يقبله فيه وبكى، فماذا كان رد الإمام الحسين عليه السلام عليه؟

أ- اتق الله ولا تدعن نصرتي.
ب- ما كنت متخذاً المضلين عضدا.
ج- لا تركن إلى الدنيا.

كوبون المسابقة

ينابيع ٦٦

الاسم الثلاثي: ..... العنوان: .....

جواب السؤال الأول	أ	ب	ج

جواب السؤال الثاني	أ	ب	ج

جواب السؤال الثالث	أ	ب	ج

جواب السؤال الرابع	أ	ب	ج

كوبون المسابقة

جوائز المسابقة

الأولى: ١٠٠،٠٠٠ دينار. الثانية: ٧٥،٠٠٠ دينار.
الثالثة: ٥٠،٠٠٠ دينار. يتعين الفائز بإجراء القرعة.

شروط المسابقة

* الإجابة عن ثمانية أسئلة فقط. * يوضع الكوبون في ظرف ويكتب عليه(مسابقة مجلة بنابيع) مع الاسم الثلاثي الصريح والعنوان الكامل ورقم الهاتف بوضوح ويرسل على عنوان المؤسسة. وبخلافه تهمل الإجابات. * آخر موعد لاستلام الأجوبة هو ١/ ربيع الثاني/ ١٤٣٧هـ

جواب السؤال السابع	أ	ب	ج

جواب السؤال السادس	أ	ب	ج

جواب السؤال التاسع	أ	ب	ج

جواب السؤال الخامس	أ	ب	ج

جواب السؤال الثامن	أ	ب	ج

٥ (اللهم إنّا عترة نبيك محمد قد أخرجنا وطردنا وأزعجنا عن حرم جدنا وتعدت بنو أمية علينا، اللهم فخذ لنا بحقنا وانصرنا على القوم الظالمين) دعا الإمام الحسين عليه السلام بهذه الكلمات، ففي أي موقف كان ذلك؟

أ- عند نزوله في كربلاء ب- عندما أذن لولده علي الأكبر

ج- عند ملاقاته العدو.

٦ عندما أراد عمر بن سعد التوجه نحو كربلاء لحرب سيد الشهداء أشار عليه ناصح وقال له: (أنشدك الله أن لا تسير لحرب الحسين فتقطع رحمك، وتأثم بربك، فوالله لأن تخرج من دنياك ومالك وسلطان الأرض كله لو كان لك لكان خيراً لك من أن تلقى الله بدم الحسين)، فمن الناصح؟

أ- ابن أخته حمزة بن المغيرة. ب- ابنه حفص.

ج- المختار بن أبي عبيد الثقفي.

٧ من أصحاب الإمام الحسين عليه السلام، جاءه خبر أسر ابنه بثغر الري قرب مساء ليلة العاشر من المحرم فأذن له الإمام في تركه فقال: أكلتني السباع حياً إن فارقتك، فمن هو؟

أ- مسلم بن عوسجة. ب- محمد بن بشير.

ج- زهير بن القين.

٨ (أمسينا كمثل بني إسرائيل في آل فرعون يذبحون أبناءهم ويستحيون نساءهم،...) كلام للإمام زين العابدين عليه السلام في الشام وجهه لقائل له: كيف أمسيت يا ابن رسول الله، فمن القائل؟

أ- المنهال بن عمرو. ب- سهل بن سعد.

ج- جابر بن عبد الله.

٩ في عذيب الهجانات وافى سيد الشهداء ثلة من رجال فارقت الكوفة لما فيها من ظلم وجور، فقال لهم الإمام الحسين عليه السلام: أما والله إني لأرجو أن يكون خيراً ما أراد الله بنا قتلنا أم ظفرنا كم كان عدد هؤلاء الرجال؟

أ- ٤ ب- ٥ ج- ٦

للحقيقة نهجها

www.minhaj-tv.com
info@minhaj-tv.com

التردد: 11641 أفقي ا معدل الترميز: 27500 ا القمر: نايل سات

عتباتنا

صورة قديمة لضريح الإمام الحسين (عليه السلام) أخذت في خمسينيات القرن الماضي

مؤسسة الحكمة للثقافة الإسلامية